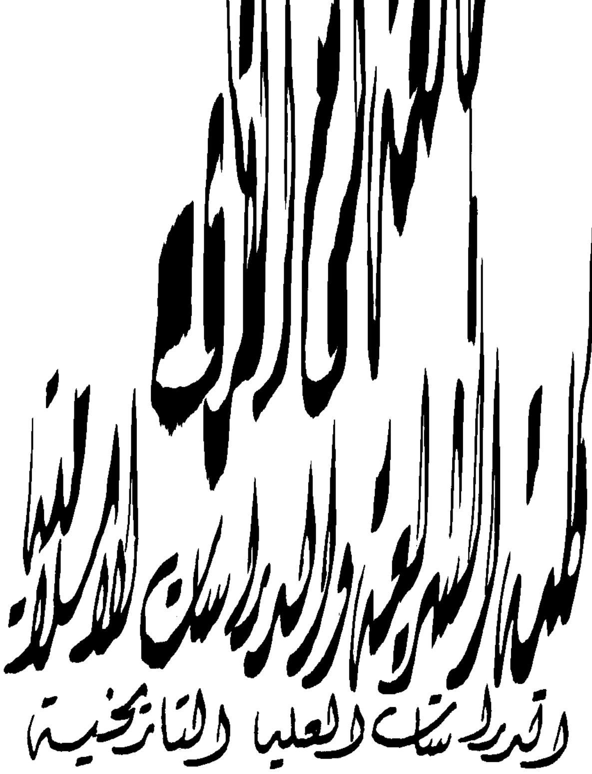

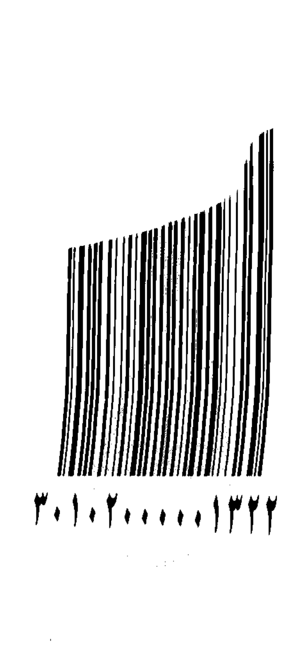

أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين

رسالة مقدمة

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب

١٠٠٣٤٢٢

يوسف ابراهيم الشيخ عيد الزاملي

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

إشراف

الأستاذ الدكتور / محمد الحبيب الهيلة

١٤٠٧ - ١٤٠٨ هـ

١٩٨٧ - ١٩٨٨ م

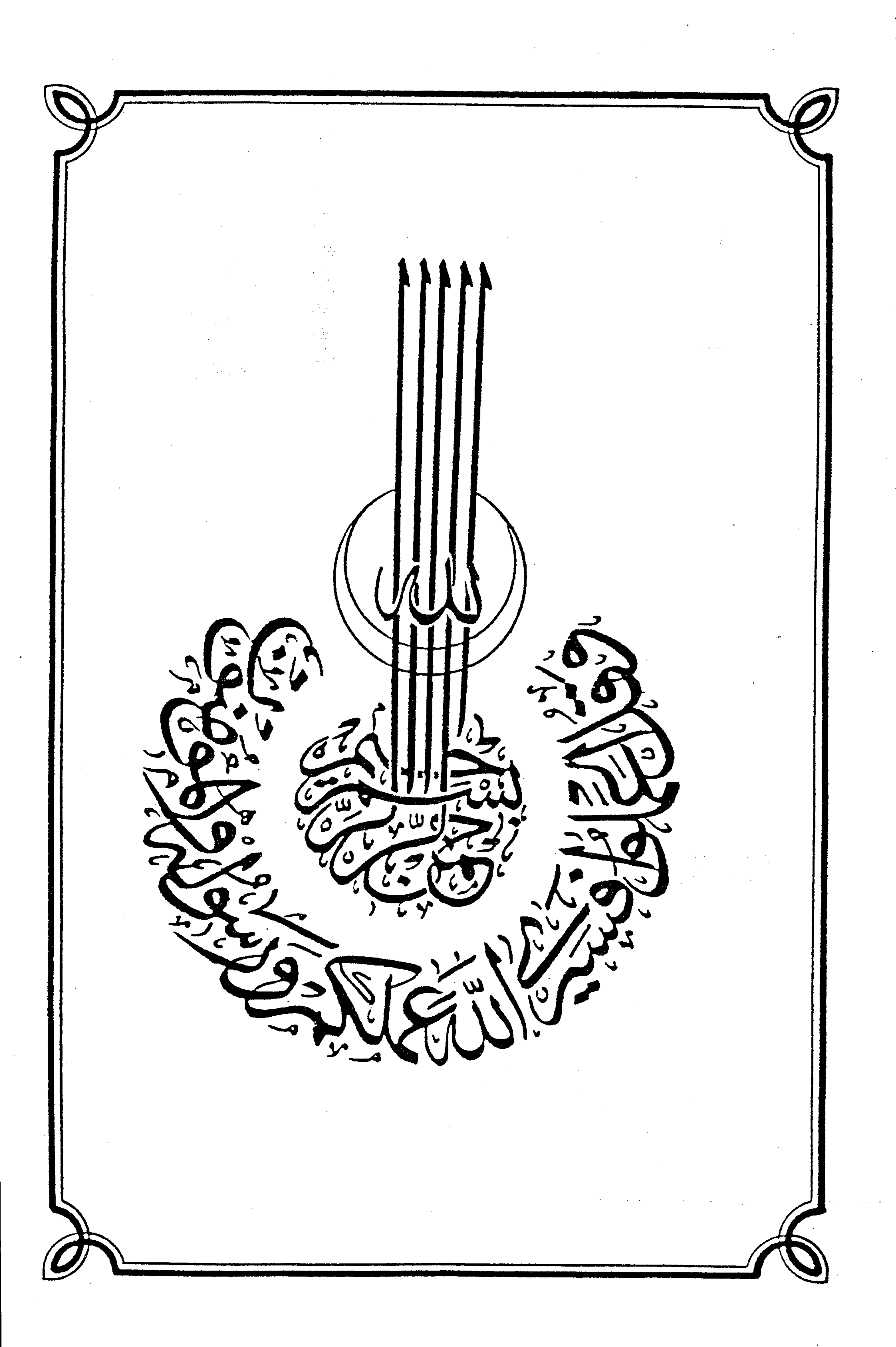

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

" ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوىً للكافرين ، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين"

سورة العنكبوت : آية ٦٨، ٦٩

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملّة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة "

صحيح : أخرجه أبو داود وأحمد
جامع الأصول : ١٠/ ٣٢

شكر وتقدير

شكر وتقدير

الحمد لله الذى تتم به الصالحات ،والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ،سيدنا محمد بن عبدالله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه أفضل الصلاة وأتم التسليم ... وبعد ..

" رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه " .

فامتثالا لقول المولى عز وجل " لئن شكرتم لأزيدنكم" وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من لم يشكر الناس لايشكر الله" ،وقوله : "ان أشكر الناس لله عز وجل أشكرهم للناس " .

من هذه التوجيهات ينطلق المسلم المتأدب بأدب القرآن ،والمتخلق بأخلاق النبى العدنان،والذى من أبرز صفاته اقراره بالفضل ،واعترافه بالجميل،ومن كريم خلاله شكره لمن أسدى له المعروف وقدم له العون فالانسان أسير الاحسان ،تأسره اللفتة الكريمة،وتهز مشاعره المعاملة الطيبة ،فيخفق قلبه بالامتنان ،وينطلق لسانه بالشكر والعرفان .

وطالب العلم المتصف بالأمانة ،والمتحلى بأدب الطلب ،هو أولى من يتعين عليه ذكر أهل الفضل بفضلهم،وتشنيف الاسماع بشكرهم . لذا وجدت أنه من الواجب على أن أصدر هذا البحث بحمد الله وشكره لأنه صاحب الفضل والمنه أولا وآخرا،ثم أنوه بمن كان لهم من طيب اخلاصهم ،وجميل فعالهم وكريم معونتهم ،وصائب مشورتهم مالايوفيه الشكر وان عظم ،ولايكافئه الثناء وان كثر ،غير أن لى فى حسن قبولهم طمعا،وفى رضاهم عنى رجاء وهم عندى أعظم وأجل من أن يؤاخذوا من عرفوا تقصيره،وحسبى أن أؤدى جزءا يسيرا من حقهم ويكفينى منهم حسن ظنهم .

وأول من أخصه بالشكر الجزيل ،والثناء العاطر،والتقدير الوافر بعد والدي .. أستاذي الفاضل الدكتور محمد الحبيب الهيلة - المشرف على هذه الرسالة،فقد وجدت فيه الأب الحاني ،والأخ الناصح ،والباحث الفطن ،والأستاذ الموجه ،والصديق الرفيق ، اذ أعطاني من وقته وجهده أضعاف ماهو ملزم به ،وأغدق علي من عطفه ونصحه ماسأظل مدينا له به ولقد أفدت منه في الأخلاق والسلوك مثلما نهلت منه في المعارف والعلوم فجزاه الله خير الجزاء،وجنبه كل بلاء ،ومنحه في كل أمر الرفعة والعلاء .

كما وانني أتقدم بخالص الشكر والامتنان لجامعة أم القرى الموقرة والقائمين عليها،لما حبتني به من رعاية واحتضان لمواصلة دراساتي العليا،حفظها الله قلعة للعلم والعلماء .

ولايفوتني أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ممثلة بعميدها سعادة الدكتور / سليمان بن واصل التويجري وعميدها ووكيلها السابقين سعادة الدكتور / صالح بن حميد وسعادة الدكتور / حمزة الفعر - على ماقدمته لي من رعاية وماأتاحته لي من فرصة الالتحاق في الدراسات العليا التاريخية،راجيا لهذه الكلية أن تبقى عامرة بأساتذتها وطلابها،وأن تحقق هدفها في نشر العلم وتخريج الأجيال .

كما أخص بالشكر أيضا ،الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على ماسوف يبذلونه من جهد ومتابعة في تقويم هذه الرسالة،وماسيتفضلون به من توجيه وارشاد سيكون محل عنايتي واهتمامي باذن الله .

وختاما أشكر كل أستاذ وفى كل مرحلة من مراحل تعليمى غرس في
غرسا طيبا وكل من أعاننى فى اعداد هذا البحث وقدم فيه جهدا مشكورا .
جزى الله الجميع عنى خير الجزاء ،والله المستعان وعليه التكلان .
وصلى اللهم وبارك على خير خلقك أجمعين ،محمد بن عبد الله
المبعوث رحمة للعالمين .

محتويات الرسالة

محتويـات الرسالـة

الصفحة

الصفحة

المقدمة

١- موضوع البحث وخطة الدراسة

٢- دراسة وتحليل لأهم المصادر التي اعتمد عليها البحث

(١) موضوع البحث وخطة الدراسة .

الحمد لله الذى علم بالقلم ،علم الانسان مالم يعلم ،الحمد لله الذى رفع الذين آمنوا وأوتوا العلم درجات ،أحمده حمدا كثيرا يوافى نعمه،وأصلى وأسلم على من لانبى بعده ،عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه أفضل الصلاة وأتم التسليم ... وبعد :

تعتبر فترة الحروب الصليبية من الفترات الدقيقة والمهمة فى تاريخنا الاسلامى ،فهى تشكل احدى التجارب الفتية فى تاريخ العرب والمسلمين ،وآثار هذا الغزو الصليبى لاتزال ماثلة للعيان ،فالعالم الاسلامى مايزال الى اليوم يعانى من الهجمات الاستعمارية الصليبية لذلك فان دراسة فترة الحروب الصليبية أمر مفيد ومهم ،خاصة وأن العديد من حوادث الحروب الصليبية وظروفها يمكن أن تقدم لنا درسا صالحا،لأنها قامت فى وضع يشابه وضعنا الراهن من نواح عديدة .

تحركت الجموع الصليبية من أوروبا فى أواخر القرن الخامس الهجرى فى أول حملة صليبية لها على العالم الاسلامى والأمل يحدوها فى الاستيلاء على الأراضى المقدسة وتأسيس ممالك صليبية لها فى ديار الاسلام ،وقد حققوا الشئ الكثير مم كانوا يحلمون به ،وماكان ليتحقق حلمهم لولا تفكك العالم الاسلامى وانقسامه على نفسه وظهور خلافتين فى العالم الاسلامى الخلافة العباسية فى بغداد،والخلافة الفاطمية فى مصر ،الى جانب ذلك ظهرت كثير من الزعامات الصغيرة التى كانت تطمح فى تأسيس دول خاصة بها،ونشأ نتيجة لذلك العديد من الدول المستقلة والامارات التى كانت تتناحر وتتحارب فيما بينها،فساهم ذلك مساهمة كبيرة فى زيادة تفكك العالم الاسلامى .

وبالاضافة الى هذا كله ظهرت فى العالم الاسلامى حركات باطنية هدامة كان لها دور واضح فى زيادة تفكك العالم الاسلامى ،وهذه الحركات أخذت تنشىء لها التنظيمات السرية وتجمع حولها الأتباع ،وتبث بينهم الأفكار المنحرفة عن الاسلام ،وكان لهذه الحركات الباطنية أيضا دور مهم فى أحداث التاريخ الاسلامى خاصة فى عصر الحروب الصليبية ،حيث ساهمت بشكل واضح فى عرقلة سير حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين .

ولكن الله سبحانه وتعالى توكل بحفظ دينه ،ففى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها" ،فمن وسط هذا الضعف والانحلال والتفكك الذى كان يعيشه العالم الاسلامى فى تلك الحقبة نهض رجال أقوياء حملوا على عاتقهم راية الجهاد فى سبيل الله ،وعملوا جاهدين على توحيد المسلمين وجمع صفوفهم فى جبهة اسلامية واحدة للجهاد ضد الصليبيين وطردهم من بلاد المسلمين ،وتكللت جهودهم بالنجاح والتوفيق ،فاستطاعوا احراز انتصارات عديدة على الصليبيين فى أكثر من معركة ،كما أنهم استطاعوا تحرير أجزاء كبيرة من الأراضى التى احتلها الصليبيون ،وواصلوا السير فى الطريق الذى رسموه لأنفسهم ،والهدف نصب أعينهم ،ولكن أهل الحقد والغدر من أصحاب تلك الحركات الباطنية وقفوا حجر عثرة فى طريق هؤلاء القادة ،فعرقلوا سيرهم ،وبددوا كثيرا من جهدهم ،فطالت أيديهم الخبيثة وخناجرهم الغادرة باغتيال معظم هؤلاء القادة المسلمين الذين هبوا للجهاد ضد الصليبيين .

من هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة تحاول البحث فى دور الحركات الباطنية فى عرقلة الجهاد ضد الصليبيين ،ولقد أرخ القدماء لهذه الحركات وذكروا أعمالها الوحشية فى أماكن متناثرة من كتبهم ومؤلفاتهم

وأما الباحثون المحدثون فأرخوا لفترة الحروب الصليبية وذكروا الحركات الباطنية وماقامت به من أعمال فى تلك الفترة ،بالتلميح تارة وبالدراسة الجزئية تارة أخرى ،وكل ماهنالك عن دور الحركات الباطنية فى تلك الفترة نتف أو شذرات مبعثرة فى بطون المصادر العربية أو المؤلفات الحديثة ،ولم أعثر على كتاب متكامل مستقل بحث هذا الموضوع بجميع جوانبه .

كل هذه العوامل دفعتنى لأن أقوم بهذه الدراسة ،فأجمع النصوص المتناثرة والمتفرقة فأرتبها بالدراسة والتحليل فى عمل علمى آمل أن يكون متكاملا،وأوضح بالتفصيل الدور الذى قامت به هذه الحركات خلال الحروب الصليبية ،وكيف أنها عرقلت مسيرة الجهاد والوحدة الاسلامية ضد الصليبيين .

وكنت أحس وأنا أجمع مادة هذه الدراسة بالفرح أحيانا وبالألم أحيانا أخرى ،فكنت أفرح عندما أقرأ ماسجله التاريخ عن الروح الجهادية التى كانت عند القادة المسلمين أمثال عماد الدين زنكى ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبى ،وماحققوه من انتصارات باهرة ضد الصليبيين وكنت أتألم عندما أقرأ مخازى الحركات الباطنية وماقامت به من أعمال هدامة لعرقلة جهود هؤلاء القادة وغيرهم فى جهادهم ضد الصليبيين . لقد أتاحت لى الفرصة الاطلاع أثناء قيامى باعداد البحث على فترة زاخرة بأحداث أقرب ماتكون الى مانعانيه اليوم ،ولكن أسلافنا تغلبوا على تلك الأحداث بالايمان العميق والتعاون الوثيق والوحدة الشاملة .

اضافة الى ذلك كنت أهدف من وراء الكتابة فى هذا الموضوع أن يكون جزء كبير منه تاريخا لبلد أنتمى اليه وأحبه وله على دين وواجب ،حاولت أن يكون تاريخا لبلد يشدنى اليه محبة ووفاء،وتاريخا يقرؤه أبناء

هذه الأمة ليعرفوا ماضيهم فيكون منه الدرس والعبرة ، التى تفيد فى جمع الصفوف ولم الشمل وتقوية النفوس وشحذ الهمم والتآليف بين القلوب حتى ينطلق المخلصون من هذه الأمة نحو غد مشرق يستطيعون به تحرير الأرض ، أرض النبوات والمقدسات ، والتى كانت مطمعا للغزاة والمستعمرين على مر الأيام والسنين ، وتخليص ثالث الحرمين الشريفين من أيدى الصليبيين الجدد .

تتكون رسالتى هذه من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وبعض الملاحق واقتصرت المقدمة على ذكر سبب اختيار الموضوع ودراسة وتحليل لأهم المصادر التى اعتمدتها فى البحث ، وأما الفصل الأول وعنوانه الحركات الباطنية عند قدوم الغزو الصليبى فهو يحتوى على أربعة مباحث ، تناول المبحث الأول أهم الحركات الباطنية المتواجدة على ساحة الأحداث وقت وصول الغزو الصليبى وخصائص هذه الحركات ، وهى أربعة حركات رئيسية : النزارية (الحشاشون) فى بلاد فارس والشام ، والمستعلية (الفاطميون) فى مصر ، والنصيرية والدروز فى بلاد الشام ، وتطرق المبحث الى نشأة هذه الحركات كل على حدة ، وذكر زعماء كل حركة والجهود التى قام بها فى دعم أفكار وعقائد الحركة التى ينتمى اليها ، كما أشار المبحث الى أهم عقائد ومبادئ كل حركة بصورة موجزة بما يعطى القارئ لمحة عن تصورات كل حركة للعقيدة والعبادات الاسلامية ، حتى يقف على حقيقة ماقامت عليه .

أما المبحث الثانى فلقد أشار الى مناطق نفوذ هذه الحركات وتحديد منطقة تواجد كل حركة وأسماء المدن والقرى والقلاع والحصون التابعة لهذه الحركات ، كما أشار على وجه الخصوص الى قلاع وحصون الحركة النزارية لأنها تمركزت واتخذت من القلاع والحصون مأوى لها ، وكيفية استيلاء هذه

الحركة على هذا العدد الهائل من القلاع والحصون والحيل التى استخدموها فى السيطرة عليها .

وألقى المبحث الثالث الضوء على علاقة هذه الحركات بالمسلمين من أهل السنة كل حركة على حدة ،فوضح العلاقات بين النزارية الباطنية وبين السلاجقة السنيين وبم اتسمت به هذه العلاقة من عداء مطلق بين الطرفين والجهود التى بذلها بعض سلاطين السلاجقة للتخلص من خطر الباطنية وفسادها فى المجتمع الاسلامى ،كما أشار أيضا الى علاقة هذه الحركة بحكام بلاد الشام فى دمشق وحلب وكيف تغلغلوا فى المجتمع الاسلامى هناك ومافعله بهم حكام تلك الولايات من قتل وبطش للتخلص من خطرهم .

كما تناول المبحث أيضا علاقة المستعلية (الدولة الفاطمية) بحكام بلاد الشام ،وأشار الى العلاقة الودية التى حصلت بين رضوان ملك حلب السلجوقى وبين خليفة مصر المستعلى ،واقامة رضوان الخطبة للمستعلى فى حلب ثم قطع هذه الخطبة وتقليص هذه العلاقات ،وبين المبحث أيضا طبيعة علاقة العداء الذى تكنه هذه الحركة للقوى السنية فى بلاد الشام ،فكانت باستمرار تشن الغارات وترسل الحملات للسيطرة على المناطق السنية فى جنوب بلاد الشام ،فاستطاعت أن تخضع بيت المقدس لنفوذها وأن تنتزعه من أيدى الاراتقة السنيين فى وقت قدوم الحملة الصليبية الأولى .

وعالج المبحث الرابع والأخير فى الفصل الأول العلاقات بين النزارية والمستعلية ،وبين أن العلاقة بينهما كانت علاقة عداء مستحكم وكيف كان كل طرف يتربص بالطرف الآخر الدوائر ويتحين الفرص للانتقام من خصمه ،فتحدث عن ماقام به الوزير الأفضل من تتبع أنصار نزار والتنكيل

بهم وتصفيتهم ،وتحدث أيضا عن ماقامت به النزارية من أعمال ضد خصومهم المستعليين حيث استطاعوا اغتيال عدوهم الأول الوزير الأفضل ثم اغتيال الخليفة المستعلى الفاطمى الآمر بأحكام الله عام ٥٢٤هـ •

أما الفصل الثانى وعنوانه العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين فهو ينقسم الى مبحثين ،المبحث الأول تناول علاقات التعاون التى تمت بين الفاطميين والصليبيين ابان وصول الحملة الصليبية الأولى وحصارها لأنطاكية عام ٤٩١هـ وتوغلها جنوبا فى بلاد الشام ،وتطرق الى المراسلات التى تمت بين الطرفين ووقوف الفاطميين السلبى فى بداية الأمر من الزحف الصليبى وتوغله فى بلاد الشام صوب بيت المقدس مما ترتب على ذلك سقوط المدن والمعاقل الاسلامية الواحدة تلو الأخرى بسبب عدم ملاقاة الصليبيين لأى مقاومة تذكر •

وأشار المبحث أيضا الى ماتم من مراسلات بين الوزير الفاطمى شاور وملك الصليبيين يستنجدهم على أسد الدين شيركوه وجنوده لطردهم من مصر بعد أن أعادوه الى الوزارة وقضوا على خصومه وتنكره لهم وعدم وفائه بوعوده التى قطعها على نفسه للملك نور الدين محمود،فاستنجد بهم عدة مرات متوالية عندما كان أسد الدين يعود الى مصر لابعاد الخطر الصليبى عنها وصرف نظرهم عن احتلالها،اضافة الى ذلك حنقه على شاور لنقضه وعوده لأسد الدين الى أن انتهى الأمر باستنجاد الخليفة الفاطمى العاضد بنور الدين محمود بسبب سياسة شاور المتعاونة مع الصليبيين فأرسل نور الدين محمود قائده أسد الدين شيركوه الى مصر وقبض على شاور وأعوانه وقطع رأسه وأراح مصر من شره ،وقلد بعد ذلك الخليفة العاضد شيركوه فى الوزارة مكان شاور،وبعد وفاته قلد مكانه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبى الذى انتهى به الأمر بقطع الخطبة للخليفة الفاطمى

العاضد واقامة الخطبة للخليفة العباسى وأنهى أمر الدولة الفاطمية فى مصر وذلك فى عام ٥٦٧هـ .

وعالج المبحث الثانى العلاقات العسكرية بين الفاطميين والصليبيين فبين دور الفاطميين فى مقاومة الصليبيين ،والحملات العسكرية المتوالية التى بعثتها الدولة الفاطمية لمقاومة الصليبيين ووقف زحفهم جنوبا فى بلاد الشام ،وتحدث المبحث عن دور بعض الوزراء الأقوياء فى الدولة الفاطمية الذين كانوا متحمسين للجهاد ضد الصليبيين مثل رضوان بن الولخشى وغيره الذين هبوا لمقاومة الصليبيين رغم تقاعس الخلفاء الفاطميين عن ذلك وعدم تشجيعهم لهم ،كذلك أشار المبحث الى جهود الوزير العادل ابن السلار ومشروعه لمقاتلة الصليبيين وارساله لأسامة بن منقذ أحد أمراء قلعة شيزر فى الشام الذى كان موجودا فى مصر الى نور الدين محمود يخبره بخطة مشروعه لمقاتلة الصليبيين وماقام به أسامة بن منقذ بعد ذلك بتشجيع من نور الدين محمود لمقاتلة الصليبيين .

أما الفصل الثالث وعنوانه الباطنية النزارية ودورهم فى الحروب الصليبية ،فهو ينقسم أيضا بدوره الى أربعة مباحث ،ألقى المبحث الأول منها الضوء على تعامل الباطنية النزارية مع الصليبيين ،فبين حقيقة الدور الذى لعبته الحركة النزارية فى تعاملها مع الصليبيين بتبادل الرسائل بينهما وماقدمته هذه الحركة من تسهيلات للصليبيين لتثبيت أقدامهم فى بلاد الشام ،وذلك بالعرض عليهم أخذ دمشق ،كما وأشار المبحث الى العلاقات الوثيقة التى كانت بين الحركة الباطنية النزارية والصليبيين لدرجة أن أصحاب هذه الحركة كانوا يخوضون المعارك مع الصليبيين جنبا الى جنب ،كما حصل فى موقعة انب ،وكشف

المبحث النقاب أيضا عن ماكان بين هذه الحركة واليهود من تعاون وثيق وبين أن هناك عدد كبير من اليهود يعمل داخل صفوف هذه الحركة ويخوض معها المعارك ضد القوى الاسلامية المجاورة ومحاولتها عرقلة كل جهود تبذل للوحدة الاسلامية والجهاد ضد الصليبيين ،وأشار المبحث أيضا الى المراسلات التى تمت بين زعيم الحركة النزارية فى الشام وبين القادة الصليبيين طالبا منهم العون والتحالف ضد المسلمين السنيين مقابل تقديم خدماته لهم باغتيال والفتك بأى قائد مسلم يريدون أو يجدون فيه خطر عليهم .

ودرس المبحث الثانى دور الحركة النزارية فى اغتيال القادة المسلمين ،وكيف كانت هذه الحركة تتربص الدوائر بكل قائد مسلم ،فطالت أيدى أصحاب هذه الحركة العديد من قادة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين وكل قائد حاول أن يوحد جهود المسلمين للوقوف فى وجه الصليبيين ،الى جانب ذلك اغتالت أيدى أصحاب هذه الحركة العديد من العلماء والوزراء والسلاطين والخلفاء والوعاظ والفقهاء ،فقتلت كل من سولت له نفسه أو قام بأى عمل من الأعمال ضد الباطنية أو النيل من أصحابها فراح ضحيتها العشرات من هؤلاء القادة والعلماء .

أما المبحث الثالث فلقد ألقى أضواء جديدة على دور الحركة النزارية فى افساد المجتمع الاسلامى من الداخل ،وكيف عملت على نشر الرعب والخوف والفزع بين أفراد هذا المجتمع ،فأصبح المجتمع الاسلامى يعانى من خطرين فى آن واحد،الخطر الباطنى الذى لاهم له الا النيل من أهل السنة والفتك بهم وقتلهم ،والخطر الصليبى الذى استهدف الأرض والانسان . فبين المبحث ماقامت به الحركة النزارية من سلب ونهب وقتل للأبرياء من الناس العزل من نساء وأطفال وشيوخ ،لاشاعة الرعب

والخوف بين أفراد المجتمع الاسلامى ،وأشار الى اعتداءات هذه الحركة على القرى والمدن الاسلامية المجاورة لمناطق نفوذهم ،فكانوا يغيرون عليها بين الحين والآخر فيقتلون ويسلبون ويخربون ،مما جعل الناس يعيشون فى قلق وخوف دائمين لدرجة أنه اذا تأخر الانسان عن منزله تيقن أهله بأن الباطنية قد قتلوه فيجلسون للبكاء عليه ،وشرح هذا المبحث أيضا ماكان يقوم به أفراد هذه الحركة من اعتداء على قوافل المارة وقوافل الحجاج التى كانت تمر من جوارهم فكانوا يباغتون هذه القوافل ويقتلون أصحابها ويستولون على مافيها من مال ومتاع ،وكذلك ماكانوا يقومون به من اعتداءات متكررة على قوافل الحجيج المتجهة الى الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج ،فيغيرون عليهم ليلا وهم نائمون آمنون فيضعون السيف فيهم ويستولون على مابأيديهم من أموال وأقوات أعدوها لرحلة سفرهم لأداء الفريضة .

وصور لنا المبحث صورة واضحة عن ماأشاعته هذه الحركة من فساد ورعب وخوف فى أرجاء المجتمع الاسلامى وكيف أن مؤرخ كبير من مؤرخى الدولة السلجوقية (العماد الأصفهانى) لم يستطع التحدث عن الباطنية بصراحة مكشوفة بل تحدث عنهم بالتلميح والاشارة حتى لاتناله أيديهم فتصرعه كما صرعت غيره ... وكذلك صور لنا صورة من حياة الناس وكيف كانوا يخبئون فى الليل مالديهم من مال ومتاع فى أماكن غير معروفة ثم يأخذونها فى الصباح ،وهكذا يفعلون فى كل ليلة خوفا من كبسات الباطنية فى الليل .

وشرح المبحث الرابع والأخير من هذا الفصل موقف القادة المسلمين من الباطنية ،وتحدث عن الجهود المشكورة التى بذلها القادة المسلمون للحد من خطر الباطنية فى المجتمع الاسلامى ،فتحدث عما قام به سلاطين

الدولة السلجوقية فى هذا المجال ومابذلوه من جهود جبارة ،فأشار الى جهود كل من السلطان ملكشاه وأولاده من بعده بركيارق ومحمد وسنجر ومحمود بن محمد ،وكذلك أشار الى دور كل من الدولة الغورية والدولة الغزنوية فى هذا الصدد . وألقى المبحث أيضا الضوء على جهود كل من آلب أرسلان بن رضوان صاحب حلب وتاج الملوك بورى صاحب دمشق للقضاء على الباطنية ،وكيف نكلوا بها وطهروا المدينتين منهم بعد أن أصبح خطرهم يتهدد الكبير والصغير،وبين كذلك ماقام به السلطان صلاح الدين الأيوبى للحد من خطر هؤلاء القوم وماقام به من محاصرته لقلعتهم الرئيسية فى بلاد الشام ودكها بالمنجنيقات ،وبرهنت الدراسة أيضا عن عجز هؤلاء القادة على القضاء على الباطنية قضاء نهائيا وتطهير المجتمع الاسلامى منهم ،ولكنهم استطاعوا الى حد بعيد التخفيف من خطرهم وتقليصه ،واعطاءهم دروسا قاسية على ماكانوا يرتكبونه من جرائم ضد أفراد المجتمع الاسلامى ومصالحه .

أما الفصل الرابع والأخير فى الرسالة وعنوانه النصيرية والدروز ودورهم فى الحروب الصليبية فهو ينقسم الى ثلاثة مباحث ،تناول المبحث الأول منها تأثر النصيرية بالمجوسية والنصرانية ،فبين الأفكار والعبادات المجوسية التى تأثرت بها النصيرية نتيجة لانتماء مؤسسها محمد بن نصير الذى يعود أصله لبلاد فارس ،وبين كذلك التأثيرات النصرانية على الفرقة النصيرية نتيجة لانخراط الأخيرة فى المجتمعات الصليبية ابان الحروب الصليبية ،فتأثرت ببعض العبادات والطقوس النصرانية نتيجة لذلك .

وأشار المبحث الثانى الى مساعدة النصيرية للصليبيين وماقدمته هذه الفرقة من معونات للصليبيين للاستيلاء على أنطاكية وغيرها من

المعاقل الاسلامية ،وبين ماقاله شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذه الفرقة من أنها أشد خطرا من اليهود والنصارى على المسلمين وكيف أنها كانت عونا للنصارى الصليبيين على المسلمين أثناء الهجمة الصليبية على العالم الاسلامى .

وبين المبحث الثالث مساعدة الدروز للصليبيين وكيف كان موقفهم سلبيا من الزحف الصليبى ،بحيث لم يبدوا أى مقاومة لهذا الزحف ،وكذلك أشار المبحث الى تعاون بعض أمراء وزعماء الدروز مع الصليبيين وعقد الصلح معهم ،وأشار المبحث الى دور السلطان الظاهر بيبرس فى القبض على زعماء الدروز عندما أدرك خطرهم واتصالهم بالصليبيين حتى يأمن جانبهم أثناء جهاده ضد الصليبيين ،وفى النهاية ذكر جواب ابن تيمية عن الدروز بأنه لايجوز استخدامهم فى الحراسة والبوابة لأن هؤلاء القوم دأبوا على الخيانة وتقديم العون للصليبيين وكل عدو للمسلمين .

وأخيرا تضمنت الرسالة خاتمة تبين أهم النتائج التى توصل اليها البحث ،ومجموعة من الملاحق تشتمل على بعض النصوص والوثائق الهامة المتعلقة بموضوع البحث مع بعض التراجم لأشهر القادة المسلمين الذين جاهدوا الصليبيين والباطنية وتراجم أشهر زعماء الباطنية فى تلك الفترة .

(٢) دراسة وتحليل لأهم المصادر التى اعتمد عليها البحث .

لقد اعتمدت فى بحثى هذا على عدد لابأس به من المصادر العربية بعضها كان معاصرا لأحداث تلك الفترة فأمد البحث بمادة علمية جيدة عن تلك الأحداث ،وبعضها كان قريب العهد منها فكان شارحا ومكملا لبعض جوانب النقص فى المصادر السابقة ،كما اعتمدت على عدد كبير من المراجع العربية الحديثة التى شرحت وبينت بعض جوانب الموضوع ،وسأقتصر فى هذا العرض على دراسة وبحث أهم المصادر التى اعتمدت عليها،والتى تتصل اتصالا مباشرا بموضوع البحث وبرزت أهميتها من خلال معالجتى لهذه الدراسة .

فمن المصادر الأصيلة التى اعتمد عليها البحث كتاب الكامل فى التاريخ لمؤلفه عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى المتوفى عام ٦٣٠هـ ،وهو أحد اخوة ثلاثة اشتهر كل واحد منهم فى فن من الفنون حيث اتجه كل واحد منهم اتجاها خاصا فى حياته العلمية ،فاختار الأخ الأكبر مجد الدين أبو السعادات العلوم الدينية فاشتهر فى مؤلفاته فى الحديث والتفسير ،واختار ضياء الدين الأدب فاشتهر بمؤلفاته الأدبية وفى مقدمتها "المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر"،أما عز الدين الأخ الأوسط فقد اختار التاريخ فاشتهر بمؤلفاته التاريخية وفى مقدمتها كتابه "الكامل فى التاريخ"و"التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية" (١) .

ولد المؤرخ عز الدين بجزيرة ابن عمر ونشأ بها،ثم انتقل الى الموصل مع والده وأخويه وأقاموا بها،فتلقى العلم والدراسة بها وتنقل

---

(١) انظر ابن الاثير : التاريخ الباهر ،مقدمة المحقق ص ٩ ،شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ١١١/٢ .

مابين بغداد ودمشق وحلب والقدس حيث التقى فيها بعدد من المشايخ تلقى على أيديهم عددا من العلوم والمعارف فكان "اماما فى حفظ الحديث ومعرفته ومايتعلق به ،وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ،وخبيرا بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم ووقائعهم "(١) .

ويعتبر كتابه الكامل فى التاريخ من أهم المصادر التاريخية فهو أحسن ماصنف من كتب فى التاريخ الاسلامى العام ،فلقد جمع فيه أخبار العالم الاسلامى شرقه وغربه ،ومابينهما ،وهذا مالم يسبقه اليه أحد ،وأفاده فى ذلك صلته الوثيقة بادارة الحكم فى الموصل ،وبفضل أسفاره العديدة فى طلب العلم ،والاضطلاع بمهام سياسية رسمية من قبل صاحب الموصل (٢) .

بدأ ابن الأثير كتابه الكامل بالتأريخ من أول الزمان وانتهى به عند آخر سنة ٦٢٨هـ وسار فيه على منهج الكتابة على حسب السنين (نسق الحوليات) مع عدم الاخلال برواية الحادثة الواحدة التى جاءت مقطعة فى سنة واحدة ،وحرص كذلك على حفظ التوازن بين أجزاء تاريخه المختلفة ،كما بذل جهدا كبيرا فى مراعاة التوازن بين الأحداث فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى (٣) .

ويعتبر كتاب الكامل العمود الفقرى والمصدر الأساس الذى اعتمد عليه هذا البحث ،فلقد ووردت فيه معلومات غزيرة ومفصلة عن فترة

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٤٨/٣ .

(٢) انظر نفس المصدر السابق ،الباز العرينى : مؤرخو الحروب الصليبية ص ٢٠٤،٢٠٥ ،ابن الاثير : التاريخ الباهر ،مقدمة المحقق ص ١٥ ، سعيد عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص ٣٩٩ .

(٣) الباز العرينى : مؤرخو الحروب الصليبية ص ٢٠٦،عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب ص ١٠٣،سعيد عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص ٣٩٩،٤٠٣ .

الحروب الصليبية والباطنية لم ترد بهذا الشكل فى أى مصدر آخر وحرص ابن الأثير كعادته فى كتابه على اعطاء الصورة الكاملة عن الحدث الذى يتكلم عنه بحيث يعطى القارئ صورة متكاملة عن ذلك الحدث . فحين تكلم عن أمر السلطان بركيارق فى قتل الباطنية عرف من هم الباطنية وماهو أصلهم ،ثم تحدث عن أول ابتداء أمرهم ،وكيف ظهروا واشتهروا ،ثم تكلم عن سبب قتلهم فقال : " فى هذه السنة أمر السلطان بركيارق بقتل الباطنية وهم الاسماعيلية وهم الذين كانوا قديما يسمون القرامطة ونحن نبتدئ بأول أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم (١) " .

واستفاد البحث أيضا من كتاب الكامل لابن الأثير فى تحديد مناطق نفوذ الحركة النزارية الباطنية فى بلاد فارس ،فذكر عددا لابأس به من قلاعهم وحصونهم وكيفية استيلائهم على هذه القلاع والحصون ،وكان يعرف أحيانا بهذه القلاع من حيث الموقع ،وكيف بنيت ومن الذى بناها وكيف آلت الى الباطنية فكانت معلوماته فى ذلك دقيقة ومفصلة (٢) .

وأفاد كتاب الكامل لابن الاثير البحث فى تحديد أسماء القادة والوزراء والعلماء والسلاطين الذين اغتالتهم الباطنية ،فذكر طرقهم وأسلوبهم فى ذلك ،ويعتبر كتاب الكامل الكتاب الوحيد الذى أتى على ذكر أكبر عدد من أسماء الرجال الذين اغتالتهم الباطنية وشرح كيفية وقوع عملية الاغتيال كاملة (٣) . وعند الحديث عن دور الباطنية فى افساد المجتمع الاسلامى أمدنا ابن الاثير بمعلومات دقيقة وهامة عن ذلك ،وذكر لنا صورا تاريخية عما كان يفعله هؤلاء القوم بأفراد المجتمع الاسلامى

---

(١) انظر ابن الاثير : الكامل ١٠/٣١٣ .

(٢) انظر نفس المصدر السابق ١٠/٣١٥ – ٣١٩ .

(٣) انظر تفصيلات ذلك فى المبحث الثانى من الفصل الثالث .

وكيف كانوا ينشرون الرعب والخوف بين الناس حتى أصبح الواحد منهم لايستطيع أن ينفرد بنفسه وحيدا ماشيا فى الطريق ،وكعادة ابن الأثير فى ابراز المادة التاريخية فى عبارات قصيرة ذات أسلوب بسيط واضح ، أوضح ذلك المعنى فى عبارات ابتدأ فيها الحديث عما يريد ذكره عن ماكان يفعله الباطنية فى المجتمع الاسلامى ،وأمثلة ذلك كثيرة منها : " لما عمت هذه المصيبة الناس بأصبهان ،أذن الله تعالى فى هتك أستارهم والانتقام منهم " ،" وشاعت الغارة فى تلك النواحى ،وأكثروا القتل فى أهلها والنهب لأموالهم ،والسبى لنسائهم "(١) .

كما وأمدنا ابن الاثير بمعلومات هامة عن الجهود التى بذلها القادة والحكام المسلمين للفتك بالباطنية وقتلهم ومحاولة تقليص خطرهم ومنعهم من التوسع على حساب مناطق أهل السنة أو الاستيلاء على مزيد من القلاع والحصون ،فأشار الى جهود كل من ملكشاه وبركيارق ومحمد وسنجر ومحمود فى جهادهم ضد الباطنية ومحاولاتهم المستمرة لتصفيتهم من المجتمع الاسلامى ،والمعارك التى خاضوها ضدهم (٢) ، وأشار كذلك الى جهود كل من الدولة الغورية والدولة الخوارزمية فى هذا المجال .

أما كتاب التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية لابن الأثير،فلقد خصصه لتاريخ الأسرة الزنكية،والدولة التى أسسوها فى الموصل على يد عماد الدين زنكى ،فبدأ بسرد أخبار الدولة بدأ بقسيم الدولة آقسنقر والد عماد الدين زنكى ،فذكر صلته بالسلطان السلجوقى ملكشاه وولايته على حلب من قبله،ثم ذكر مقتل قسيم الدولة سنة ٤٨٧هـ ،ثم تناول أخبار عماد الدين زنكى وجهاده ضد الصليبيين حتى وفاته سنة ٥٤١هـ ،ثم تحدث

---

(١) انظر ابن الاثير : الكامل ١٠/٣١٤ – ٣١٥ – ٣٩٢ .

(٢) انظر نفس المصدر السابق ١٠/٣١٩،٣٢٠،٣٢٢،٤٣٠،٥٢٧،٦٣١ .

عن أخبار نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى وجهوده الجبارة فى جهاده ضد الصليبيين ،وبين ماقام به من عمل متواصل من أجل توحيد القوى الاسلامية فى الشام ومصر من أجل الوقوف فى وجه الصليبيين ،فذكر استيلاءه على حلب بعد وفاة أبيه ،ودمشق سنة ٥٤٩هـ ومصر سنة ٥٦٤هـ والموصل سنة ٥٦٦هـ (١) .

ولقد أفاد البحث من كتاب التاريخ الباهر عند دراسة جهود نور الدين محمود فى ضم مصر الى صف أهل السنة وادخالها فى الجبهة الاسلامية الموحدة ضد الصليبيين ،فأشار الى الحملات العسكرية المتوالية التى بعثها بقيادة قائده أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبى وبين كيف استطاعا فى النهاية اسقاط الدولة الفاطمية الشيعية واعادة مصر الى صف أهل السنة ،وضم جهود مصر مع جهود الشام فى الجهاد ضد الصليبيين .

ومن المصادر الأصيلة التى اعتمد عليها موضوع البحث كتاب ذيل تاريخ دمشق لمؤلفه أبى يعلى حمزة بن على بن أسد التميمى المعروف بابن القلانسى والمتوفى عام ٥٥٥هـ ،وينتمى ابن القلانسى الى أحد الأسر الدمشقية الشهيرة والتى كانت رئاسة دمشق لبعض رجالها ومنهم المؤرخ ابن القلانسى ،فتلقى ابن القلانسى تعليمه فى دمشق فدرس الأدب والحديث والحساب واللغة الفارسية ،وتولى ابن القلانسى العديد من المناصب الادارية فى دولة ظهير الدين طغتكين وأولاده من بعده ،فأصبح رئيسا لدمشق مرتين ،حيث رأس ديوان الرسائل وديوان الخراج ،فأتيح بذلك لابن القلانسى عن طريق الوثائق المحفوظة بتلك الدواوين على الاطلاع على كثير من

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر،مقدمة المحقق ص ١٥ – ١٦ ،سعيد عاشور: بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص ٣٩٦ .

أسرار السياسة فى دمشق وبلاد الشام خلال فترة حكمه التى تزامنت مع قدوم الغزو الصليبى لبلاد الشام[(١)] .

جعل ابن القلانسى كتابه ذيل تاريخ دمشق ،ذيلا على كتاب المؤرخ المشهور هلال الصابئ الذى ينتهى به عند حوادث سنة ٤٤٨هـ وأنهاه الى عام ٥٥٥هـ وهى السنة التى توفى فيها ابن القلانسى ،وكتاب ذيل تاريخ دمشق من كتب التاريخ المحلى ،فلقد خصصه ابن القلانسى لتدوين تاريخ دمشق ومايدور حولها من أخبار ،ويعتبر ابن القلانسى من أقدم من كتب فى التاريخ المحلى فى بلاد الشام[(٢)] .

وجاءت أهمية كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى فى أنه أمدنا بمعلومات قيمة ونادرة عن الباطنية والدور الذى قامت به فى دمشق خاصة وبلاد الشام عامة ،فجاء ابن القلانسى بمعلومات هامة ودقيقة عن الباطنية لم نجدها فى أى مصدر آخر ،فذكر أول ابتداء أمرهم فى الشام واستفحال أمرهم فى دمشق وماكان من تاج الملوك بورى صاحبها بعد ذلك فى التنكيل بهم وقتلهم وتخليص البلد من نفوذهم بعد أن أشاعوا الرعب والخوف بين أهلها ،وتحدث كذلك عن جهود تاج الملوك بورى فى جهاده ضد الصليبيين[(٣)] .

كما وأفاد كتاب ذيل تاريخ دمشق البحث فى ذكر معلومات قيمة عن ماكان بين طغتكين أتابك دمشق والدولة الفاطمية من تفاهم واتفاق على الجهاد ضد الصليبيين[(٤)] ،وتكلم أيضا عن جهود ظهير الدين طغتكين فى

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ١٧٤/٤ ،شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ٢٣٧/٢، الباز العرينى : مؤرخو الحروب الصليبية ص ١٩٢ .

(٢) عبدالعزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ص ١١٠ .

(٣) انظر ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥٠ ومابعدها .

(٤) انظر نفس المصدر السابق ص ٢٣١، ٢٤٠، ٢٩٠، ٢٩١ .

المحافظة على مدينة صور من سقوطها فى أيدى الصليبيين والدفاع عنها (١) وذكر أخبار الحملات العسكرية الفاطمية المتكررة التى أرسلتها الدولة الفاطمية لمقاومة الصليبيين (٢) .

ومما أفاد ابن القلانسى البحث فيه أنه أتى على ذكر عدد لابأس به من أسماء القادة المسلمين الذين هبوا للجهاد ضد الصليبيين وعملوا على توحيد صفوف المسلمين واغتالتهم يد الباطنية ،وعرقلة جهودهم فى ذلك أمثال جناح الدولة حسين صاحب حمص والأمير مودود صاحب الموصل (٣) .

ومن المصادر التى استفاد منها البحث كتاب اتعاظ الحنفا لمؤلفه تقى الدين أحمد بن على المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ ،ولد المقريزى فى حارة برجوان بالقاهرة ،ولقب بالمقريزى لأنه ينتمى الى أسرة أصلها من مدينة بعلبك - احدى مدن لبنان الحالية - وكانت هذه الأسرة تسكن فى حارة المقارزة بمدينة بعلبك . نشأ المقريزى فى القاهرة وتتلمذ على عدد من الشيوخ فحفظ القرآن ودرس الفقه والحديث والتفسير والتاريخ ،وتأثر الى حد بعيد بأستاذه المؤرخ الكبير عبدالرحمن بن خلدون الذى تتلمذ على يده لبضع سنوات أثناء اقامته فى القاهرة وتوليه قضاء المالكية بها،والى جانب ذلك اشتغل المقريزى بعدد من الوظائف الحكومية فعمل أولا موقعا بديوان الانشاء ثم قاضيا ثم اشتغل بالتدريس مدرسا للحديث ،وولى الحسبة فى القاهرة أكثر من مرة كان أولها سنة ٨٠١هـ ، بتعيين من السلطان المملوكى برقوق (٧٩٢ - ٨٠١هـ) (٤) .

---

(١) انظر نفس المصدر السابق ص ٢٩٠،٢٩١،٣٠٠ .

(٢) انظر نفس المصدر السابق ص ٢٢٧،٢٢٩ .

(٣) انظر نفس المصدر السابق ص ٢٣٠،٢٥٦،٣١٥،٣٣٦،٣٤١ .

(٤) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٢١/٢ - ٢٢،الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٧٩/١،٨٠ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا،مقدمة المحقق ١١/١،١٢ .

وتأتى أهمية كتاب اتعاظ الحنفا للبحث كون المؤلف خصصه لتاريخ الدولة الفاطمية ،وجاء فيه بخلاصة ماكتبه المؤرخون الذين أرخوا للفاطميين ،ولم يكن المقريزى فى منهج هذا الكتاب ناقلا وحسب ،بل كان يحسن اختيار نصوصه والتنسيق بينها وعرضها ،كما كان يخضع النصوص للمقارنة والتحليل والنقد لاظهار الحقيقة (١) .

وقد استفاد البحث من كتاب اتعاظ الحنفا عند الحديث عن الانقسام الذى حدث فى المذهب الاسماعيلى اثر وفاة الخليفة المستنصر بالله الفاطمى عام ٤٨٧هـ بين نزارية ومستعلية ،والنزاع الذى حصل بين الأخوين نزار وأحمد المستعلى حول الخلافة ،ودور الوزير الأفضل أمير الجيوش فى ذلك ،وكيف ساند أحمد المستعلى وأخذ له البيعة من الأمراء وكبار رجال الدولة وتثبيته فى كرسى الخلافة ،والنهاية التى سار اليها نزار ومن سانده . كما وأمدنا الكتاب بمعلومات عن زيارة الحسن بن الصباح زعيم الباطنية الى مصر ومقابلته للخليفة المستنصر واستئذانه فى اقامة الدعوة له ببلاد خراسان وغيرها من بلاد المشرق ،ومعرفته أن الامام بعده هو ابنه الأكبر نزار حين سأله من امامى بعدك قال ابنى نزار (٢) .

وأفاد الكتاب البحث أيضا فى معرفة جهود الوزير الأفضل فى جهاده ضد الصليبيين والحملات العسكرية المتوالية التى كان يرسلها الى الشام لمحاربة الصليبيين ،وبين جهود الملك نور الدين محمود لاعادة مصر الى المذهب السنى والمحافظة عليها من وقوعها فى أيدى الصليبيين وجهود أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبى فى ذلك ،والمراسلات التى تمت بين الوزير الفاطمى شاور والصليبيين للاستعانة بهم على شيركوه وصلاح الدين

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ،مقدمة المحقق ٢٩/١ .

(٢) انظر مايلى : ص ١٢٣،٣٢،٣١،٣٠ .

وطردهم من مصر ، الى أن انتهى الأمر بقتل شاور وتولى شيركوه الوزارة فى مصر ثم صلاح الدين الذى أسقط الدولة الفاطمية وأنهى وجودها فى مصر .(١)

ويعتبر كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين لأبى شامة من المصادر الهامة لموضوع البحث ،وأبو شامة هو عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم ابن عثمان بن محمد المقدسى الشافعى توفى سنة ٦٦٥هـ وكان أبو شامة من كبار الفقهاء والمحدثين ،راسخ العلم فى القراءة والنحو واللغة والخط ،بالاضافة الى التاريخ ،كما كان واسع الاطلاع وعلى صداقة كبيرة بالعلماء المعاصرين له .(٢)

وتأتى أهمية كتاب الروضتين لأبى شامة الى أنه أرخ فيه لبطلين من أبطال الحروب الصليبية ،وهما : نور الدين ،وصلاح الدين ،وسار أبو شامة فى كتابة هذا الكتاب على طريقة السنين ،كما وأن بعض المصادر التى اعتمد عليها أبو شامة فى كتابة هذا الكتاب ضائعة ومفقودة وهذا ما أعطى كتابه قيمة هامة ،وبالاضافة الى ذلك استند أبو شامة فى كتابة تاريخه هذا على الوثائق الرسمية ،والمستندات الموثوق بها ،فكان لديه مايزيد على ٢٠٦ وثيقة ،وثق بها أحداث تاريخه وهذا ما أعطى كتابه قيمة أخرى .(٣)

ويعتبر كتاب الروضتين سجلا حافلا للدولة النورية ومصدرا هاما للدولة الأيوبية ،ولقد أمد البحث بمعلومات قيمة عند دراسة

---

(١) انظر مايلى : ص ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٠ .

(٢) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ١٦٥/٨، ١٦٦، ١٦٧، شاكر مصطفى: التاريخ العربى والمؤرخون ٢٦٦/٢، أحمد بدوى : الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ص ٢٧٥، ٢٧٦ .

(٣) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ٢٦٧/٢ .

دور نور الدين محمود فى ضم مصر الى الجبهة الاسلامية وحملاته المتكررة عليها ،كما بين جهود نور الدين محمود فى جهاده ضد الصليبيين ومابذله من جهد فى توحيد القوى الاسلامية لمواجهة الصليبيين ،كما وأمدنا بقائمة من أسماء القادة والخلفاء وبعض الشخصيات التى اغتالتها يد الباطنية (١) .

ومن المصادر الأصيلة الأخرى التى أفادت البحث كتاب مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب لمؤلفه جمال الدين أبو عبدالله بن محمد بن سالم ابن نصر الله بن واصل الحموى الشافعى المتوفى سنة ٦٩٧هـ .

ولد ابن واصل فى حماه سنة ٦٠٤هـ وبها تعلم وتأدب ،فدرس الفقه على مذهب الشافعى ودرس الأصول ،والحديث ،وعلم الكلام ،والنحو والعروض ،والقوافى ،والأدب ،والتاريخ ،والفلسفة ،والمنطق والهندسة والهيئة ،والطب ،وقيل أنه كان يشتغل فى ثلاثين علما (٢) .

وتأتى أهمية كتاب ابن واصل الى أنه أرخ للدولة الأيوبية كلها من نشأتها حتى سقوطها سواء فى مصر أو الشام ،كما وأن ابن واصل عمل فى سلك حكومة السلطان المملوكى الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ) ، الذى أرسله فى سفارة الى منفرد بن فردريك الثانى ملك صقلية وامبراطور الدولة الرومانية المقدسة (٣) ،وعند عودته عين قاضى قضاة حماة ومدرسا بها كل ذلك أتاح لابن واصل معاينة كثير من الأحداث والتفصيل فى بعضها مما أغفله المؤرخون بحكم اتصاله الوثيق برجال الحكم فى عصره وتقلبه فى الوظائف الحكومية الكبرى .

---

(١) انظر مايلى : ص ١٤٥ - ١٥٤،ص ٤٠،٥٩،١١٩،١٨٤،١٩٣،١٩٨،٢٠١ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ٤٣٨/٥،أحمد بدوى : الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ص ٢٨٠،محمد كرد على : خطط الشام ٣٨/٤،محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس فى مصر ص ١٥٦ .

(٣) احمد بدوى : الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ص ٢٨٠،٢٨١ .

وأفاد كتاب مفرج الكروب البحث فى التعرف على مراحل الصراع الذى كان بين نور الدين محمود والصليبيين على مصر ،وتطلع كل منهما للاستيلاء عليها ،وأبرز لنا دور القائد أسد الدين شيركوه فى الاستيلاء على مصر وتصميمه على ذلك ،واستمد البحث من هذا الكتاب معلومات طيبة عن المراسلات التى كانت بين الصليبيين والوزير شاور والحروب التى خاضوها ضد شيركوه للتخلص منه ومن جيشه ،وأشار أيضا الى استنجاد الخليفة العاضد بنور الدين محمود للتخلص من خطر شاور والصليبيين (١) .

أما كتاب التاريخ الصالحى لابن واصل فهو فى التاريخ العالم وألفه ابن واصل للملك الصالح أيوب ،والكتاب لايزال مخطوط الى الآن ،ولقد استفاد البحث من هذا الكتاب فى التعرف على بعض أسماء القادة المسلمين الذين اغتالتهم الباطنية ،وعن كيفية استيلائهم على قلعة الروذبارد وغيرها .

ومن المصادر المهمة لموضوع البحث كتاب فضائح الباطنية للامام أبو حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥هـ ،والغزالى أصله من طوس وقدم الى نيسابور حيث تتلمذ على يدى امام الحرمين أبى المعالى الجوينى فتخرج من عنده فى مدة قصيرة ،وصار من الأعيان المشار اليهم فى ذلك الوقت ولقى الامام الغزالى الوزير السلجوقى نظام الملك فأكرمه وعظمه وبالغ فى الاقبال عليه ،وفوض الوزير اليه التدريس فى مدرسته النظامية ببغداد وأخذ يلقى دروسه بها ،وقصد الغزالى مكة المكرمة للحج ثم الشام ومكث فى دمشق مدة يلقى الدروس فى جامعها ،ثم قصد بيت المقدس ثم مصر وأقام بالاسكندرية فترة من الزمن ،وبرع الغزالى فى تصنيف الكتب فى عدة فنون

---

(١) انظر مايلى : ص١٤٦،١٤٧،١٤٩،١٥٠،١٥٣،١٥٤،١٥٥ .

فكتب فى الفقه وأصول الفقه وفى المنطق والفلسفة ،ورد على الفلاسفة فى عدة رسائل ،وكتب فى التصوف والزهد ،وفى علوم شتى الى أن لزم بيته فى وطنه طوس وواظب على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والقعود للتدريس الى أن انتقل الى ربه (١) .

والغزالى من العلماء الذين نافحوا عن مذهب أهل السنة أمام الخطر الباطنى ،فكان رحمه الله على وعى تام بخطرهم على الاسلام ،ولهذا كان هجومه عليهم عنيفا مخلصا متحمسا ،فألف كتابه فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية ،وهدف الغزالى من وراء تأليف هذا الكتاب الى هدفين : اظهار فضائح الباطنية وهو أمر يتعلق بالعقيدة ،وبيان فضائل المستظهرية ،أى خلافة المستظهر بالله العباسى وهو أمر يتعلق بالسياسة ومن هنا جاءت تسمية الكتاب ب "المستظهرى" فى "فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية" . وفند الغزالى فى الكتاب أعمال الباطنية ومعتقداتهم فى الالهيات والنبوات والامامة والقيامة والتكاليف الشرعية وفى التأويل الباطنى ،وانتهى باقامة البراهين الشرعية على أن الامام القائم بالحق والواجب على الخلق طاعته فى عصرنا هذا (عصر الغزالى) هو الامام المستظهر بالله (٢) .

ولقد أفاد كتاب فضائح الباطنية البحث فى معرفة أساليب الباطنية فى الدعوة لمذهبهم وماهى الحيل التى يستخدمونها للتدرج مع المدعو لادخاله فى مذهبهم ،وكيف يخدعونه فى ذلك ،وبين لنا بطلان مذهب هؤلاء

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢١٦/٤،٢١٧،٢١٨، السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٨٨/٤،٨٩ .

(٢) الغزالى : فضائح الباطنية ،مقدمة المحقق ،ص ح ،ى ،شاكر مصطفى التاريخ العربى والمؤرخون ٣٤٢/١،٣٤٣ .

القوم وخطرهم الكبير على أفراد المجتمع الاسلامى ،وأنه لابد على كل فرد معرفة حيل هؤلاء القوم حتى ينجو من خطرهم (١) .

ومن كتب التراجم التى استفاد منها البحث ،كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،لمؤلفه أحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان البرمكى الشافعى المتوفى سنة ٦٨١هـ ،وولد ابن خلكان فى مدينة اربل من أعمال الموصل عام ٦٠٨هـ ،ونشأ بها حيث تفقه على والده فيها،ثم انتقل بعد موت أبيه الى الموصل وأخذ يتنقل فى البلاد حتى صار فقيها أديبا مؤرخا واخباريا عارفا بأيام الناس ،قدم القاهرة فعين بها نائبا لقاضى القضاة يوسف بن حسن السنجارى ،وفى عهد السلطان المملوكى بيبرس (٦٥٨ – ٦٧٦هـ) عينه قاضى قضاة الشام ثم عزل ثم عين مرة أخرى قاضيا للشام (٢) .

ويعتبر كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان من الكتب الجليلة،وتأتى قيمة هذا الكتاب لموضوع البحث فى أنه احتوى على معلومات قيمة فى التاريخ وتراجم الشخصيات ،فهو من أهم المصادر فى التراجم ولاسيما أن كثيرا من الكتب التى ألفت قبله واعتمد عليها ابن خلكان فى تأليف هذا الكتاب فقد ،ويتميز كتاب وفيات الأعيان بأنه مرتب فى ضبط الأعلام وأسماء البقاع والبلدان وتحقيق الحوادث وترتيب التراجم حسب حروف المعجم فهو يسهل على الباحث عملية البحث عما يريد،واجتهد ابن خلكان فى تحرى الحقائق بعين نافذة فى لغة سليمة بسيطة،وعنى كذلك أشد العناية

---

(١) انظر مايلى : ص ٤٣،٤٤،٤٥،٤٦،٤٧،٤٨،٤٩ .

(٢) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٣٣/٨،السيوطى : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ٥٥٥/١،ابن شاكر : فوات الوفيات ١١٠/١،أحمد بدوى : الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ص ٢٧٨،٢٧٩ .

بتحقيق سنة وفاة كل مترجم ،ومن أجل ذلك سمى كتاب وفيات الأعيان (١) ٠

ولقد أفاد البحث من كتاب وفيات الأعيان فأمده بمعلومات قيمة عند الحديث عن خلفاء الدولة الفاطمية أئمة المستعلية ،فبين لنا حال كل خليفة منهم وما الدور الذى قام به تجاه المذهب واتجاه سياسة الدولة (٢) وأمد كتاب وفيات الأعيان البحث بمعلومات هامة عن مراحل الصراع بين قوات شيركوه قائد نور الدين من جهة والوزير الفاطمى شاور والصليبيين من جهة أخرى للاستيلاء على مصر (٣) ، وكذلك أفاد فى معرفة المراسلات التى كانت بين مقدم الاسماعيلية سنان فى الشام وبين السلطان صلاح الدين وماكان بينهما من عداء وتوعد كل منهما للآخر (٤) ٠

ومن الموسوعات الهامة التى أمدت البحث بمعلومات قيمة موسوعة القلقشندى "صبح الأعشى فى صناعة الانشا" ،والقلقشندى هو أبو العباس أحمد ابن على بن أحمد ،توفى سنة ٨٢١هـ ،وولد القلقشندى فى بلدة قلقشندة من أعمال القليوبية بمصر سنة ٧٥٦هـ ،وطلب العلوم الشرعية كعادة العلماء فى عصره ،فبرع فى الفقه واللغة العربية وآدابها،وأجيز من قبل عدة شيوخ كبار فى عصره (٥) ٠

---

(١) أحمد بدوى : الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ص ٢٠٨ ، محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس فى مصر ص ١٥٦،عمر رضا كحالة : التاريخ والجغرافية فى العصور الاسلامية ص ٧٢ ٠

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٧٩/١ ومابعدها،١١٠/٣،٢٣٦،٢٣٧،٤٩٢،٤٩٣، ١١٠/٥ ٠

(٣) انظر نفس المصدر السابق ١٣٩/٧ ومابعدها ٠

(٤) انظر نفس المصدر السابق ١٨٦/٥،١٨٧ ٠

(٥) السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٧/٢، القلقشندى : صبح الأعشى ،مقدمة الناشر ٢٠/١،٢١،أحمد عزت عبدالكريم : أبو العباس القلقشندى وكتابه صبح الأعشى ص ١٤ ٠

وتعتبر موسوعة القلقشندى المسماة صبح الأعشى فى صناعة الانشا من أهم الموسوعات لأنها تحتوى على مختلف أنواع المعرفة ،وحفظ لنا القلقشندى فى موسوعته الكثير من الوثائق الرسمية والمراسلات السياسية والتقاليد والمناشير والتواقيع وأشبع كتابه بالمكاتبات الديوانية التى يمكن الاستفادة منها فى الأبحاث التاريخية على طوال التاريخ الاسلامى ،وذلك بحكم اشتغاله فى ديوان الانشاء وتوليه رئاسته مرتين فى عهد السلطان المملوكى برقوق (٧٩٢ – ٨٠١هـ)(١) .

ويمتاز القلقشندى فى كتابه هذا بأنه لم يورد فيه الا الوثائق والرسائل التى يعتقد بصحتها،والتى نقلها من المكاتبات الرسمية التى كانت تقع تحت يده بحكم وظيفته كاتبا للانشاء،فلقد كانت تلك الوثائق والمراسلات متيسرة له الاطلاع عليها،فنقل منها ما استوثق من صحته فترك لنا معلومات قيمة وهامة فى موسوعته صبح الأعشى لعصور سبقته ولعصره الذى يعيش فيه(٢) .

وعند دراسة مناطق نفوذ الحركة النزارية فى بلاد الشام أمدنا كتاب صبح الأعشى بمعلومات قيمة عن أسماء قلاع الباطنية هناك وعرف بها وبأماكنها(٣)، كما وأفاد فى التعرف على بعض تعاليم وأفكار الحركة النزارية وكذلك المستعلية ،وعرف أيضا ببعض أقوال النصيرية(٤) .

أما من حيث المراجع الحديثة ،فانى قد رجعت الى عدد لابأس به

---

(١) أحمد عزت عبدالكريم : أبو العباس القلقشندى وكتابه صبح الأعشى ص ١٥،١٢١،محمد عبدالله عنان : مؤرخو مصر الاسلامية ص ٧٨ .

(٢) انظر نفس المرجع السابق ص ١٦،٢٦،٢٧ .

(٣) انظر مايلى : ص ٦٥،١٠٠،١٠٦،١٠٧،١٠٨ .

(٤) انظر مايلى : ص ٤٩،٧١،٨٥،٨٦،٨٧ .

ولاأرى من الفائدة ذكرها هنا ،بل تكفى الاشارة اليها فى الفهرس العـــام فى نهاية البحث .

ومما ينبغى الاشارة اليه فى هذا المقام ،أننى اكتفيت بذكر اســـم المؤلف والكتاب فقط فى هوامش الرسالة ،ولم أتعرض الى المعلومـــات الأخرى نظرا لذكرها فى فهرس المصادر فى النهاية وذلك تحاشيا للاطالـــة ولكون الرجوع للفهرس بعد معرفة اسم المؤلف أيسر من البحث عنه فـــى صفحات الرسالة ،لأن المعلومات فى هذه الحالة لاتذكر الا مرة واحـــدة وفى أول ذكر له .

الفصل الأول

الحركات الباطنية عند قدوم الغزو الصليبي

المبحث الأول : الحركات المتواجدة على الساحة وخصائصها

النزارية (الحشاشون) - المستعلية (الفاطميون)

النصيرية - الدروز

المبحث الثاني : مناطق نفوذ هذه الحركات

المبحث الثالث : علاقة هذه الحركات بالمسلمين من أهل السنة

المبحث الرابع : العلاقات بين النزارية والمستعلية

المبحث الأول

الحركات المتواجدة على الساحة وخصائصها

أولا : النزارية (الحشاشون) .

النزارية هى احدى الحركات الباطنية التى ظهرت فى أواخر القرن الخامس الهجرى وهى تنسب الى نزار بن المستنصر بالله أبوتميم معد الخليفة الفاطمى ،حيث شرع المستنصر قبيل وفاته سنة ٤٨٧هـ فى أخذ البيعة لابنه الأكبر نزار حسبما تقتضيه التعاليم الاسماعيلية ،غير أن الوزير الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى تقاعد عن ذلك ودافع المستنصر من يوم الى يوم حتى مات المستنصر (١) .

وكان الحسن بن الصباح رئيس هذه الطائفة الاسماعيلية قد قصد مصر فى زى تاجر واجتمع بالمستنصر ،وخاطبه فى اقامة الدعوة له ببلاد العجم وقال : من امامى بعدك ؟ فقال : ابنى نزار (٢) . ولكن الوزير الأفضل سارع بعد وفاة المستنصر الى عزل نزار وخلعه وبايع بالامامة لابن أخته أبى القاسم أحمد أخو نزار الأصغر ولقبه بالمستعلى بالله (٣) ،أما سبب عزل الأفضل لنزار فهو أن نزار خرج ذات يوم فى حياة أبيه المستنصر فاذا الأفضل قد دخل دهليز القصر من باب الذهب راكبا فصاح به نزار : انزل يا أرمنى يا نجس .. فحقدها عليه الأفضل وصار كل منهما يكره

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٢/٥،المقريزى : اتعاظ الحنفا ١٢،١١/٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٢٣٧/١٠ .

(٣) نفس المرجع السابق ٢٣٧/١٠،المقريزى : اتعاظ الحنفا ١٢/٣ .

الآخر[١] . فاجتمع الأفضل بعد موت المستنصر بالأمراء والخواص وخوفهم من نزار وأشار عليهم بولاية أخيه الصغير أبى القاسم أحمد فرضوا بذلك وبايعوه ولقب بالمستعلى[٢] .

أما نزار فانه لم يرض بهذا الوضع وخرج من وقته هو وأخوه عبدالله وتوجهوا الى الاسكندرية خفية وكان الوالى بها ناصر الدولة أفتكين التركى[٣] أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالى والد الأفضل فبايعه أفتكين هو وأهل الاسكندرية ولقب "بالمصطفى لدين الله"[٤] .

علم الأفضل بذلك فغضب غضبا شديدا وعزم على محاربة نزار والتخلص منه فخرج فى أواخر المحرم من عام ٤٨٨هـ بعساكره من القاهرة متجها الى الاسكندرية لمحاربة نزار وأفتكين وهناك التقى الفريقان بظاهر الاسكندرية ودارت بينهما عدة وقائع انكسر فيها الأفضل فرجع هو ومن معه الى القاهرة منهزما، فخرج نزار ونهب أكثر بلاد الوجه البحرى[٥] .

أخذ الأفضل يعد العدة لملاقاة نزار مرة أخرى واستطاع هذه المرة استمالة أكابر من انتمى الى نزار من العرب ووعدهم بالأموال والاقطاعات ان هم تخلوا عنه . وسار الى الاسكندرية بعساكره ودارت بينهم معركة بظاهر الاسكندرية انهزم فيها نزار ومن معه فلجأ الى داخل الاسكندرية فحاصرهم الأفضل حصارا شديدا ومنع عنهم الميرة[٦] .

(١) ابن الأثير : الكامل ٢٣٧/١٠، ٢٣٨، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٢/٥، المقريزى : اتعاظ الحنفا ١٢/٣، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٠٧/١ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٢/٥، ابن الأثير: الكامل ٢٣٨/١٠ .

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٠، ٢١١، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٣/٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٢٣٨/١٠، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٣/٥ .

(٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا ١٤/٣، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٤/٥ .

(٦) نفس المصادر السابقة .

عندما اشتد الحصار على من بالاسكندرية ضعفت قوى نزار وأفتكين ومن معهما من العساكر فخافا وطلبا الأمان من الأفضل فأمنهما ودخل الأفضل الاسكندرية منتصرا ومالبث أن قبض على نزار وأفتكين وأرسلهما الى مصر ،وتسلم المستعلى نزار فبنى عليه حائطين وجعله بينهما الى أن مات (١) ،وأما أفتكين فقد قتله بعد ذلك (٢) .

وهكذا نرى أن الدعوة الاسماعيلية قدانقسمت بعد وفاة المستنصر بالله الخليفة الفاطمى الى فرقتين متناحرتين بينهما خصومات شديدة فرقة أيدت امامة المستعلى فسموا بالمستعلية والتى سنتحدث عنها فيما بعد وفرقة أيدت امامة نزار واعتبرته هو الامام الشرعى وسموا بالنزارية والتى نحن بصدد دراستها .

ويعتبر الحسن بن الصباح هو المؤسس لهذه الفرقة لأنه علم من المستنصر أثناء وجوده فى مصر أن الامام بعده ابنه الأكبر نزار ولما علم بما أحدثه الوزير الأفضل من تحويل الامامة من نزار الى أخيه الأصغر المستعلى غضب لذلك وانتصر الحسن بن الصباح لنزار وأصبح يدعو له ولأبنائه من بعده . وكان اعتناق الحسن بن الصباح للعقيدة النزارية مؤذنا بتطور جديد فى تاريخ هذه الدعوة (٣) .

---

(١) تدعى المصادر النزارية بأن نزارا لم يمت حقيقة ،وانما استتر وسيعود الى الظهور باعتباره المهدى المنتظر . وهذا دجل ليس له أى سند تاريخى فكل المؤرخين والمصادر التاريخية يجمعون على أن نزار مات حقيقة وبالتحديد بين حائطين بناهما عليه أخيه أحمد المستعلى . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٥٠/٢،الذهبى : العبر فى خبر من غبر ٣٧١/٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٢٣٨/١٠،المقريزى : اتعاظ الحنفا ١٤/٣،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٥/٥ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ٢٧٠/٤ .

استطاع الحسن بن الصباح أن يستغل الدعوة النزارية خير استغلال فأصاب نجاحا بعيد المدى وتمكن من تأسيس دولة اسماعيلية فريدة من نوعها مكونة من عدة قلاع وحصون متفرقة عرفت فى التاريخ بأسماء متعددة مثل : الدولة الاسماعيلية الشرقية ،والدولة الاسماعيلية النزارية والباطنية ،والسبعية والتعليمية ،والحشاشون ،والملاحدة والسفاكون وأقام داخل هذه القلاع والحصون مجتمعات اسماعيلية بحتة يحيطها السر والكتمان[1] .

واستطاع ابن الصباح بحيلة جريئة أن يستولى على الحصن الجبلى المنيع آلموت[2] (ومعناه عش العقاب)[3] وذلك فى عام ٤٨٣هـ . حيث أرسل دعاته الى أهل القلاع والحصون التى فى جنوب بحر قزوين فتمكن هؤلاء الدعاة من ادخال عدد كبير من سكان هذه القلاع والحصون فى الدعوة الاسماعيلية ولاسيما طبقة الجند . ولما أفلح دعاته فى تحويل جنود قلعة

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٣١/٥ . الشهرستانى : الملل والنحل ص ٢٠٠، القلقشندى : صبح الأعشى ١٢٠/١، أحمد جلى : دراسة عن الفرق ص ٢٣٣ .

(٢) قلعة حصينة من ناحية روزبار بين قزوين وبحر الخزر على قلة جبل وحولها وهاد لايمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب يبلغها ،وهى كرسى ملك الاسماعيلية ،قيل ان بعض ملوك الديلم أرسل عقابا للصيد فتبعه حتى وصل موضع هذه القلعة فوجده موضعا حصينا فأمر ببناء قلعة عليه وسماها اله أموت أى تعليم العقاب بلسان الديلم . ومنهم من قال اسم القلعة بتاريخها لأنها بنيت فى سنة ست وأربعين وأربعمائة وهى : م و ت . انظر : القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٠١، ابن الأثير : الكامل ٣١٦/١٠ .

(٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢٠٠/٢، الشهرستانى : الملل والنحل ص ٢٠٣، ابن أبى الدم الحموى : التاريخ المظفرى ،مخطوط، ورقة ٤٤٣أ، ابن واصل : التاريخ الصالحى ،مخطوط، ورقة ١٧٠أ، كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٥٦ .

آلموت الى المذهب الاسماعيلى أوعز الى دعاته أن يوجهوا اليه دعـــــوة لزيارتهم ،فوجهت اليه الدعوة بين مظاهر الفرح وذهب ابن الصباح الــــى القلعة متنكرا فأظهر الزهد ولبس المسح وانتحل اسما غير اسمه ،ولم يعرفه أحد من أتباعه فى القلعة سوى الدعاة فقط،أما غير الدعاة فكان يتظاهـــر أمامهم بأنه نائب عن ابن الصباح جاء ليتفقد أحوالهم قبل أن يزورهـــم ابن الصباح .

قضى ابن الصباح عدة أيام فى تنكره هذا وهو يدرس القلعة دراســــة دقيقة ويتبين معالمها ويفحص حصونها وأحوال الناس بها ،فلمـــــــــا عرف كل ماكان يريده أظهر شخصيته ،وطلب من حاكم القلعة أن يسلمها لــــه نظير مبلغ معين من المال يتسلمه من حاكم مدينة الدامغان (1)، وكان حاكـــم الدامغان ممن دخل المذهب الاسماعيلى سرا ،وكان يأتمر بأوامر الداعـــى ابن الصباح سرا بالرغم من أنه كان من عمال السلاجقة السنيين ،فلـــم يستطع حاكم قلعة آلموت المقاومة عندما علم أن الجنود الذين كـــــان يعتمد عليهم أصبحوا طوع ارادة ابن الصباح ،لذلك سلم القلعة لـــــه ودعا فيها ابن الصباح باسم المستنصر بالله امام الاسماعيلية فى مصر (2) .

منذ ذلك الحين أصبحت قلعة آلموت هى مركز الدولة التى كان ابـــن الصباح يطمح الى تأسيسها ومقره الرئيسى الدائم الذى انطلق منه لتوسيع رقعة دولته الجديدة ،ولقد ساعده الحظ فى ذلك اذ مات ملكشاه السلطـــان

---

(1) الدامغان : بلد كبير بين الرى ونيسابور ،وهو قصبة قومس . انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ٤٣٣/٢،القزوينى : آثـــار البلاد وأخبار العباد ص ٣٦٥ .

(2) ابن الأثير : الكامل ٣١٧/١٠،محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيليـــة ص ٧٠ ،مصطفى غالب : الثائر الحميرى الحسن بن الصباح ص ٥٢ .

السلجوقى عام ٤٨٥هـ عدو الاسماعيلية اللدود ومزقت أملاك السلجوقيين من بعده ،فضعفوا وهان أمرهم فى الوقت الذى اشتدت فيه شوكة الاسماعيلية(١) واستطاع ابن الصباح أن يضم عدة حصون وقلاع الى دولته الجديدة ،فأصبحت تخضع له مئات من الحصون والقلاع القوية فى أقاليم رودبارد(٢) وقوهستان(٣) والطالقان(٤) وغيرها(٥) ،ومن هذه الحصون والقلاع وجه ابن الصباح دعاة النزارية نحو بلاد الشام لنشر الدعوة النزارية ومحاربة أهل السنة والسلاجقة والمستعلية والانتقام منهم جميعا(٦) .

بعد أن استتب الأمر للحسن بن الصباح فى قلعة الموت باشر العمل فى وضع حجر الأساس للدولة الكبيرة التى كان يطمح فى تأسيسها فبدأ فى تنظيم جماعته تنظيما محكما قائما على السرية التامة والطاعة العمياء

---

(١) الذهبى : العبر ٣٦٩/٢ .

(٢) رودبارد : ناحية من طسوج أصبهان تشتمل على قرى كثيرة .
انظر ياقوت الحموى : المشترك وضعا والمفترق صقعا ص ٢١٣ .

(٣) قوهستان : تعريب كوهستان ،بمعنى موضع الجبال . وأكثر بلاد العجم لايخلو عن موضع يقال له قوهستان ،وأما المشهور بهذا الاسم فأحد أطرافها متصل بنواحى هراة ثم يمتد فى الجبال طولا حتى يتصل بقرب نهاوند وهمذان هذه الجبال كلها تسمى بهذا الاسم وهى جميعها فى أيدى الملاحدة من بنى الحسن بن الصباح .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ٤١٦/٤ .

(٤) الطالقان : بلدتان احداهما بخرسان بين مرو الروذ وبلخ ،بينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل،قال الاصطخرى : أكبر مدينة بطخارستان طالقان ،والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر وبها عدة قرى يقع عليها هذا الاسم .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ٧٠٦/٤ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ١٢٠/١،محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٧١ ،حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٦٧ .

(٦) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٦٧ .

بحيث يضمن لها البقاء ويدفع عنها خطر الأعداء فقسم جماعته الى مراتب ودرجات وأهم هذه المراتب هى :

المرتبة الأولى : مرتبة شيخ الجبل :

وعدد أفرادها سبعة،منهم نائب الامام ورئيس الدعوة الجديدة . فكان الحسن بن الصباح يلقب نفسه بلقب رئيس الدعوة ،ولاسيما بعد أن احتل قلعة الموت فى عام ٤٨٣هـ . كما اتخذ لقب مولانا وسيدنا وشيخ الجبل وكان وحده هو الذى يعين الدعاة ويعزلهم ،فأطلق عليه بعض الناس لقب داعى الدعاة،وكان سلطانه لايحد : يصدر أوامره من ألموت فيطيعها النزارية فى كل مكان . وقد جعل وظيفة رئيس الدعوة مقصورة على المتفانين فى الاخلاص للمذهب الاسماعيلى ،ولم يجعل لمبدأ الوراثة أى اعتبار . كما تظاهر جماعته بالتقشف والورع والمحافظة على الشريعة حتى انه قتل أحد أبنائه لاتهامه بشرب الخمر .

المرتبة الثانية : مرتبة كبار الدعاة :

ولايتجاوز عدد أفرادها ثلاثة ممن يثق الحسن الصباح بهم ثقة تامة لأنه قسم العالم أقساما ثلاثة : جعل على رأس كل قطر أو "بحر" واحدا من هؤلاء الدعاة الثلاثة ،وهم أشبه بنظام أئمة المذاهب . على أنه لم يترك لهم شيئا من الحرية ،بل ظل الرأس المدبر والعقل المفكر . ومن أشهرهؤلاء الدعاة الكبار كيابزرك أميد،والحسين القينى ،وأبو طاهر .

المرتبة الثالثة : مرتبة الدعاة :

وهم أكثر عددا من أفراد المرتبة الثانية ويتلقون أوامرهم من

رؤساء الدعوة فى الموت أو من كبار الدعاة فى الأقاليم الثلاثة ،وكانوا يتلقون العلم فى مدارس القاهرة أول الأمر،ثم ينتقلون الى آلموت ليتعلموا أسرار الدعوة . وقد اشترط الحسن الصباح فى الداعى أن يكون بارعا فى التشكيك ،ماهرا فى التلبيس ليخدعوا العامة ويدخلوهم فى عقيدتهم ،وقد كون هؤلاء الدرجات العليا ،وكانوا على علم بعقائد وأغراض وسياسة هذا النظام .

المرتبة الرابعة : مرتبة الرفاق :

وكانوا على شئ من الالمام بأسرارهذا النظام ،يتولون تثقيف الدعاة واعدادهم لمهمتهم ،ويتفانون فى المحافظة على المذهب ،متسلحين بأسلحة العلم من فقه ومنطق وفلسفة .

المرتبة الخامسة : الفداوية أو الفدائيون :

وهؤلاء كانوا يستخدمون فى قتل الأعداء غدرا ،ويضحون بأنفسهم فداء لرئيسهم ،ولايشترط فى الفداوى أن يتعمق فى دراسة أسرار المذهب ، انما يشترط فيه التفانى فى طاعة الرئيس والتضحية الى أبعد الحدود. فأصبحوا آلات انتقام فتاكة ،وخلفوا عصرا مليئا بالخوف والفزع . وكانوا يتصفون بالشجاعة النادرة وحب المخاطرة والعزيمة التى لاتقهر،والصبر الذى لاينفد ويظل الواحد منهم يترقب الفرصة شهورا بل سنين للفتك بعدوه ،ويشترط فى الفداوى أيضا أن يكونوا من الشبان الأقوياء الذين يجيدون عدة لغات . وكانوا يتلقون الأوامر والمهمات السرية الخطيرة من مركز الامام أو مقر نائبه فى قطره مباشرة . وكانوا على ثلاث درجات :

أولا : الرفاق أو المقدمون : وهم قادة الجيش والفداوية ، الذين

يشرفون على تدريبهم ويسهرون على تنفيذ المهمات العسكرية وغير العسكرية .

ثانيا : مرتبة الفدائيين : وهم الذين ينتقون بدقة من العناصر المخلصة المعروفة بالتضحية والاقدام والشجاعة النادرة، والجرأة الخارقة، فيكلفون بالتضحيات الجسدية وبتنفيذ أوامر الامام أو نائبه .

ثالثا : المستجيبون : وهم الذين يدخلون مدارس الفدائية من سن مبكرة ويتلقون التدريب والتعليم على أيدى كبار المتقدمين، ويسهر على تدريبهم وتعليمهم الامام نفسه أو نائبه "الشيخ" .

المرتبة السادسة : اللاصقون :

وهم ينتسبون الى الدعوة، ولكنهم ليسوا من الدعاة ولامن الفداوية انما يأخذون العهد على الناس دون أن يكون لهم حق نشر الدعوة ويأخذون العهد على المستجيبين دون أن يتعمقوا فى فهم أصول المذهب.

المرتبة السابعة : المستجيبون :

وهم عامة الناس أو المؤمنون المبتدئون، لايعرفون الكثير عن المذهب الاسماعيلى . انما عملهم الرئيسى زعزعة عقائد الناس، وبث الذعر فى نفوسهم (1) .

---

(1) مصطفى غالب : سنان راشد الدين " شيخ الجبل الثالث " ص ٧١ ، ٧٢ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٥٦٢/١، ٥٦٣، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ٢٧١/٤، ٢٧٢، ٢٧٣ .

من هذا التنظيم يتبين لنا أن الفداوية هم أهم مراتب هذا التنظيم حيث كان يعول عليهم تنفيذ سياسة التنظيم العسكرية والتصدى لكل عدو يريد أن ينال من الدولة النزارية ،لذلك اهتم الحسن بن الصباح بالفداوية اهتماما خاصا واختار عناصرها من الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والعشرين،يختارهم من بين سكان الجبال المجاورة ممن يبدون ميلا الى المرانة والدربة العسكرية وتتجلى فيهم صفة الشجاعة والاقدام ،وكذلك من أبناء الدعاة والمستجيبين المعروفين بغيرتهم للاسماعيلية واستعدادهم للتضحية فى سبيل مذهبهم ،وأخذ فى تدريب هؤلاء الشبان على الطاعة العمياء،والايمان بكل مايقوله لهم ثم بث فيهم حب التضحية فى سبيل العقيدة والامام ،وأخذ يدربهم على استعمال الأسلحة المعروفة فى تلك الأيام ولاسيما الخناجر،كذلك كان يعلمهم كيف يخفون أمر أنفسهم وأمر من معهم ،بحيث لايبوح أحد بسره أو سر الجماعة التى ينتمى اليها فاذا قبض عليه أحد الأعداء فلا يبوح بكلمة واحدة،بل يجب عليه أن يقتل نفسه قبل أن يضطر الى أن يتفوه بكلمة واحدة (١) .

الى جانب ذلك كان هؤلاء الفدائيون ملمين أحيانا ببعض اللغات الأجنبية حتى اللغات الأوروبية فهؤلاء هم الذين ندبوا لاغتيال المركيز كونراد دى مونتفرات Conrad of Montferrat كانوا يتحدثون باللغة الفرنسية بدرجة كافية ،وكانوا يحملون جوازات مرور باعتبارهم رهبانا مسيحيين خلال ستة أشهر يقضونها فى معسكر الصليبيين منتهزين الفرصة لتحقيق أغراضهم (٢) . وكانوا يلبسون نفس اللباس الذى كان

---

(١) ماركو بولو : رحلة ماركو بولو ص ٦٤،محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٧٣،٧٤ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ٧٩/١٢ .

يلبسه الحرس الخاص للقادة حتى يوهموا الجند بأنهم من الحرس الخاص ويغتالوا القائد الذى يريدون كما فعلوا فى محاولتهم لاغتيال القائد المسلم صلاح الدين الأيوبى حين دخلوا عليه فى خيمته وهم يلبسون نفس لباس الحرس الخاص بصلاح الدين فلم ينتبه لهم أحد وشرعوا فى تنفيذ مهمتهم لكن الله سلم بفضل الحيطة التى كان عليها صلاح الدين اذ كان يلبس الدروع فلم تؤثر خناجرهم فيه (١) . فكان هؤلاء الفداائيون يقتلون الأمير المسلم فى يوم الجمعة وفى المسجد فقتلوا الأمير مودود فى المسجد بعد انتهائه من صلاة الجمعة بدمشق (٢) . ويقتلون الأمير المسيحى أو الدوق فى يوم الأحد وفى أقدس الأماكن لديه وهى الكنيسة على مشهد من جماعة المصلين . فكان هؤلاء الفداائيين يعتقدون أن الموت فى سبيل تحقيق أغراض الشيخ "الحسن بن الصباح" على هذه الصورة المروعة أشرف ميتة ،وفيها توكيد لضمان السعادة ،حتى ان أمهات الفدائيين كن يبكين اذا عاد اليهن أبناؤهن أحياء يرزقون (٣) .

ولقد بلغت جرأة هؤلاء الفدائيين ذروتها حيث كان الواحد منهم يقتل نفسه طعنا بالخناجر أو يلقى بنفسه من على سور القلعة الشاهق ليسقط متحطما فى الوادى اذا طلب منه امامه وشيخه ذلك . فيروى أن السلطان السلجوقى ملكشاه (٤٦٥ ــ ٤٨٥هـ) بعث الى الحسن بن الصباح يدعوه الى الطاعة ويتهدده ويتوعده فقال لرسول السلطان السلجوقى الجواب ماتراه ثم قال لجماعة وقوف بين يديه أريد أن أنفذكم الى مولاكم فى حاجة فمن

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٤٣٠/١١، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩٣/١٢ .
(٢) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ٢٧/١، الذهبى : دول الاسلام ٣٥/٢ .
(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ٢٧٥/٤، ٢٧٦ .

ينهض لها فاشرأب كل منهم لذلك ،فظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها لهم ،فأومأ الى شاب منهم فقال له اقتل نفسك فجذب سكينا وضرب بها "عنقه" فخر ميتا،وقال لآخر ارم بنفسك من القلعة فألقى نفسه فتقطع في الوادى ثم التفت الى الرسول وقال : قل له عندى من هؤلاء عشرون ألفا هذا حد طاعتهم لى (١) .

واستخدم الحسن بن الصباح كل مالديه من مكر وحيلة ووسائل خداع حتى يبقى هؤلاء الفداوية طوع ارادته ،فيروى الرحالة البندقى ماركوبولو أن شيخ الجبل "الحسن بن الصباح" أنشأ فى واد محصور بين جبلين شامخين بستانا فاخرا،جمع فيه أشهى الثمرات وأعطر النباتات وشيد فيه قصورا متنوعة الأحجام والأشكال ،زينت بزخارف من ذهب ،وملئت حجراتها بالصور الزاهية وبالأثاث المكسو بأفخم الدمقس (٢) والاستبرق واستخدمت أنابيب مغيرة صممت فى هذه المبانى وبواسطتها كانت أنهار من خمر ولبن وعسل وماء فرات تشاهد وهى تفيض فى كل اتجاه . وكانت تسكن هذه القصور حوريات رشيقات جميلات دربن حتى أتقن جميع فنون الغناء،واللعب على جميع أنواع الآلات الموسيقية والرقص ،كما أتقن بوجه خاص أفانين الغزل والاغراء والدلال . وكن يشاهدن دوما وقد ارتدين أثمن الثياب وهن يتلاعبن ويسلين أنفسهن فى الحديقة وماحوت من جواسق وسرادقات . وجرت عادة شيخ الجبل "الحسن بن الصباح" بالتحدث الى الفداوية يوميا فى موضوع

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ،مخطوط ،١٣٠/ورقة ١٣٤أ، ابن واصل : التاريخ الصالحى ،مخطوط ،ورقة ١٧٠ ب ،ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص١٢٨، ابن كثير : البداية والنهاية ١٥٩/١٢ .

(٢) الدمقس : هو الديباج أو الحرير الأبيض أو القز . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ٢١٧/٢ .

الجنة التى بشر بها النبى صلى الله عليه وسلم وعن قدرته هو على الانعام بالدخول اليها للمقربين وبعد حديث طويل يتم من خلاله التشويق الى الجنة ونعيمها يأمر الحسن بن الصباح باعطاء الأفيون (الحشيش) لعشرة أو اثنى عشر من هؤلاء الشبان "الفداوية" فاذا صرعهم النوم فأصبحوا نصف موتى أمر بحملهم الى الأجنحة العديدة للقصور المتناثرة فى البستان ،فاذا استيقظوا من حالة التخدير،صعقت حواسهم بما يرونه من أشياء ووجد كل واحد منهم نفسه محوطا بجوارى فاتنات يغنين له ويلعبن بالآلات ويستهوين لبه وحواسه بأفتن أنواع المداعبة والعناق ،ويقدمن اليه أشهى اللحوم وأفخر الخمور،ولايزلن به حتى يسكر،حتى يعتقد تماما أنه فى الفردوس ،فاذا انقضت بهم على تلك الحال أربعة أيام أو خمسة دفعوا بهم ثانية الى حالة من النعاس وحملوا الى خارج البستان . وعندما يدخلون الى حضرة "شيخ الجبل" يسألهم أين كانوا : فيجيبون : " فى الفردوس بفضل عطف سموكم" . عندئذ يقول الرئيس مخاطبا لهم : " لقد وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وعده حقا،بأن الجنة يرثها عباد الله الصالحون الذين يدافعون عن مولاهم ،واذا أظهرتم اخلاصا فى طاعة أوامرى فان ذلك المصير السعيد ينتظركم" . حتى اذا سرت فيهم الحماسة بأقوال من هذا النوع ،كان كل فرد فيهم يعد نفسه سعيدا حين يتلقى أوامر سيده ويبدى توقه الى لقاء الموت فى خدمته .

وكانت نتيجة هذا النظام ،أنه متى جرؤ أى أمير مجاور أو بعيد على اثارة استياء هذا الرئيس كان جزاؤه الموت على يد هؤلاء السفاكين المدربين . ولم يكن أحد منهم يحس أدنى رهبة عند مخاطرته بفقد حياته التى لم يكن لها عندهم وزن كبير، ماتمكنوا من تنفيذ ارادة مولاهم وبناء على هذا أصبح طغيانه موضع الرهبة والفزع فى جميع الأقطار

المجـــــاورة (١) .

أما بالنسبة لاسلوب الدعوة الذى اتبعه الدعاة للدعوة النزاريـــــة فقد استخدموا عدة وسائل وتسلحوا بأسلحة مختلفة كى ينشروا أفكارهـــــم ويدخلوا الناس فى الدعوة النزارية ويصف أبو حامد الغزالى وسائلهـــــم التى كانوا يستخدمونها بأنها حيل يحتالون بها على الناس فقال : أمـــا درجات حيلهم فقد نظموها على تسع درجات مرتبة ،ولكل مرتبة اسم . أولهـــا الزرق والتفرس ،ثم التأنيس ،ثم التشكيك ،ثم التعليق ،ثم الربط ،ثـــم التدليس ،ثم التلبيس،ثم الخلع ،ثم السلخ (٢) .

أولا : الزرق والتفرس :

ينبغى أن يكون الداعى فطنا ذكيا صحيح الحدس صادق الفراسة متفطنـــا للبواطن بالنظر الى الشمائل والظواهر قادرا على ادراك مكونـــــات النفس البشرية يستطيع أن يتبين قوة ارادة الفرد ومبلغ سهولة انقيـــاده فيميز بين من يجوز أن يطمع فى استدراجه ويوثق بلين عريكته لقبـــــول مايلقى اليه على خلاف معتقده . فرب رجل جمود على ماسمعه لايمكـــــن أن ينتزع منه مايستفيد منه ،فلا يضيعن الداعى كلامه مع مثل هذا وليقطـــع طمعه منه ،وليلتمس من فيه انفعال وتأثر بما يلقى اليه من الكـــــلام . كذلك على الداعى الا يدعو الناس كلهم الى طريق واحد،بل يبحث أولا عـــــن معتقد كل انسان ومايميل اليه طبعه ومذهبه ،فان كان يميل الى الزهـــــد والتقشف والتقوى دعاه الى الطاعة والانقياد وزجره عن اتباع الغـــــى

---

(١) ماركوبولو : رحلة ماركوبولو " الينابيع " ص ٦٤، ٦٥ .

(٢) أبو حامد الغزالى : فضائح الباطنية ص ٢١، البغدادى : الفـــــرق بين الفرق ص ٢٩٨ .

والشهوات . وان كان طبعه مائلا الى المجون والخلاعة رسخ الداعى فى نفسه أن العبادة بله وأن الورع حماقة ،وانما الفطنة فى اتباع الشهوة ونيل اللذة وقضاء الوطر من هذه الدنيا الفانية . وهكذا يتدرج الداعى ويسير مع كل واحد فى الطريق الذى يناسبه .

ثانيا : حيلة التأنيس :

وهو من الأنس بمعنى بعث الأمن والطمأنينة فى نفوس المدعوين والمستجيبين فرسموا للدعاة أن يجعلوا مبيتهم كل ليلة عند واحد من المستجيبين ،ويجتهدون فى استصحاب من له صوت طيب فى قراءة القرآن ليسمعهم شيئا منه ،ثم يتحدث الداعى بشىء من الكلام الرقيق والمواعظ المؤثرة فى القلوب ثم يردف ذلك بالطعن فى السلاطين وعلماء الزمان ويعد بأن الفرج سيأتى قريب ببركة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وأثناء الحديث يبكى أحيانا ويتنفس الصعداء ،واذا ذكر آية أو خبرا ذكر أن لله سرا فى كلماته لايطلع عليه الا من اجتباه الله وشمله بلطفه ،واذا استطاع الداعى أن يتهجد بالليل مصليا وباكيا عند غيبة صاحب البيت بحيث يطلع عليه فاذا أحس بأنه اطلع عليه عاد الى منامه واضطجع كالذى يقصد اخفاء عبادته . كل ذلك ليستحكم الأنس به ويميل القلب الى الاصغاء الى كلامه .

ثالثا : حيلة التشكيك :

ومعناها أن يقوم الداعى بزعزعة وتغيير عقيدة المستجيبين وتعتبر هذه الخطوة من أخطر الخطوات فيبدأ بالسؤال عن الحكمة من الشرائع

ومامعنى المتشابه من الآيات ومامعنى "آلر" و "كهيعص" و "حم عسق" الى غير ذلك من أوائل السور وهل تعيين هذه الحروف بعينها لأسرار هى مودعة فيها لم تصادف فى غيرها، أم لا ؟ . ويشكك فى الأحكام : مابال الحائض تقضى الصوم دون الصلاة ؟ ولماذا يجب الاغتسال من المنى الطاهر ولايجب من البول النجس؟ ويشككه فى أخبار القرآن فيقول : مابال أبواب الجنة ثمانية ،وأبواب النار سبعة ؟ ومامعنى قوله : " عليها تسعة عشر" هل انتهت القافية فلم يكمل العشرين ،انه ليخيل الى أن وراء هذا التقييد سرا لايطلع عليه الا الأنبياء والأئمة الراسخون فى العلم ؟ وأن هذا السر فيه فائدة والعجب من غفلة الخلق لايشمرون عن ساعد الجد لمعرفة هذه الفائدة ،ولايزال يشككه حتى ينطبع فى نفسه أن تحت هذه الأشياء أسرارا سُدّت عنه وعن أصحابه ويصبح فى شوق لمعرفة هذه الأسرار وحقيقة هذه الأشياء .

رابعا : حيلة التعليق :

وهى ترك المستجيب بعد تشكيكه فى عقيدته معلقا متشوقا الى معرفة المذهب الاسماعيلى فيهوّل الأمر عليه ويعظمه فى نفسه ويقول له : لاتعجل فان الدين أجل من أن يُعبث به أو أن يوضع فى غير موضعه ويُكشَف لغير أهله ثم يقول له : لاتعجل ،ان ساعدتك السعادة وحالفك الحظ ستعرف السر أما سمعت قول صاحب الشرع : " ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لاأرضا قطع ولاظهرا أبقى " (١) .

---

(١) رواه البزار فى كتاب الايمان باب التيسير ،الهيثمى : كشف الأستار عن زوائد البزار ٥٧/١ .

وهكذا يبقى يشوقه حتى يصبح متعطشا لمعرفة ذلك السر ،فاذا وصل الى هذه الدرجة قال له : ان هذه الأسرار مكتومة لاتودع الا فى سر محصّن فحصن حرزك وأحكم مداخله حتى أودعه فيه . فيقول المستجيب : وما الطريق الى ذلك ؟ فيقول : ان آخذ عهد الله وميثاقه على كتمان هذا السر ومراعاته عن التضييع فانه الدر الثمين والعِلق النفيس . وما أودع الله هذه الأسرار أنبياءه الا بعد آخذه عهدهم وميثاقهم ،وتلا قوله تعالى : "واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا"(١) . وقال تعالى : " وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ماتفعلون"(٢) . وأما النبى صلى الله عليه وسلم فلم يفشه الا بعد أخذ العهد على الخلفاء وأخذ البيعة على الأنصار تحت الشجرة ،فان كنت راغبا فاحلف لى على كتمانه ،ولك الخيرة بعد ذلك : فان وفقت لدرك حقيقته سعدت سعادة عظيمة ،وان اشمأزت نفسك فلا حرج عليك كل ميسر لما خلق له ،ونحن نقدر كأنك لم تسمع ولم تحلف ،فان أبى الحلف تركه ،وان استجاب أخذ منه الأيمان والعهود والمواثيق .

خامسا : حيلة الربط :

وهى أن يربط لسان المستجيب بأيمان مغلظة ،وعهود مؤكدة لايقدر على المخالفة لها بأى حال . وهذه نسخة العهد : يقول الداعى للمستجيب : " جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله عليه السلام

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٧

(٢) سورة النحل : آية ٩١

وما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق ، انك تُسِرّ ما سمعته منى وتسمعه وعلمته وتعلمه من أمرى وأمر المقيم بهذه البلدة لصاحب الحق الامام المهدى ،وأمور اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته ،وأمور المطيعين له على هذا الدين ،ومخالصة المهدى ومخالصة شيعته من الذكور والاناث والصغار والكبار،ولاتظهر من ذلك قليلا ولاكثيرا تدل به عليه ، الاما أطلقت لك أن تتكلم به ،أو أطلق لك صاحب الأمر المقيم فى هذا البلد أو فى غيره ،فتعمل حينئذ بمقدار مانرسمه لك ولاتتعداه . جعلت على نفسك الوفاء بما ذكرته لك وألزمته نفسك فى حال الرغبة والرهبة ،والغضب والرضا ،وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه أن تتبعنى وجميع من أسميه لك وأبينه عندك مما تمنع منه نفسك وأن تنصح لنا وللامام ولى الله نصحا ظاهرا وباطنا ،وألاتخون الله ولاوليه ولاأحدا من اخوانه وأوليائه ومن يكون منه ومنا بسبب : من أهل ومال ونعمة ،وأنه لارأى ولاعهد تتناول على هذا العهد بما يبطله . فان فعلت شيئا من ذلك وأنت تعلم أنك قد خالفته ،فأنت برىء من الله وَرُسُله الأولين والآخرين ،ومن ملائكته المقربين ،ومن جميع ما أنزل من كتبه على أنبيائه السابقين،وأنت خارج من كل دين ،وخارج من حزب الله وحزب أوليائه ،وداخل فى حزب الشيطان ،وحزب أوليائه ،وخذلك الله خذلانا بينا يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة ان خالفت شيئا مما حلفتك عليه . بتأويل أو بغير تأويل فان خالفت شيئا من ذلك فلله (عليك أن تحج الى بيته ثلاثين حجة نذرا واجبا ،ماشيا حافيا ،وان خالفت ذلك) فكل ماتملكه فى الوقت الذى تحلف فيه صدقة على الفقراء والمساكين الذين لارحم بينك وبينهم وكل مملوك يكون لك فى ملكك يوم تخالف فيه فهم أحرار ،وكل امرأة تكون لك أو تتزوجها فى قابل (أى فى المستقبل) فهى طالق ثلاثا بته

ان خالفت شيئا من ذلك ،وان نويت أو أضمرت فى يمينى هذه خلاف ماقصدت فهذه اليمين من أولها الى آخرها لازمة لك • والله الشاهد على صدق نيتك وعقد ضميرك • وكفى بالله شهيدا بينى وبينك قل نعم " ـ فيقول "نعم" •

سادسا : حيلة التدليس :

وهو أنه بعد اليمين وتأكيد العهد لايسمح ببث الأسرار للمستجيب دفعة واحدة ،ولكن يتدرج شيئا فشيئا فيذكر له بداية أصول وقواعد المذهب ويقول : عين الجهل تحكيم الناس عقولهم الناقصة وآرائهم المتناقضة واعراضهم عن الإتّباع والتلقى من أصفياء الله وأئمته وأوتاد أرضه ،والذين هم خلفاء رسوله من بعده،فمنهم الذين أودعهم الله سره المكنون ودينه المخزون ،وكشف لهم بواطن هذه الظواهر وأسرار هذه الأمثلة ،وان الرشد والنجاة من الضلال بالرجوع الى القرآن وأهل البيت ولذلك قال عليه السلام : " ألم أترك فيكم القرآن وعترتى ؟ "أى أعقابه فهم الذين يطّلعون على معانى القرآن ثم يقول له : " انى مفشى اليك سرا وعليك حفظه" • فاذا قال : نعم ،قال : " ان فلانا وفلانا يعتقدون هذا المذهب ،ولكنهم يسرونه" ،ويذكر له من الأفاضل من يعتقد المستجيب أن فيهم الذكاء والفطنة ،وليكونوا بعيدين عن بلده ،حتى لاتتيسر له المراجعة بعد هذه المقدمات يصبح المستجيب فى شوق ولهف الى معرفة كنه هذا المذهب فيتدرج الداعى بعد ذلك فى تفصيل المذهب للمستجيب •

سابعا : حيلة التلبيس :

وهى تعريف المستجيب على مقدمات مقبولة الظاهر مشهورة عند الناس

حتى تترسخ فى نفسه ثم بعد ذلك يستدرجه باستخلاص نتائج باطلة من هذه المقدمات .

شامنا وتاسعا : حيلة الخلع والسلخ :

وهما متفقتان ويقصد بهما اقصاء المستجيب عن مذهب أهل السنة نهائيا فالخلع يختص بالعمل فاذا وصلوا بالمستجيب الى ترك حدود الشرع وتكاليفه يقولون وصلت الى درجة الخلع . أما السلخ فيختص بالاعتقاد الذى هو خلع الدين . فاذا انتزعوا ذلك من قلبه دعوا ذلك سلخا وسميت هذه الرتبة : البلاغ الأكبر (١) .

هذه هى درجات حيلهم فى الدعوة لمذهبهم . أسلوب قائم على الخداع والحيلة لايقاع السذج من الناس فى شراكهم وحبائلهم لذلك كان من الضرورى الاطلاع على هذه الحيل ،ففى الاطلاع عليها فوائد جمة لجماهير الأمة كما يقول الغزالى (٢) .

أما فيما يتعلق بالجانب العقدى فى الدعوة النزارية الاسماعيلية فهم يقولون : أن الأمر صار الى نزار بعد أبيه المستنصر ،وان من جحد امامته فقد أخطأ ،ويرون أن الطعن على الحسن بن الصباح فيما نقله عن المستنصر فى قوله : الامامة بعدى فى ولدى نزار،من أعظم الآثام (٣) .

بعد وفاة المستنصر وانتقال الامامة الى ابنه الأصغر أحمد المستعلى

---

(١) أبو حامد الغزالى : فضائح الباطنية ص ٢١ - ٣٢،المقريزى : خطط المقريزى ٩٧/٢ - ١٠٧،البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٩٨ - ٣١٢ .

(٢) أبو حامد الغزالى : فضائح الباطنية ص ٢١ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ٢٤٤/١٣ .

ثار الحسن بن الصباح واعتبر ذلك اغتصابا للحق الشرعى لنزار فى الامامة ،فتركزت جهود الحسن بن الصباح فى نشر الدعوة لنزار وكان يقول هو ومن جاء بعده من حكام آلموت : أنهم دعاة الأئمة من نسل نزار . وقد كان أولئك الأئمة المزعومون فى ستر تام ولم يعرف عنهم أى شئ . فاتبع نظرية الامام المستور (١) وجعل من نفسه نائبا للامام المستور من ولد نزار ،واستغل مبدأ التعليم من الامام المعصوم ،فادعى أنه لايمكن لأى انسان أن يعرف شيئا عن طريق غير طريق الامام أو نائبه ،ومادام هو نائب الامام فقد أصبح مصدر العرفان (٢) .

كما لجأ ابن الصباح الى التأويل ،فأول القرآن للنزارية تأويلا يتفق ونزعاته السياسية فاعتقد الدعاة أنه أحق بتعيينهم ،وقدسه المستجيبون (٣) .

ظل الحسن بن الصباح قائما على أمور الدعوة النزارية يرعاها ويمدها بتوجيهاته وتعليماته ،فلما أحس بقرب الأجل استدعى اليه فى آلموت اثنين من أشد الناس اخلاصا له ولدعوته وهما "كيابزرك أميد" و"أبو على" داعى الدعاة ،فجعل الأول مسئولا عن النواحى الدنيوية

---

(١) ذكرت بعض المراجع مثل كتاب أحمد جلى وغيره أن الحسن بن الصباح ابتدع نظرية جديدة هى نظرية الامام المستور وهذا غير صحيح ،فنظرية الامام المستور قامت عليها أغلب الدعوات الشيعية فمثلا المهدى الفاطمى أرسل دعاته الى المغرب وبقى هو مستورا ولم يظهر الابعد أن استقام الأمر له بأفريقية وقامت الدولة الفاطمية . فاذا الحسن بن الصباح لم يبتدع نظرية الامام المستور بل اتبعها .

(٢) برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ٧٧،حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ٢٧١/٤،أحمد جلى : دراسة عن الفرق ص ٢٣٢،٢٣٣ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ٢٧١/٤ .

وقائدا للفداثيين وجعل الثانى مسئولا على أمور الدعوة الروحية (١) .

بعد وفاة الحسن بن الصباح فى ٦ ربيع الثانى سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤م ، تولى رئاسة الاسماعيلية النزارية فى آلموت وسائر القلاع كيابزرك آميد وقد تميز عهده بالحروب مع السلاجقة مما أدى الى تدهور قوة الاسماعيلية فى كثير من القلاع وانحسار دولة آلموت فثار أهل آمد (٢) على من عندهم من الاسماعيلية فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل ،فضعف أمرهم بعد هذه الواقعة (٣) .

استمر كيابزرك آميد فى الحكم الى أن مات فى سنة ٥٣٢هـ وتولى رئاسة الاسماعيلية بعده أبناؤه وأحفاده ففى سنة ٥٥٧هـ تولى زعامة الدولة النزارية الحسن الثانى وهو حفيد كيابزرك آميد وكان الحسن هذا ذا عقلية فلسفية قوية ،درس مؤلفات كبار المفكرين الاسماعيليين والفلاسفة وخصوصا كتب ابن سينا،وكتب التصوف ،وأراد الحسن الثانى العودة بالاسماعيلية فى الموت الى عهد الحسن بن الصباح بما كانت عليه من حيوية فبدأ فى الدعوة الى تأويل روحى للاسماعيلية مختلف عما ألفته الاسماعيلية فى عهد أبيه وجده ،وكان الحسن الثانى فصيحا وعالما فاستطاع التأثير فى أتباع الاسماعيلية فى آلموت وقلاع الجبل ،وأصبحت له عندهم مكانة كبيرة . ويبدو أن بعض هؤلاء قد أخذوا يمجدونه الى درجة أن زعموا أنه هو الامام المنتظر (٤) .

---

(١) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص٧٩،محمد السعيد جمال الدين: دولة الاسماعيلية فى ايران ص١٠٤،١٠٥ .

(٢) آمد : مدينة قديمة حصينة مبنية بالحجارة السود وهى أعظم مدن ديار بكر من بلاد الجزيرة ،ونهر دجلة محيط بها من جميع جوانبها الامن جهة واحدة على شكل هلال . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٥٦/١، القزوينى : آثار البلاد ص ٤٩١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٦٢٥/١٠، الذهبى : دول الاسلام ٤٤/٢ .

(٤) عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٣٤٣/٢ .

بعد عامين ونصف من حكمه بدأ الحسن الثانى فى نشر اصلاحاته ففى ١٧ رمضان سنة ٥٥٩هـ دعا كل الأهالى فى مملكته للاجتماع فى رحبات الصلاة عند سفح قلعة آلموت فطلع عليهم وادعى أنه جاءه شخص سرا من عند الامام المستور يحمل رسالة جاء فيها : " أن الحسن بن كيابزرك هو خليفتنا وداعينا وحجتنا ،فعلى جميع من هم على عقيدتنا أن يطيعوه فى الأمور الأخروية والدنيوية وأن يأتمروا بأوامره ،ويعتبروا كلماته من وحى الله وأن لايخالفوا له أمرا ،بل يتقيدوا بها ويعملوا بها كما لو كانت من لدنا" [1] .

وبعد أن قرئ هذا السجل على الناس خطبهم الحسن الثانى وأمرهم بطرح جميع التكاليف الدينية والامتناع عن اقامة الفرائض الاسلامية لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته" [2] فالامام هو المسئول الأول عن أتباعه ،وهو الذى يتحمل بدلهم الحساب يوم القيامة ،ان أطاعوه طاعة تامة واعتقدوا امامته على هذا النحو . وبذلك دخلت الدعوة الاسماعيلية فى دور جديد هو دور القيامة أى عدم القيام بالفرائض الدينية من صلاة وصوم وحج . وعدم التقيد بما كان عند الاسماعيلية فى دور الظهور الأول "أى فى العصر الفاطمى" من الاعتقاد بالظاهر والباطن والقيام بالشعائر الدينية الظاهرة فوجدت هذه الآراء الجديدة آذانا صاغية من أتباع الاسماعيلية فى آلموت . ثم مالبث الحسن الثانى فى سنة ٥٥٩هـ أن قام بخطوة جديدة فأعلن أنه

---

(١) عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٣٤٤/٢،٣٤٥،محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٨١ .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة ،باب الجمعة ،البخارى : صحيح البخارى ١٦٠/١،وأخرجه مسلم فى كتاب الامارة باب فضيلة الامام العادل ،مسلم : صحيح مسلم ٢١٣/١٢ .

هو الامام من نسل نزار بن المستنصر الفاطمى ،وأصبح اسمه لايذكر الامقرونا بقولهم : " على ذكره السلام" وبذلك أصبح حكام آلموت من الحسن الثانى ومن جاء بعده من سلسلة النسب الفاطمى ،فازداد الناس حوله التفافا وفرحا بظهوره بعد الستر،وطاعة له لأنه المسئول عنهم أمام الله وقالوا : ان طاعة الامام الآن أوجب من أى وقت مضى . وهكذا آتى الحسن الثانى بثلاث تجديدات ،مالبث أتباع النزارية فى كل مكان أن قبلوها على درجات متفاوتة :

أولا : أعلن نفسه خليفة لله فى أرضه ،ولم يعد مجرد داع كما كان أسلافه فى الموت .

ثانيا : نسخ حكم الشريعة .

ثالثا : أعلن قيامة الموتى ،ونهاية الدنيا،وأن الذين استجابوا لدعوته قد بعثوا الآن للحياة الباقية ،وأن من لم يستجيبوا له قضى عليهم بالفناء (١) .

استمر أتباع الاسماعيلية فى آلموت وقلاع الجبل سائرين على هذه التعاليم يمجدونها الى أن برزت حركة مضادة لحركة القيامة التى أعلنها الحسن الثانى والتى بدأت بتولى الحسن الثالث حفيد الحسن الثانى لزعامة الاسماعيلية فى آلموت سنة ٦٠٧هـ اذ أمر باعادة القيام بالفرائض الدينية كما كانت قبل ظهور جده ،وأمر ببناء المساجد واقامة الأذان للصلاة وقرب اليه الفقهاء والقراء . ووردت رسل الباطنية الى بغداد من آلموت وبقية بلادهم أخبروا أنهم أسلموا وأظهروا شعائر الاسلام

(١) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٨١ - ٨٢،عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٣٤٥/٢ .

وبعثوا ذهبا مضروبا باسم "الخليفة العباسى" الناصر لدين الله (٥٧٥ – ٦٢٢هـ)[1] . وأرسل الحسن الثالث الى السلطان السلجوقى وغيره من الملوك والأمراء المسلمين يؤكد لهم صدق عودته الى التعاليم الاسلامية والقيام بشعائر الدين وفرائضه ،ففرح المسلمون بذلك ،وآخذ كل ملك يخلع على الحسن الثالث الألقاب الاسلامية ومن هذه الألقاب "المسلم الجديد" . وذهب الحسن الثالث الى آبعد من هذا اذ انتهز فرصة زيارة بعض وفود المسلمين له فأحرق آمامهم كتب الحسن بن الصباح وكتب الاسماعيلية السرية ،وطعن فى الحسن بن الصباح وكل من تولى آمر الاسماعيلية بعده ورماهم جميعا بالكفر والالحاد،ثم بعث آمه وزوجه لأداء فريضة الحج ،وآمر ببناء التكايا على طول الطريق الى مكة المكرمة ثم شرع فى عقد معاهدات الصلح والتحالف مع آعدائه من الملوك والأمراء[2] .

استمر الحسن الثالث على هذه التعاليم طوال فترة حكمه وكذلك ابنه محمد الثالث الذى جاء الى الحكم بعده فى سنة ٦١٨هـ سار على نفس النهج مؤكدا على تعاليم آبيه ولكن على مايبدو آن الاسماعيلية فى آلموت من آتباع الحسن الثانى لم يكونوا راضين عن هذه التعاليم الجديدة مما آثار غضبهم الشديد فعقدوا العزم على التخلص من محمد الثالث بن الحسن الثالث فأرسلوا اليه آحد الفدائيين فطعنه بخنجر فقتله وذلك فى عام ٦٥٣هـ . وبمقتل محمد الثالث رجعت الاسماعيلية الى

---

(١) ابن آبى الدم الحموى : التاريخ المظفرى ،مخطوط ،ورقة ٣٢ه أ،ابن الأثير : الكامل ٢٩٨/١٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٢٩٨/١٢،٢٨٨/١١،٢٨٩،محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٨٢ – ٨٣،عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٤٠٨/٢،٤٠٩ .

آراء الحسن الثانى فعادت الى ماكانت عليه من ضلال وانحراف عن الدين واغتيال وارهاب واستمرت على هذا النهج الى أن اجتاحت جموع الجيش المغولى القلاع والحصون التى فى طريقها وكانت قلاع الاسماعيلية من بينها فدمرت ونهبت وكتبت نهايتها على يد هولاكو قائد الجيش المغولى فى عام ٦٥٤هـ وقتل ركن الدين خورشاه آخر الأئمة الاسماعيلية النزارية فى آلموت (١) . وبذلك انتهت الدولة الاسماعيلية النزارية فى بلاد فارس والتى دامت احدى وسبعين ومائة عاما ،كان بدؤها عام ثلاث وثمانين وأربعمائة (٤٨٣هـ) وانتهاؤها عام أربع وخمسين وستمائة (٦٥٤هـ) ،وكان عدد آئمة هذه الدولة ثمانية تولوا الحكم على التوالى بالترتيب وهم :

(١) الحسن بن الصباح الحميرى (٤٨٣ – ٥١٨هـ)
(٢) كيابزرك آميد (٥١٨ – ٥٣٢هـ)
(٣) محمد بن كيابزرك آميد (٥٣٢ – ٥٥٧هـ)
(٤) الحسن الثانى ابن محمد (٥٥٧ – ٥٦١هـ)
(٥) محمد الثانى ابن الحسن الثانى (٥٦١ – ٦٠٧هـ)
(٦) الحسن الثالث ابن محمد الثانى (٦٠٧ – ٦١٨هـ)
(٧) محمد الثالث ابن الحسن الثالث (٦١٨ – ٦٥٣هـ)
(٨) ركن الدين خورشاه (٦٥٣ – ٦٥٤هـ)

أما عن الاسماعيلية النزارية فى بلاد الشام فان أول ظهورهم كان عام ٤٩٩هـ حيث تملكوا حصن أفامية (٢) فقطعوا الطريق وأخافوا السبل وانضم اليهم

---

(١) الذهبى : دول الاسلام ١٥٨/٢ ،محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٨٥،٨٦ ،كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٥٦ .

(٢) أفامية : مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢٢٧/١ .

كل مفسد . وكان أول من أظهر هذا المذهب الخبيث بالشام هو الحكيم[1] المنجم وأبو طاهر الصائغ أيام الملك رضوان فمال اليهم خلق كثير بسرمين[2] والجزر[3] وجبل السماق[4] . واستطاع الحكيم المنجم[5] بشئ من المكر والدهاء أن يستميل الملك رضوان أمير حلب الى الاسماعيلية الباطنية فأخذ الملك رضوان يستعين بهم لقلة دينه فكثروا فى حلب وأظهروا مذهبهم وأصبح لهم دار دعوة بها[6] .

أخذ الملك رضوان يستغل شجاعة الاسماعيلية وجرأتهم فى التخلص من أعدائه وتحقيق أطماعه الشخصية فأوعز اليهم اغتيال زوج أمه جناح الدولة حسين صاحب حمص بعد أن أشاع الباطنية وشاية مفادها أن جناح الدولة حسين عازم على أخذ حلب من رضوان ،فأرسل اليه الحكيم المنجم ثلاثة نفر من الفداائية فوثبوا عليه فى المسجد الجامع بحمص فقتلوه هو وجماعة من أصحابه بعد انتهائهم من صلاة الجمعة وقتل الحكيم المنجم

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ١٣/ورقة ١٤٢أ،الذهبى : دول الاسلام ٢٨/٢ .

(٢) سرمين : بلدة مشهورة من أعمال حلب أهلها من الاسماعيلية . ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢١٥/٣ .

(٣) الجزر : موضع بالبادية وهى كورة من كور حلب . ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٣٣/٢ .

(٤) جبل السماق : جبل عظيم من أعمال حلب الغربية مشتمل على مدن عظيمة وقرى وقلاع كلها مساكن للاسماعيلية الملاحدة . البغدادى : مراصد الاطلاع ٣١١/١ .

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٠،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٦٨/٥،١٦٩ .

(٦) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢٢٧/٢،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٠٥/٥،ابن الأثير : الكامل ٤٩٩/١٠،ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ص ١٤٠،١٤١ .

بعد الحادثة بأربعة عشر يوما[1] .

تولى أمر الدعوة الباطنية بحلب بعد مقتل الحكيم المنجم رفيقه أبو طاهر الصائغ العجمى فاستمر على سياسة سلفه فى نشر الأضاليل وبث الرعب وسفك الدماء فاستطاع فى سنة ٤٩٩هـ وبمساعدة أحد دعاتهم أبو الفتح السرمينى وبعض من أهل سرمين من أن يقتل خلف بن ملاعب صاحب حصن أفامية وأن يستولى على الحصن ويقيم فيه[2] . لكن بلغ الملك رضوان فى سنة ٥٠١هـ أنه لعن فى مجلس السلطان بركيارق السلجوقى بسبب مشايعته للباطنية واستعانته بهم وحفظه لجانبهم فأمر أبا الغنائم ابن أخى أبى الفتح السرمينى الباطنى بالخروج من حلب هو ومن معه من أصحابه ،فخرج القوم من حلب فتخطفوا وقتل منهم أفراد[3] . ومع ذلك بقى الملك رضوان يستخدم الباطنية فى أغراضه الخاصة ويستعين بهم فى أموره الى أن بلغه أنهم يريدون اغتياله وأخذ قلعة حلب منه فأدرك خطرهم وبدأ فى اضطهادهم ولكنه توفى سنة ٥٠٧هـ فملك حلب بعده ابنه ألب أرسلان فأرسل اليه السلطان السلجوقى محمد بن ملكشاه كتابا قال فيه : " كان والدك يخالفنى فى الباطنية ،وأنت ولدى ،فأحب أن تقتلهم " . فشرع ابن بديع رئيس الشرطة فى حلب فى الحديث مع الملك ألب أرسلان فى شأن الباطنية وخوفه منهم وحثه على قتلهم والايقاع بهم . فأمره ألب أرسلان بذلك

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٠، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٦٨/٥، ١٦٩، ابن العديم : بغية الطلب ص ١٢١، ١٢٢، ١٢٣ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٢، ابن العديم : بغية الطلب ص ١٢٩ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣٦/٣ .

(٣) ابن العديم : بغية الطلب ص ١٤٤ .

فقبض على مقدمهم أبى طاهر الصائغ وعلى كل من دخل فى مذهبهم وكان عددهم زهاء مائتى نفس ،فقتل فى الحال أبو طاهر الصائغ ،واسماعيل الداعى ،وأخو الحكيم المنجم والأعيان منهم ،وحبس الباقون واستصفيت أموالهم،وشفع فى بعضهم ،فمنهم من أطلق ،ومنهم من رمى من أعلى القلعة وهرب منهم جماعة قاصدين الفرنج ،وتفرقوا فى البلاد[(١)] .

استمرت محنة الباطنية وبقوا متخفين لايقدر أحد منهم أن يظهر نفسه الى أن وفد الى الشام داعى الباطنية بهرام فعظم أمره وهو على غاية من الاستتار والاختفاء وتغيير الزى واللباس فكان يطوف البلاد ولاأحد يعرف شخصيه. فأخذ يدعو أوباش الناس فتبعه الجهال منهم وسفهاء العوام فكثر جمعه وأقام بحلب مدة عند ايلغازى صاحبها ،وأراد ايلغازى أن يتقى شره وشر أصحابه فأشار ايلغازى على ظهير الدين طغتكين أتابك[(٢)] دمشق بأن يجعله عنده لهذا السبب ،فقبل رأيه فذهب بهرام الى دمشق ودعا الى مذهبه بها وأظهر شخصيته وأعانه أبو طاهر بن سعيد المزدقانى وزير طغتكين فعظم شره واستفحل أمره وصار أتباعه أضعاف ماكانوا حتى كاد أن يملك البلد غير أن بهرام رأى من أهل دمشق فظاظة وغلظة عليه فخاف عاديتهم فطلب من طغتكين حصنا يأوى اليه هو ومن اتبعه ،فأشار الوزير المزدقانى بتسليم قلعة بانياس[(٣)] اليه ،فسلمت اليه فسار اليها

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٢/ورقة ٦٣ ب ،ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٠٢،ابن الأثير : الكامل ٤٩٩/١٠ .

(٢) أتابك : معناها أمير أب أى أبو الأمراء أى أكبر الأمراء المقدمين وليس للأتابك وظيفة ترجع الى حكم وأمر ونهى،وغايته رفعة المحل وعلو المقام . انظر القلقشندى : صبح الأعشى ١٨/٤ .

(٣) بانياس : بلدة قرب دمشق ،تحت الجبل الذى فى غربى دمشق ،يرى عليه الثلج ،وفيها الليمون والأترج . انظر البغدادى : مراصد الاطلاع ١٥٨/١ .

وتجمع حوله أصحابه من كل ناحية فعظم حينئذ خطبه وجلت المحنة بظهوره واشتد الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدين ولاسيما أهل السنة (١) .

بدأ بهرام وجماعته من الباطنية ينشرون الرعب والفزع فى وسط المجتمع الاسلامى وبدأوا فى استخدام اسلوبهم المعهود فى الغدر والاغتيال وتصفية قادة الجهاد من المسلمين الذين آخذوا على عاتقهم توحيد الجبهة الاسلامية والوقوف فى وجه الصليبيين لطردهم من بلاد المسلمين فوجهوا خناجرهم الغادرة الى قسيم الدولة آقسنقر البرسقى صاحب الموصل بدلا من توجيهها الى الصليبيين أعداء المسلمين فقتلوه يوم الجمعة بالمسجد الجامع وهو يصلى الجمعة مع العامة فخسر العالم اللاسلامى بمقتله واحدا من قادة الجهاد ضد الصليبيين والاسماعيلية (٢) .

لم يكتف بهرام داعى الباطنية بذلك بل حدثته نفسه بقتل برق بن جندل أحد مقدمى وادى التيم لغير سبب حمله عليه بل اغترارا بعاقبة الظالمين فى سفك الدماء المحرمة وافاضة النفوس المحظورة فخدعه الى أن حصل فى يده فاعتقله وقتله صبرا (٣) . ثارت الحمية فى نفس الضحاك بن جندل آخو برق بن جندل وجماعته وأسرته فعزموا على الأخذ بثأره فتجمعوا وتعاهدوا وتحالفوا على المصابرة على لقاء أعدائهم فخرج اليهم الضحاك فى آلف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع فيهم السيف ،وقتل منهم

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٤٢،٣٤٣، ابن الأثير : الكامل ٦٣٢/١٠،٦٣٣، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢/٣ .

(٢) الذهبى : العبر ٤١٣/٢، ابن الأثير : الكامل ٦٣٣/١٠،٦٣٤، أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ٣٠/١، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٦١/٤ .

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥٢، ابن الأثير : الكامل ٦٥٦/١٠ .

عددا كبيرا ،وقتل بهرام وقطع رأسه ويده ومضى بهما الى مصر بشـــــارة بهلاكه ،أما الذين سلموا من القتل فانهزموا وعادوا الى بانياس علـــى أقبح صورة (١) .

تولى أمر الباطنية فى الشام بعد مقتل بهرام صاحبه اسماعيـــل العجمى وكان بهرام قد استخلفه فى بانياس فقام مقامه وجمع فلول الباطنية ورتب أمرهم وبث دعاته فى البلاد وساعده فى ذلك الوزير أبو علـــى المزدقانى اذ أقام بدمشق مكان بهرام رجلا باطنيا اسمه أبو الوفـــاء فقوى أمر هذا الباطنى وعلا شأنه وكثر أتباعه حتى أصبح حكمه فى دمشـــق أكثر من حكم تاج الملوك (٢) صاحبها (٣) .

لم يكتف الوزير المزدقانى بمشايعته للباطنية ومساعدته لهم بـــل ذهب الى أبعد من هذا اذ استحل الخيانة العظمى بمراسلته للفرنج علـــى أن يسلم اليهم مدينة دمشق ويسلموا اليه مدينة صور،فاتفقوا علـــى هذا واستقر الأمر بينهم على أن يأتى الفرنج الى دمشق يوم الجمعــــة لأخذها . ورتب المزدقانى الأمر كذلك مع الباطنية فى دمشق بقيادة أبـــى الوفاء على أن يحتاطوا فى ذلك اليوم وأن يقفوا على أبواب جامع دمشـــق ولايمكنوا أحدا من الخروج من الجامع حتى يجئ الفرنج ويملكوا المدينـــة

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥٢،٣٥٣،ابن الأثير : الكامـــل ٦٥٦/١٠،ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ورقة ٤٥٢ب،النويرى : نهاية الأرب ٧٩/٢٧ .

(٢) هو تاج الملوك بورى بن ظهير الدين طغتكين أتابك دمشق ،تولـــى الأمر فى دمشق بعد وفاة أبيه سنة ٥٢٢هـ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٦٥٦/١٠،أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشـــر ٢/٣،القلقشندى : صبح الأعشى ١٢١/١،١٢٢،النويرى : نهاية الأرب ٨٠/٢٧ .

علم تاج الملوك بورى صاحب دمشق بهذه المؤامرة فعزم على التخلص من الباطنية وشرهم فاستدعى اليه الوزير المزدقانى فحضر وخلا معه فقتله تاج الملوك وعلق رأسه على باب القلعة ونادى فى البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ستة آلاف نفر (1) .

أما اسماعيل الداعى زعيم الباطنية المقيم ببانياس فانه لما سمع هو ومن معه ماحدث للباطنية فى دمشق خافوا على أنفسهم فراسل اسماعيل الفرنج وبذل لهم تسليم بانياس على أن ينتقل الى بلادهم ليأمن على نفسه هو وجماعته فأجابوه على ذلك فسلم قلعة بانياس اليهم وانتقل هو وأصحابه الى بلادهم فى غاية من الذلة والهوان وكفى الله المؤمنين قتالهم وخلص الشام من شرهم وهلك اسماعيل زعيمهم فى العام التالى سنة ٥٢٤هـ (2) .

علم باطنية آلموت بما حدث لأقرانهم فى الشام فأسقوا عليهم وحزنوا حزنا شديدا وعزموا على الانتقام لهم فندبوا اثنين من الخرسانية الفداوية لقتل تاج الملوك فحضرا الى دمشق وتدرجا بالحيلة والمكر الى أن صارا من المرتبين لحفظ تاج الملوك ولما تمكنا منه وثبا عليه فى يوم الخميس الخامس من شهر جمادى الآخرة سنة ٥٢٥هـ فضربه أحدهما بالسيف طالبا لرأسه ،فجرحه فى رقبته ولم يتمكن من قتله وضربه الآخر بسكين فلم يتمكن من قتله ،فرمى تاج الملوك بنفسه فى

---

(1) ابن الأثير : الكامل ٦٥٦/١٠، ٦٥٧، ابو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٣٠٢/٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٠٠/١٢، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٦٦/٤ .

(2) ابن الأثير : الكامل ٦٥٧/١٠، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥٥، ٣٥٦، ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ورقة ٤٥٢ب، النويرى : نهاية الارب ٨٠/٢٧ .

الحال عن فرسه سليما وتكاثر الرجال عليهما وقطعوهما بالسيوف وعولجت جراح تاج الملوك فعوفى وسلمه الله من غدر هؤلاء الملاعين (١) .

فى هذا الوقت ظهرت شخصية بارزة لها أهميتها بين اسماعيلية الشام هى شخصية سنان راشد الدين واسمه أبو الحسن بن سليمان بن محمد راشد الدين ، أصله من قرية عقر السدن من قرى الشرطة بين واسط والبصرة أهلها كلهم اسحاقية (٢) نصيرية (من غلاة الشيعة) أهل ضلالة ومنها كان الضال المضل سنان داعية الاسماعيلية ودجالهم ومضلهم الذى فعل الأفاعيل التى لم يقدر عليها أحد قبله ولابعده وكان يعرف السيما (٣) (أى الحيل والشعوذات) .

لم يكن سنان ولا آسرته على مذهب هؤلاء وعقيدتهم بل كانوا على مذهب الشيعة الاثنى عشرية ولما شب سنان تحول الى مذهب الاسماعيلية على يد داعى دعاة العراق الذى لمس فيه النجابة والذكاء فحبب اليه الرحيل الى آلموت ليتلقى هناك علوم الدعوة الاسماعيلية فذهب الى آلموت وهناك توطدت صلة سنان بولى العهد فى آلموت الحسن الثانى بن محمد فلما تولى الحسن الثانى الامامة أمر سنان بالرحيل الى الشام

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٦٥، ٣٦٦، ابن الأثير : الكامل ٦٧٠/١٠، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٥/٣، النويرى : نهاية الارب ٨١/٢٧ .

(٢) الاسحاقية نسبة الى أبى يعقوب اسحق النخعى وهو من أصحاب الحسن العسكرى كان يقول بالاباحة واسقاط التكاليف ، ويثبت لعلى "رضى الله عنه" شركة مع رسول الله صلى الله عليه وآله فى النبوة على وجه غير هذا الظاهر الذى يعرفه الناس . انظر ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ١٢٢/٨ .

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٣٧/٤ .

ليشرف بنفسه على شئون الطائفة وليبث الآراء الجديدة التى نادى بها الحسن (١) .

وفد سنان الى الشام سنة ٥٥٨هـ فى زى الفقراء الصوفية حتى لايعرفه أحد،فوصل الى الرقة (٢) ثم الى حلب حيث قصر اتصاله على الأوساط الاسماعيلية هناك ثم انتقل الى مصياف (٣) ثم الى الكهف وبقى بها سبع سنوات ،وظل سنان خلال هذه المدة متخفيا ولم يعلن أنه مبعوث من قبل آلموت لرئاسة الدعوة فى الشام الا قبيل وفاة أبى محمد المينقى رئيس الدعوة الاسماعيلية فى الشام (٤) .

توفى أبو محمد المينقى رئيس الاسماعيلية فى سنة ٥٦٥هـ وتولى امامة الاسماعيلية فى الشام بعده سنان راشد الدين وتعتبر شخصية سنان شخصية مميزة فى تاريخ الدعوة الاسماعيلية الباطنية فى الشام اذ نادى بأفكار ومعتقدات جديدة،فأدخل فى المذهب الاسماعيلى فى الشام مبدأ تناسخ الأرواح الذى كان يؤمن به سنان وهذا لم تقل به الاسماعيلية من قبل لافى مصر ولافى آلموت ،ويبدو أن سنانا تأثر بمعتقدات البيئة التى كان يعيش فيها وهو صغير والتى كان أهلها من النصيرية الذين يقولون بتناسخ الأرواح فرسخت هذه المعتقدات فى مخيلته ونادى بها عند

---

(١) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٩٩،١٠٠ .

(٢) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام وهى من بلاد الجزيرة . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٥٩/٣ .

(٣) مصياف : حصن حصين مشهور للاسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس . وهى فى معجم البلدان بلفظ مصياب . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٤٤/٥ .

(٤) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ١٠٠،عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٣٧٠/٢،٣٧١ .

توليه امامة الباطنية فى الشام . الى جانب هذا ادعى سنان راشد الدين معرفته بالغيب ومقدرته على التنبؤ والرؤية ،من ذلك ماروواه أبو فراس فى مناقب المولى سنان أن صبيا حمل حجرا ثقيلا ولما دفع الحجر عن الأرض عض على شفته فقطعها من ثقل الحجر فلم يدر أحد بحاله ولكن المولى راشد الدين أمر العمال فى ذلك اليوم بأن يرتفعوا عن عملهم قبل الظهر فاستغربوا ذلك فقال لهم ان صبيا منكم قد عض على شفته فقطعها لثقل الحجر التى حملها وهو فى حاجة الى من يعتنى به والا مات (1).

لم يكتف سنان بهذا بل ذهب الى أبعد من ذلك فلقد ذكرنا أن سنانا كان على معرفة بعلم السيما (أى الحيل والشعوذات) كما قال ياقوت الحموى ويبدو أن هذه الحيل والشعوذات التى كان يفعلها سنان أفلحت فى التلبيس على العامة فاعتقد البعض أنه نبى وصاحب معجزات واعتقد البعض الآخر أنه اله تجسد بينهم فاستغل سنان هذه السذاجة وراح يؤكد فى النفوس على هذه المعانى فادعى الألوهية من دون الله ،ولقد كتب الرحالة ابن جبير الذى زار منطقة الشام بما فيها مناطق الاسماعيلية الباطنية فى سنة ٥٨٠هـ وهو يصف جبل لبنان مايلى :

"وهو سامى الارتفاع ،ممتد الطول متصل من البحر الى البحر وفى صفحته حصون للملاحدة الاسماعيلية ،فرقة مرقت من الاسلام وادعت الألوهية فى أحد الأنام ،قيض لهم شيطان من الانس يعرف بسنان خدعهم بأباطيل وخيالات موه عليهم باستعمالها وسحرهم بمحالها ،فاتخذوه الها يعبدونه

---

(1) مصطفى غالب : سنان راشد الدين ص ١٩٨، ١٩٩، عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٢/٣٧٥، ٣٧٦، محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ١٠٤، ١٠٥ .

ويبذلون الأنفس دونه ،وحصلوا فى طاعته وامتثال آمره بحيث يأمر آحدهم بالتردى من شاهقة جبل فيتردى ،ويستعجل فى مرضاته الردى " (١) .

انتقل سنان من الكهف الى قلعة مصياف حيث اتخذها مركزا لقيادته ومنها وجه اهتمامه لاعداد جيل جديد من المحاربين المدربين على الأعمال الفدائية والأمور العسكرية ورمم القلاع وآمر ببناء قلعة المرقب (٢) واستولى على قلعة العليقة (٣) بحيلة بارعة ،فى هذا الوقت كان نور الدين محمود منهمكا فى توحيد الجبهة الاسلامية وفى آوج انتصاراته على الصليبيين ،فلما رآى آن الاسماعيلية يملكون قلاعا داخل دولته ويتوسعون فى مناطقهم شعر بآنهم خطر عليه وخنجر فى ظهره ،فآخذ يرسل اليهم الحملات العسكرية لتحجيم خطرهم واخضاعهم لكن كل هذه الحملات باءت بالفشل ،فعزم نور الدين على السير بنفسه على رآس جيش لمحاربة سنان وجماعته لكن المنية عاجلته فى سنة ٥٦٩ هـ ،فحالت بينه وبين ذلك وتولى زعامة الدولة النورية بعده ابنه الصالح اسماعيل وعمره احدى عشرة سنة (٤) .

وانتقل الملك الصالح من دمشق الى حلب واستبد سعد الدين كمشتكين فى

---

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٢٩، الحميرى : الروض المعطار ص ٥٠٨، عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٣٧٧/٢ .

(٢) المرقب : بلدة وقلعة حصينة تشرف على سواحل بحر الشام وعلى مدينة بانياس . البغدادى : مراصد الاطلاع ١٢٥٩/٣ .

(٣) العليقة : قلعة على جبل مرتفع عال يرى على بعد وهى على نحو ساعة من المينقة .
انظر القلقشندى : صبح الأعشى ١٤٧/٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٤٠٥/١١، عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٣٧٨/٢، ٣٧٩، محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ١٠٠، ١٠١ .

تدبير دولة الملك الصالح ،فخافه شمس الدين ابن المقدم وغيره من الأمراء الذين بدمشق فكاتبوا صلاح الدين بن أيوب صاحب مصر واستدعوه ليملكوه عليهم،فسار صلاح الدين فى مستهل ربيع الأول سنة ٥٧٠هـ الى دمشق فملكها،(١) ثم ملك حمص وحماه فى نفس السنة،(٢) ثم سار الى حلب وحاصرها وبها الملك الصالح اسماعيل ،فارسل سعد الدين كمشتكين الى سنان مقدم الاسماعيلية أموالا عظيمة ليقتلوا صلاح الدين ،فأرسل سنان جماعة من الفداوية فوثبوا على صلاح الدين فجرحوه جراحات مثخنة ثم قتلوا دونه (٣) .

لم يكتف سنان بهذه المحاولة لاغتيال القائد صلاح الدين بل ذهب يكيد ويدبر المؤامرات ضد هذا البطل،فدبر محاولة ثانية لاغتياله وذلك فى ذى القعدة من سنة ٥٧١هـ عندما كان محاصرا لقلعة أعزاز،(٤) اذ وثب عليه باطنى فضربه بسكين فى رأسه فجرحه فأمسك صلاح الدين يد الباطنى بيده ،الا أن الباطنى بقى يضرب بالسكين لكن ضربه كان ضعيفا لايؤثر فأمسك صلاح الدين السكين بكفه فجرحه الباطنى ولم يطلقها من يده الى

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ،مخطوط ٣/ورقة ١٢٩ب ، ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ،ورقة ٥٤٥أ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ،مخطوط ٣/ورقة ١٣٠ب ، ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ورقة ٥٤٥أ .

(٣) المصادر السابقة نفس الأجزاء والصفحة ، ابن واصل : التاريخ الصالحى ورقة ١٩٨ب ، ابن الأثير : الكامل ٤١٥/١١،٤١٩، ابو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٥٦/٣،٥٧، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٣٠٠/٥ .

(٤) اعزاز : قلعة من أعمال حلب من العواصم لها رستاق وسوق . وهى أيضا اسم لموضع باليمن . انظر ياقوت الحموى : المشترك وضعا والمفترق صقعا ص ٣٠٧ .

أن قتل الباطنى ،وجاء باطنى آخر فقتل ،وجاء ثالث فقتل .(١)

بعد هذه المؤامرات عزم صلاح الدين على تطهير الشام من الاسماعيلية الباطنية والقضاء عليهم فقصد بلدهم فى المحرم من سنة ٥٧٢هـ فنهبه وخربه وأحرقه ثم حاصر قلعة مصياف(٢) ونصب عليها المجانيق ،وضيق على من بها فأرسل سنان مقدم الاسماعيلية الى شهاب الدين الحارمى صاحب حماه وهو خال صلاح الدين يسأله أن يدخل بينهم ويصلح الحال ويشفع فيهم ويقول له : "ان لم تفعل قتلناك" فحضر شهاب الدين عند صلاح الدين وشفع فيهم وسأله الصفح عنهم ،فأجابه الى ذلك وصالحهم ورحل عنهم .(٣)

يبدو أن الاسماعيلية من ذلك التاريخ دخلوا فى طاعة صلاح الدين وأصبح يستخدمهم فى اغتيال ملوك وأمراء الصليبيين . ففى سنة ٥٨٨هـ أوعز صلاح الدين الى مقدم الاسماعيلية بالشام وهو سنان بقتل المركيس الفرنجى صاحب صور،فأرسل رجلين من الباطنية فى زى الرهبان الى صور ومكثا هناك ستة أشهر يظهران العبادة حتى أنس بهما المركيس ووثق بهما ،فلما تمكنا منه وثب عليه الباطنيان فجرحاه جراحا بليغة ،وهرب أحدهما ودخل

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٣/ورقة ١٣٥ب ،ابن واصل : التاريخ الصالحى ورقة ١٩٩أ،ابن الأثير : الكامل ٤٣٠/١١،أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٥٨/٣،ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩٣/١٢،الذهبى دول الاسلام ٨٥/٢ .

(٢) فى ابن خلدون قلعة باميان ،ولكن ما أجمعت عليه المصادر هو لفظ مصياف والبعض منها يقول مصياب وكلاهما صحيح .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٣/ورقة ١٣٥ب، ١٣٦أ،ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ورقة ٥٤٧أ،ابن الأثير : الكامل ٤٣٦/١١،أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٥٩/٣،ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٣٤٠/٥،المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ٦٢/١،ابن واصل : التاريخ الصالحى ورقة ١٩٩أ .

كنيسة يختفى فيها، فحمل المركيس الى هذه الكنيسة لمعالجة جراحه فوثب عليه ذلك الباطنى فقتله وقتل الباطنيان بعده[(١)] .

ولما وقع صلاح الدين الهدنة مع ملك انجلترا ريتشرد قلب الأسد فى ٢٢ شعبان من سنة ٥٨٨هـ واقتسموا فيما بينهم بلاد الشام ، اشترط السلطان صلاح الدين دخول بلاد الاسماعيلية فى عقد هدنته[(٢)] .

توفى سنان راشد الدين مقدم الاسماعيلية فى الشام فى سنة ٥٨٨هـ بعد أن قضى ثلاثين عاما فى خدمة المذهب الاسماعيلى فى الشام[(٣)] ، ودفن فى قلعة الكهف ،وفى عهده كانت اسماعيلية الشام قوية الشوكة ،وخلفه فى رئاسة الطائفة جماعة من الدعاة . وعندما اجتاحت جموع الجيش المغولى بلاد فارس ودمرت مافى وجهها من القلاع بما فيها قلاع الاسماعيلية الباطنية واستولت على قلعة آلموت فى سنة ٦٥٤هـ شعر الداعى أبو الفتوح محمد زعيم الباطنية فى الشام بالخطر المغولى الزاحف من الشرق فأخذ يعد العدة للدفاع عن قلعة مصياف مقر قيادة الباطنية فى الشام فأمر أن يبنى سورا يحيط بها لحمايتها وذلك فى سنة ٦٥٧هـ ولكن هذا السور لم يصمد أمام الزحف المغولى فتساقطت قلاع الاسماعيلية بما فيها مصياف[(٤)] وبذلك تفرق شمل الاسماعيلية فى الشام وتبعثرت قواهم .

تصدت جيوش مصر بقيادة سيف الدين قطز والظاهر بيبرس للزحف

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٧٩،٧٨/١٢، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٣٨١/٥، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٨٢/٣ .

(٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٨٣/٣ .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٣/ورقة ١٩٧ب ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٨٥/٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢٩٤/٤ .

(٤) مصطفى غالب : سنان راشد الدين ص ١٤٨ .

المغولى واستطاعت أن تنزل بالمغول هزيمة ساحقة فى موقعة عين جالوت فى ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ (١) . فانتهز الداعى أبو المعالى زعيم الباطنية فى هذا الوقت هذه الفرصة وجمع رجاله واسترد بهم قلاع الاسماعيلية التى أخذها المغول ،وبذلك قوى الاسماعيلية بعض الشىء ،لكنهم لم يستطيعوا أن يقفوا أمام جيوش الظاهر بيبرس الذى هاجمهم سنة ٦٦٤هـ وكانوا برئاسة الداعى نجم الدين واضطروا الى أن يطلبوا من بيبرس الصلح والدخول فى طاعته ،فرضى بيبرس بشرط أن يدفعوا له الجزية ،فقبلوا بدفع الجزيرة وأصبح له الحق فى أن يولى عليهم من يشاء من الدعاة ويعزل من يشاء (٢) .

ويبدو أن الاسماعيلية منذ ذلك التاريخ انضووا تحت لواء دولة المماليك وأصبح للسلطان المملوكى الكلمة عليهم ،فأخذ يستخدمهم فى بعض الاغتيالات التى دبرها لأعدائه ويذكر الرحالة ابن بطوطة الذى زار منطقة الشام بما فيها مناطق الاسماعيلية فى سنة ٧٢٧هـ أن الاسماعيلية كانوا طوع ارادة الملك الناصر يوجههم الى مايريد فقال :

" ومررت بحصن القدموس ،ثم بحصن المينقة ،ثم بحصن العليقة واسمه على لفظ واحدة العليق ،ثم بحصن مصياف ،ثم بحصن الكهف وهذه الحصون لطائفة يقال لهم الاسماعيلية ،ويقال لهم الفداوية ،ولايدخل

---

(١) الذهبى : دول الاسلام ١٦٣/٢، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٢٠/١٣ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢٠٥/٣، ابن العماد : شذرات الذهب ٢٩١/٥ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ٣٢٥/٥، اليونينى : ذيل مرآة الزمان ٤٣١/٢، ٤٣٢، محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ١٠٧ .

عليهم أحد من غيرهم،وهم سهام الملك الناصر بهم يصيب من يعدو عليه من أعداائه "[1] .

وبهذا تكون الاسماعيلية الباطنية فى الشام قد انتهت سياسيا وعسكريا وبقيت تعيش كفرقة دينية شأنها فى ذلك شأن الفرق الدينية الأخرى .

---

(١) رحلة ابن بطوطة ٦١/١ .

ثانيا : المستعلية .

هم الذين أيدوا امامة المستعلى بالله أحمد بن الخليفة المستنصر بالله بعد موت أبيه المستنصر عام ٤٨٧هـ وهؤلاء هم اسماعيلية مصر واليمن وبعض بلاد الشام . والمستعلية ينكرون امامة نزار بن المستنصر ويقولون أنه نازع الحق أهله ،من حيث أن الحق فى الامامة والخلافة كان لامامهم المستعلى بالله فادعاه لنفسه . ويقولون أن شيعته على الباطل . ويرون من الضلال اتباع الحسن بن الصباح داعية نزار والناقل عن المستنصر النص على امامته .(١)

ونلقى الآن نظرة على تاريخ الأئمة المستعلية ودولتهم فى مصر بشىء من الاختصار :

تولى المستعلى الامامة وهو صغير السن فترك شئون الحكم وسياسة الدولة الى خاله الأفضل وعكف على اللهو والمجون . وفى أيامه اختلت دولتهم ،وضعف أمرهم ،وانقطعت من أكثر مدن الشام دعوتهم ،واستولى عليها الأتراك والفرنج .(٢)

وفى عهد المستعلى بدأت الحروب الصليبية فاستولى الصليبيون على كثير من بلاد المسلمين فأخذوا أنطاكية فى عام ٤٩١هـ ،ثم استولوا على بيت المقدس فى عام ٤٩٢هـ ،وأخذوا يستولون على المدن والقرى الواحدة بعد الأخرى والمستعلى ووزيره الأفضل لم يحركا ساكنا ،فيعجب ابن تغرى بردى من هذا الموقف المريب فيقول : " ولم ينهض الأفضل باخراج عساكر

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٢٤٣/١٣ .

(٢) الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٩٦/١٥،ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٧٩/١،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٥/٥ .

مصر،وما أدرى ماكان السبب فى عدم اخراجه مع قدرته على المال والرجال" [١] .

هذا الموقف السلبى شجع الصليبيين على الاستيلاء على مزيد من المدن والأراضى فاستولوا على الساحل الشامى بأجمعه فملكوا حيفا عام ٤٩٣هـ ثم قيسارية [٢] فى عام ٤٩٤هـ [٣] .

وفى دولة المستعلى كثرت الباطنية الملاحدة ،فنشروا الرعب وقطعوا السبل ،وفتكوا بعدد كثير من الكبار والعلماء،وعم الرفض والتشيع حتى ان المستعلى رغم تقاعسه عن الجهاد وتهاونه فى أخذ البلاد كان متغاليا فى الرفض والتشيع [٤] .

توفى المستعلى فى السابع عشر من شهر صفر عام ٤٩٥هـ وتولى بعده ابنه الآمر بأحكام الله أبو على منصور [٥] .

تولى الآمر بأحكام الله الخلافة وهو صغير السن فى السنة الخامسة من عمره ،وقام بتدبير دولته الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش ،ولما كبر الآمر قتل الأفضل بن أمير الجيوش وأقام فى الوزارة مكانه المأمون أبا عبدالله البطائحى ،فأساء السيرة وظلم فقبض عليه الآمر وقتله وقتل

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٧/٥ .

(٢) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام تعد فى أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان٤٢١/٤ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٥٢/٥،ابن الأثير : الكامل ٣٢٥/١٠،ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٧٩/١ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٥٣/٥ ،الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٩٧/١٥ .

(٥) الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٩٧/١٥،ابن الأثير : الكامل ٣٢٨/١٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٨٠/١ .

معه خمسة من اخوته وذلك فى عام ٥٢٢هـ (١) .

كان الآمر جيد العقل والمعرفة ،وكان حسن الحظ لكنه خبيث المعتقد رافضيا كآبائه ،جبارا فاسقا متجاهرا بالمنكرات واللهو ،واشتغل بسماع الزمور وشرب الخمور حتى أصبح الناس فى عهده مثل الغنم بلا راع فاضطربت أحوال مصر (٢) .

وفى عهد الآمر أخذ الصليبيون مدينة عكا فى سنة ٤٩٧هـ وأخذوا طرابلس الشام بالسيف فقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال واستصفيت أموال أهلها وجاء الأسطول المصرى بالنجدة ولكن بعد فوات الأوان فوصل بعد سقوطها ،ثم ملكوا عرقه (٣) وبانياس وذلك فى عام ٥٠٢هـ ثم تسلموا تبنين (٤) وجبيل (٥) بالأمان فى عام ٥١١هـ . وتسلموا صور فى عام ٥١٨هـ ،وأخذوا بيروت بالسيف فى عام ٥٠٣هـ ،ثم أخذوا صيدا فى عام ٥٠٤هـ (٦) .

بقى الآمر فى الحكم تسعا وعشرين سنة وتسعة آشهر الى أن قتل فى سنة ٥٢٤هـ اذ وثب عليه جماعة من الباطنية بالروضة وقد كان راكبا من القاهرة الى مصر ،وعبر الجسر الذى بين مصر والروضة ،فلما عبره وثب

---

(١) الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٩٨/١٥ ،ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٩٩/٥ ،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٧٠/٥ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ٢٢١/١ ،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٤٩٦/٥ ،الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٩٩/١٥ .

(٣) عرقه : بلدة فى شرقى طرابلس بينهما أربعة فراسخ ،وهى آخر أعمال دمشق . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٠٩/٤ .

(٤) تبنين : بلدة فى جبال بنى عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٤/٢ .

(٥) جبيل : بلد مشهور فى شرقى بيروت على ثمانية فراسخ منها . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٠٩/٢ .

(٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٧٠/٥ ،ابن الأثير : الكامل ٤٧٥/١٠ ،٤٧٩ ،ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٠٠/٥ .

عليه تسعة من الباطنية " وقيل عشرة من أصحاب الحسن بن الصباح" فضربوه بالسكاكين الى أن مات (١) .

كان مقتل الآمر بداية تطور جديد فى تاريخ الدعوة الاسماعيلية الباطنية ،ذلك أن الآمر لم يخلف ولدا يتولى الأمر بعده ،وترك امرأة حاملا ،فاضطرب أهل مصر وقالوا : هذا البيت لايموت امام منهم حتى يخلف ولدا ذكرا وينص عليه بالامامة ،وكان الآمر قد نص على الحمل قبل موته ولهذا السبب بويع ابن عمه الحافظ عبدالمجيد بولاية العهد ولم يبايع بالامامة مستقلا انتظارا لمعرفة مايكون من الحمل . فوضعت المرأة بنتا فعندئذ دعا عبدالمجيد لنفسه بالامامة الكاملة ولقب نفسه الحافظ لدين الله وبويع على ذلك (٢) .

ولى الوزارة للحافظ أبو على أحمد بن الأفضل ولقب أمير الجيوش ولم يكن للحافظ معه شئ سوى الاسم فقام بشئون الحكم أحسن قيام ،وأحسن الى الناس وعاملهم بالخير وأعاد لهم أموالهم المصادرة ،وأظهر مذهب الامامية وتمسك بالأئمة الاثنى عشر ،وأعرض عن الحافظ وآل بيته واستمر على هذا الحال الى أن دبر الحافظ عملية قتله ،فخرج الوزير أبو على الى الميدان يلعب بالكرة مع أصحابه ،فكمن له جماعة منهم مملوك فرنجي كان للحافظ ،فخرجوا عليه ،فحمل الفرنجي عليه فطعنه فقتله (٣) .

---

(١) ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٢١٢، ابن الأثير : الكامل ٦٦٤/١٠ ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٩١/٤ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٣٦/٣، ٢٣٧، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٣٧/٥، الذهبى : سير أعلام النبلاء ٢٠٠/١٥، ٢٠١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٦٧٢/١٠، ٦٧٣، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٣٥/٣، ٢٣٦ .

لما قتل الوزير أبو على عظم أمر الحافظ فنعت نفسه بألقاب لم يسبقه اليها أحد،وخطب له بها على المنابر فكان الخطيب يقول : "أصلح من شيدت به الدين بعد دثوره،وأعززت به الاسلام بأن جعلته سببا لظهوره مولانا وسيدنا امام العصر والزمان ،أبا الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله صلى الله عليه وسلم وعلى آبائه الطاهرين ،حجج الله على العالمين" . وبعد مقتل الوزير أبو على وزر للحافظ مجموعة من الوزراء لكنهم أساءوا السيرة ولم يحسنوا التدبير فقتلهم الحافظ وتولى الأمر بعد ذلك هو بنفسه الى أن مات .(1)

توفى الحافظ فى ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ٥٤٤هـ ،وكانت خلافته عشرين سنة الاخمسة أشهر ،وعمره نحو سبع وسبعين سنة وولى الأمر بعده بمصر ابنه الظافر بأمر الله .(2)

تولى الظافر بأمر الله الخلافة فى مصر وعمره سبع عشرة سنة وكان أصغر أولاد أبيه سنا ،فكان كثير اللهو واللعب والتفرد بالجوارى واستماع الأغانى . وانقطعت دعوته ودعوة أبيه من سائر بلاد الشام والمغرب والحرمين ولم يبق لهم الا اقليم مصر .(3)

وزر للظافر عدد من الوزراء أولهم ابن مصال ثم ابن السلار ثم عباس ،وكان لعباس هذا ولد جميل اسمه نصر،فمال اليه الظافر وأحبه حتى اشتغل عن كل أحد بابن عباس ،فسار الناس يتهمونه به . فقال

---

(1) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٣٨/٥،٢٣٩ .

(2) ابن الأثير : الكامل ١٤١/١١،١٤٢،الذهبى : سير أعلام النبلاء ٢٠٢/١٥،ابن دقماق : الجوهر الثمين ص ٢١٤ .

(3) الذهبى : سير أعلام النبلاء ٢٠٢/١٥،٢٠٣، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٣٧/١ .

عباس لابنه نصر : انك أتلفت عرضك بصحبة الظافر وتحدث الناس فى أمركما فاقتله حتى تسلم من هذه التهمة . فدعا نصر الظافر الى داره ليلا فجاء الى الدار فقتله نصر ودفنه فى بئر عند الدار . فلما طلع الصباح خرج الوزير عباس الى دار الخلافة ودخل القصر فقال لبعض الخدام : "أين أمير المؤمنين ؟" فقالوا : "ابنك نصر يعرف أين هو" . ثم ان الوزير عباس داخل دار الخليفة ،وأخرج الأمير عيسى بن الظافر وأحضر القضاة وأرباب الدولة وقال لهم : " ان أمير المؤمنين الظافر نزل البارحة فى مركب ،فانقلبت به وغرق ،فولوا ولده عيسى عوضه" . فأحضروا له خلعة الخلافة وولوه (1) .

ولما تم لعباس ما أراده من قتل الخليفة وتولية ولده الخلافة كثرت الأقاويل حتى عرف الناس الحقيقة والخبر الصحيح فأخذوا فى اعمال الحيلة فى قتل عباس وابنه نصر ،فكاتبوا الصالح بن رزيك الأرمنى وكان واليا على الصعيد وسألوه الانتصار لهم ولمولاهم ،فأجابهم الصالح الى ذلك وزحف على القاهرة بقواته حتى أصبح على مشارفها فاستقبله جميع من بها من الأمراء والأجناد ،أما الوزير عباس فخرج فى ساعته من القاهرة هو وابنه نصر وبعض أنصاره ومعه شئ من ماله باتجاه بلاد الشام . فكاتبت أخت الظافر الفرنج الذين بعسقلان واشترطت لهم مالا جزيلا اذا استطاعوا القبض على عباس وابنه ،فخرج الفرنج على عباس فصادفوه ودارت بينهم معركة بسيطة قتل فيها عباس فأخذ ماله وأسر ابنه وهرب باقى أصحابه الى الشام . وأرسلت الفرنج نصر بن عباس الى مصر فى قفص حديد فلما وصل تسلم رسول الفرنج المال . أما

---

(1) ابن اياس : بدائع الزهور ٢٢٨/١،ابن العماد : شذرات الذهب ١٥٢/٤ ،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٩٦/٥ .

نصر فخلعت أخت الظافر يده وضرب ضربا مهلكا ،وقرض جسمه بالمقاريض ،ثم صلب على باب زويلة حيا حتى مات ،ثم أنزل وأحرقت عظامه[1] .

كان مقتل الظافر فى المحرم من سنة ٥٤٩هـ وله اثنتان وعشرون سنة وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وتولى الخلافة بعده ولده الفائز عيسى[2] .

بويع الفائز عيسى بالخلافة صبيحة وفاة والده وله من العمر خمس سنوات وتكفل به الصالح طلائع بن رزيك الذى تولى الوزارة له فساس الأمور ودبر شئون الدولة وظل الفائز فى الخلافة لمدة ست سنين توفى بعدها وذلك فى عام ٥٥٥هـ[3] .

تولى الخلافة بعد الفائز ابن عمه العاضد لدين الله أبا محمد عبدالله وعمره أحد عشرة سنة وولى الوزارة له وتدبير شئون دولته الملك الصالح طلائع بن رزيك وتزوج العاضد ابنة طلائع بن رزيك ،وكان العاضد شديد التشيع متغاليا فى سب الصحابة ،رضوان الله عليهم واذا رأى سنيا استحل دمه[4] .

استمر طلائع بن رزيك فى وزارة العاضد لكنه أساء السيرة فى الرعية وقتل أمراء الدولة فضجر منه العاضد فعزم على التخلص منه

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٩٢/٣، ٤٩٣، الذهبى : سير أعلام النبلاء، ٢٠٦/١٥، ٢٠٧، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣١٠/٥، ابن العماد: شذرات الذهب ١٥٣/٤ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٩٧/٥ .

(٣) ابن دقماق : الجوهر الثمين ص٢١٦، الذهبى : سير أعلام النبلاء ٢٠٧/١٥ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣١٧/٥، ابن العماد : شذرات الذهب ١٧٥/٤ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١١٠/٣، ابن دقماق : الجوهر الثمين ص٢١٧.

فقتله فى عام ٥٥٦هـ وولى الوزارة بعده ابنه رزيك بن طلائع[(١)] . بعد أن تولى رزيك الوزارة أشار عليه أتباعه بعزل شاور عن ولاية الصعيد وحسنوا له ذلك فبعث اليه كتاب العزل ،فجمع شاور ماعنده من رجال وسار بهم الى القاهرة لمحاربة رزيك ،فهرب رزيك لما سمع بذلك فقبض عليه شاور وقتله فى سنة ٥٥٨هـ ،وصار شاور وزيرا بعده وتلقب بأمير الجيوش .

استقر شاور فى الوزارة بضعة أشهر فبرز له منازع اسمه ضرغام جمع ضرغام جموعا كثيرة ونازع شاور فى الوزارة حتى ظهر أمره فانهزم شاور من أمامه وهرب الى الشام واستولى ضرغام على البلاد وأصبح وزيرا[(٢)] .

لجأ شاور فى الشام الى الملك العادل نور الدين محمود واستجار به فبعث معه نور الدين جيشا بقيادة أسدالدين شيركوه الى مصر فنزل على القاهرة وخرج ضرغام لمحاربتهم لكنه قتل فأعيد شاور الى الوزارة ثانى مرة وذلك فى عام ٥٥٩هـ[(٣)] .

بعد أن تولى شاور الوزارة أخذ فى ظلم الرعية ومعاملة الخليفة العاضد معاملة سيئة واستدعى الفرنج أكثر من مرة لأخذ مصر فمل العاضد منه وأرسل الى أسد الدين يطلب منه قتل شاور،فأعمل أسدالدين هو وصلاح الدين الحيلة على شاور حتى قتلوه وأرسل رأسه الى العاضد فولى العاضد الوزارة الى أسد الدين شيركوه وخلع عليه[(٤)] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٢٧٤/١١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٢٩٠/١١، ٢٩١ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٢٩٩/١١ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ٣٤٠/١١،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٥٢/٥ .

لم يمكث أسد الدين فى الوزارة طويلا حتى وافته المنية بعد شهرين من توليه ،وكان قد أوصى الى ابن أخيه صلاح الدين يوسف بالوزارة فتولى الوزارة بعده ولقب بالملك الناصر وذلك فى عام ٥٦٤هـ .

وعلى يدى الملك الناصر صلاح الدين قوضت دولة الاسماعيلية المستعلية فى مصر ووضع حدا لوجودهم السياسى فيها وذلك فى عام ٥٦٧هـ وأعاد الخطبة فى مصر للخليفة العباسى المستضىء (٥٦٦ – ٥٧٥هـ) وبذلك انقرض هذا الفرع من الاسماعيلية وهم المستعلية ولم يعد لهم وجود بعد ذلك . وعدد الأئمة المستعلية الذين حكموا مصر هم ستة مرتبين حسب الترتيب الآتى :

(١) المستعلى بالله أحمد أبو القاسم (٤٨٧ – ٤٩٥هـ)

(٢) الآمر بأحكام الله المنصور أبوعلى (٤٩٥ – ٥٢٤هـ)

(٣) الحافظ لدين الله عبدالمجيد أبوالميمون (٥٢٤ – ٥٤٤هـ)

(٤) الظافر بأمرالله اسماعيل أبوالمنصور (٥٤٤ – ٥٤٩هـ)

(٥) الفائز عيسى أبو القاسم (٥٤٩ – ٥٥٥هـ)

(٦) العاضد لدين الله عبدالله أبومحمد (٥٥٥ – ٥٦٧هـ)

أما بالنسبة للاسماعيلية المستعلية باليمن فكان لها شأن آخر ورأى فى الامامة مغاير لرأى المستعلية فى مصر . بدأ أمر المستعلية فى اليمن فى عهد الدولة الطيحية فلقد استطاع على بن محمد الصليحى أن يقوم بثورة فى عام ٤٣٩هـ فى رأس مسار (١) فى جبال حراز (٢) أخضع من

---

(١) مسار : حصن عال فى حراز باليمن عظيم الشأن فيه قرى ومزار وموضعه فوق مدينة مناخة .. وهو فى ياقوت بلفظ مشار وهو خطأ،وقال شاعر على بن محمد الصليحى "الجوبى" فيه :

كأنا وأيام الحصيب وسردد ... درادم عفرن الأجل المظفرا

ولم نتقدم فى سهام ويأزل ... وبيش ولم نفتح مسارا ومسورا

انظر تعليق المحقق فى هامش (٤) ص ١٠٨ من كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى ، اليمانى : كشف أسرار الباطنية ص ٤٢ .

(٢) حراز : مخلاف باليمن قرب زبيد. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢/٢٣٤ .

خلالها قلاع وحصون اليمن لسلطانه (١) . وفى عام ٤٥٣هـ كتب على بن محمد الى المستنصر العبيدى صاحب مصر يستأذنه فى اظهار الدعوة له فى اليمن فأذن له بذلك وخطب الصليحى فى اليمن باسم الامام الاسماعيلى المستنصر واستمر على بن محمد فى فتوحاته حتى دخل مكة المكرمة وضم اليه اقليم الحجاز بكامله واستعد للمسير الى العراق وانتزاعه من أيدى العباسيين ولم تمض سنة ٤٥٥هـ الا وقد استولى على بن محمد الصليحى على اليمن سهله ووعره ،وبره وبحره (٢) .

لم يلبث أن قتل على بن محمد الصليحى فى عام ٤٥٩هـ وهو فى طريقه الى مكة المكرمة للحج بمدينة المهجم (٣) . وتولى الأمر بعده ابنه المكرم أحمد بن على فقام بالأمر بعد والده أتم قيام واستطاع أن يقضى على مناوئى الدولة الصليحية وتوفى المكرم أحمد بن على فى عام ٤٨٤هـ فى ذى جبله (٤)، وجعل وصيته الى الأمير الكبير الداعى سبأ بن أحمد بن المظفر بن على الصليحى وقد قام بعدة حملات عسكرية على بنى نجاح

---

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ٢٤٧/١ ، عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٠١ .

(٢) يحيى بن الحسن : غاية الأمانى ٢٥٣/١،٢٥٤،عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١١٨،١١٩،عبدالواسع اليمانى : تاريخ اليمن ص ١٧٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٥٥/١٠،عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٢٦، ابن كثير : البداية والنهاية ٩٦/١٢ .
والمهجم : بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن بينها وبين زبيد ثلاثة أيام . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢٢٩/٥ .

(٤) ذى جبله : مدينة باليمن تحت جبل صبر وتسمى ذات النهرين . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٠٦/٢ .

بزبيد، منها معركة الكضائم سنة ٤٨٤هـ والتى قتل فيها القاضى عمران بن المفضل ،وتوفى سبأ بن أحمد فى سنة ٤٩٢هـ فى حصنه أشيح[2] ودفن به[3] .

وتولت الحكم بعده السيدة الملكة الحرة أروى بنت أحمد الصليحية وحكمت مايقارب نصف قرن ضربت فيه أروع الأمثال من الحزم والثبات والحكمة والعدل ،وفى عهد حكم السيدة الحرة توفى امام الاسماعيلية المستعلية فى مصر الآمر بأحكام الله ولم يكن له ولد،فتولى الامامة بعده ابن عمه الحافظ لدين الله فرفض الصليحيون الاعتراف بالحافظ لأن الامامة فى العقيدة الاسماعيلية تنتقل من الآباء الى الأبناء وهذا مناف للعقيدة الاسماعيلية ومن ثم ليس للحافظ حق فى الامامة . وزعم الصليحيون أن احدى زوجات الآمر كانت حاملا،ووضعت طفلا ذكرا اسمه الطيب بن الآمر ،فالامامة اذا لهذا الطفل الذى خاف عليه أحد الدعاة فأخفاه عن الحافظ وأرسله الى الملكة الحرة أروى الصليحية باليمن وهذه الملكة أخفته وجعلت نفسها كفيلة عليه ونائبة عنه فى تولى شئون الدعوة الاسماعيلية واتخذت لنفسها لقبا (كفيلة الامام المستور الطيب ابن الآمر) ومن هذا التاريخ انفصلت الاسماعيلية المستعلية فى اليمن عن اسماعيلية مصر وأوجدوا لهم دعوة جديدة : هى الدعوة الطيبية نسبة

---

(١) بنى نجاح : نسبة الى زعيم حبشى اسمه نجاح،وهم أصلا من الحبشة وكان نجاح هذا يحكم الأقاليم الشمالية فى اليمن ،فقدم الى زبيد بجموع عظيمة فاستولى عليها وهزم مناوئيه فيها وقتلهم وبدأ فى تأسيس دولة هناك فى عام ٤١٢هـ وهى الدولة التى حملت اسمه (بنى نجاح) ولقب بالمؤيد ناصر الدين .
انظر المجلة التاريخية المصرية ص ١٠٩ مجلد ٨ لعام ١٩٥٩م .

(٢) أشيح : اسم حصن منيع عال جدا فى جبال اليمن . انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان ٢٠٢/١ .

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٥٨/١ - ٢٧٩،أحمد شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ٢٠٥،٢٠٦ .

الى الطيب بن الآمر[1] .

ويقول الدكتور كامل حسين : وفى اعتقادى أن قصة الطيب هذه أقرب الى الأساطير الخيالية منها الى الواقع التاريخى ،فان أحدا من المؤرخين لم يذكر وجود الطيب بن الآمر الامانراه فى كتب دعاته . أما مايقال عن وجود سجل وجه الى الملكة الحرة من الآمر قبل مقتله فانه سجل موضوع قصد به الباس القصة ثوب الحقيقة حتى يتسنى للصليحيين ومن تبعهم الاعتقاد بحقيقة امامة الطيب ،والصليحيون ودعاة الدعوة الطيبية هم وحدهم الذين تحدثوا عن الطيب ،بينما سكت المؤرخون عنه فلم يذكروا حتى مجرد اسمه فى كتبهم ،بل أجمع المؤرخون على أن زوجة الآمر التى كانت حاملا عند موته وضعت أنثى[2] .

وفى الحقيقة أن قصة الطيب هذه قصة خيالية ليس لها أى سند تاريخى وقصد الصليحيون من ورائها صبغ انفصالهم عن الاسماعيلية مصر بصبغة شرعية . ومنذ ذلك الحين أصبح الصليحيون منفصلين عن مصر دينيا وسياسيا وجمعت الملكة الحرة أروى فى يدها السلطتين الدينية والسياسية بصفتها كافلة للامام المستور الطيب بن الآمر . واستمرت الملكة الحرة فى حكمها ملتزمة بتعاليم الاسماعيلية الى أن توفيت فى عام ٥٣٢هـ . وبوفاة الملكة الحرة، انتهى حكم الصليحيين وانقرضت دولتهم[3] .

---

(١) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٥٠ .

(٢) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ٥٠، ٥١ .

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ٢٩٥/١ .

نهجت الدولة الطليحية نهج الحركات الباطنية فعملت على ارساء قواعد المذهب الباطنى ،فقد كشف أحد علماء السنة فى اليمن العالم محمد بن مالك اليمانى الذى كان معاصرا لازدهار دولة الطليحيين ماكشف عن انحرافهم وتعاليمهم الباطنية ،فقد انخرط محمد بن مالك فى سلك أتباع هذه الدولة وصور من الداخل حقيقة أمرهم ٠ فقال عن الوالى الطليحى على بن محمد الذى كان معاصرا له : " ان له نوابا يسميهم الدعاة المأذونين وآخرين يلقبون بالمكلبين ،تشبيها لهم بكلاب الصيد لأنهم ينصبون للناس الحبائل ويخدعون من يقع فى حبائلهم بروايات عن النبى صلى الله عليه وسلم محرفة وأقوال مزخرفة ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ويحرفون الكلم عن مواضعه ،وينهجون النهج الباطنى القائم على نظرية الظاهر والباطن ٠ فالزكاة مفروضة فى كل عام مرة ،وكذلك الصلاة من صلاها مرة فى السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار ٠ ويبينون له كذلك ان لكل شئ ظاهرا وباطنا وفقا لقوله تعالى : " وذروا ظاهر الاثم وباطنه " (١) ،وقوله : " قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها ومابطن" (٢) ٠ والظاهر ماتساوى به الناس وعرفه الخاص والعام ،وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به فلا يعرفه الا القليل ،ومن ذلك قوله تعالى : "وما آمن معه الا قليل " (٣) ،وقوله : " وقليل ماهم " (٤) فالأقل من الناس الذين لاعقول لهم (٥) ٠

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٢٠

(٢) سورة الأعراف : آية ٣٣

(٣) سورة هود : آية ٤٠

(٤) سورة ص : آية ٢٤

(٥) محمد بن مالك اليمانى : كشف أسرار الباطنية ص ١١،١٢ ٠

ويقول : الحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربته ومخالطته والركون الى قوله " أى على بن محمد الصليحى " فانه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلون من ركن اليهم ،لقد سمعته مرارا وأسفارا وهو يقول لأصحابه قد قرب كشف مانحن نخفيه وزوال هذه الشريعة المحمدية .(١)

ويستطرد محمد بن مالك فى الحديث عن الصليحى وكشف مذهبه الباطنى فيقول أن الصليحى ومن على مذهبه يدعون الى ناموس خفى كل جهول غبى بعهود موكدة ومواثيق مغلظة مشددة على كتمان مابويع عليه ودعى اليه وانه لايكشف لهم سرا ولايظهر لهم آمرا . ثم يطلعه على علوم مموهة وروايات متشابهة . يدعوه فى بدء الأمر الى الله ورسوله،كلمة حق يراد بها باطل ،ثم يأخذه بعد ذلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاذا انقاد له وطاوعه أدخله فى طريق المهالك تدريجيا ويأتيه بتأويل كتاب الله تحريفا وتعويجا وأقوال مزخرفة الى أن يلبس عليه الدين ويخرجه منه كما يخرج الشعرة من العجين ،وقصارى آمره ابطال الشرائع وتحليل جميع المحارم ،فسارع اليه من لم يكن له بالشرع معرفة فحرم الحلال وأحل الحرام وناقض بجهده الاسلام وأبطل الصلاة والصيام والزكاة والحج الى بيت الله الحرام .(٢)

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٤ .

ثالثا : النصيرية ٠

النصيرية هى احدى الحركات الباطنية التى ظهرت فى القرن الثالث الهجرى وهى تنسب الى محمد بن نصير البصرى النميرى وهو فارسى الأصل ويكنى بأبى شعيب ٠وكان محمد بن نصير من أصحاب الحسن العسكرى الامام الحادى عشر للشيعة الامامية الاثنى عشرية ،وزعم ابن نصير أنه الباب الى محمد ابن الامام الحسن العسكرى، أى وكيلا وممثلا له ومرجعا للناس من بعده ،ثم ادعى أنه رسول الله ونبى من قبل الله تعالى ،وأنه أرسله على بن محمد بن الرضا ،وجحد امامة الحسن العسكرى وامامة ابنه وادعى بعد ذلك الربوبية ،وقال باباحة المحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضا،ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل وأنه أحد الشهوات والطيبات (١) ٠

أما بالنسبة لعقائد النصيرية فهى تتمثل فى مبادىء أهمها : أنهم يؤلهون على بن أبى طالب رضى الله عنه ويقولون بأن على حلت فيه الألوهية وذلك بقولهم أن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص ،ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شخص أفضل من على رضى الله عنه وبعده أولاده المخصوصون هم خير البرية ،فظهر الحق بصورتهم ،ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم ،فعن هذا أطلقنا اسم الألهية عليهم (٢) ٠

وللأئمة عند النصيرين ميزات خصوصية يمتازون بها عن بقية البشر ويقولون : بأن أفعالهم وأقوالهم منطبقة على الارادة الالهية انطباقا

---

(١) النوبختى : فرق الشيعة ص١٠٣، ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة ١٢٢/٨ ٠

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل ص١٩٥،١٩٦، ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥٠/٥، القلقشندى : صبح الأعشى ٢٤٩/١٣ ٠

تاما .. وهم معصومون لأن الخطايا رجس .. وقد قال تعالى : " ليذهب عنكم الرجس أهل البيت "(١) فهم لذلك مصدر الارادة الالهية فى أفعالهم وأقوالهم . والامام عندهم أعلى منزلة من النبى ،لأن الأنبياء يوحى اليهم بواسطة جبريل ،والأئمة يكلمون الله تعالى بغير واسطة ويأتيهم الالهام الربانى . والأئمة فى اعتقاد النصيريين لايولدون كغيرهم من بنى البشر بل يولدون بكيفية خاصة لايزاحمهم فيها غيرهم (٢) .

ومن عقيدتهم تعظيم الخمر ويرون أنها من النور باعتبار أن الخمر خلق من شجرة النور وهى العنب ،فلذلك هم يعظمون شجرة العنب التى هى أصل الخمر حتى انهم استعظموا قلعها (٣) .

أما عن موقف النصيرية من الصحابة فهو موقف العداء والحقد واعتبارهم أبالسة ظالمين لعلى ،وخاصة أبو بكر وعمر وعثمان ،فيصبون اللعنات والشتائم عليهم ويلعنون فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وولديها الحسن والحسين ويسبونهم بأقذع السباب ،ويقذفونهم بكل بلية ،ويقطعون بأنها وابنيها رضى الله عنهم شياطين تصوروا فى صورة الانسان (٤) . ويعتبرون سب وشتم أبى بكر وعمر وعثمان من الفرائض الدينية والجهاد (٥) . وهم يعظمون ويقدرون عبدالرحمن بن ملجم قاتل على بن أبى

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٣

(٢) محمد الطويل : تاريخ العلويين ص ١٨٢ - ١٨٥ ،عبدالله الأمين:دراسات فى الفرق ص ١٠٧،١٠٨ سليمان الحلبى : طائفة النصيرية ص ٥٠،٥١ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ٢٥٠/١٣ ،عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٤٤٢/٢ ،محمد الخطيب : الحركات الباطنية ص ٣٦٩ .

(٤) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥٠/٥ .

(٥) الحسينى عبدالله : الجذور التاريخية للنصيرية العلوية ص ١٦٤ نقلا عن الباكورة السليمانية لسليمان الأدنى،عبدالله الأمين : دراسات فى الفرق ص ١١٣ .

طالب رضى الله عنه ،ويعتبرونه أفضل الناس لأنه خلص اللاهوت من الناسوت بقتله ،وبذلك تخلص اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره ،ويخطئون من يلعنه (١) .

أما فيما يتعلق بالجانب العبادى فالنصيريون يصلون فى خمسة أوقات . الا أنها تختلف فى الأداء وفى عدد الركعات عن بقية المذاهب الاسلامية فأول وقت للصلاة المفروضة هو الظهر وتتألف من ٨ ركعات والثانى العصر ويتألف من ٤ ركعات ،والثالث المغرب ويتألف من ٥ ركعات ،والرابع العشاء ويتألف من ٤ ركعات ،والخامس الفجر ويتألف من ركعتين . وصلاتهم ليس فيها سجود وان كان فيها ركوع أحيانا . كما وانهم لايصلون الجمعة ولايعترفون بها كفريضة . ولايتمسكون بالطهارة قبل أداء صلواتهم من وضوء ورفع جنابة (٢) .

أما الزكاة عندهم فهم يفسرونها تفسيرا باطنيا يختلف عن معناها عند المسلمين ،ويقومون بدفع ضريبة الى مشايخهم ومقدارها خمس مايملكه كل فرد من أفراد الطائفة ،من عروض التجارة والمواشى والمحاصيل الزراعية وحتى من مهور بناتهم . والصيام ليس امتناعا عن الأكل والشرب بل هو امتناع عن معاشرة النساء فقط طوال شهر رمضان . ولايعترفون بفريضة الحج بل يعتبرون الحج الى بيت الله الحرام كفرا وعبادة أصنام (٣) .

اما بالنسبة لأعيادهم فهى خليط من أعياد عدة ديانات مختلفة فهم يحتلفون بعيد الميلاد ويقدمون فيه النبيذ ويحتفلون برأس السنة وبعيد البربارة ،والغطاس ،والشعانين ،والعنصرة ،ومريم المجدلانية ،ومن الأعياد

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٢٥٠/١٣، ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥٠/٥ .

(٢) سليمان الحلبى: طائفة النصيرية ص ٥٧ ،٥٨ ،عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٤٨٧/٢ .

(٣) سليمان الحلبى : طائفة النصيرية ص ٦٥،٦٦ .

الفارسية يحتفلون بالمهرجان والنيروز • ويحتفلون أيضا بعيد الفطر وعيد الأضحى ،ويحتفلون به فى الثانى عشر من ذى الحجة ،بينما سائر المسلمين يحتفلون به فى العاشر من ذى الحجة • ومن أعيادهم عيد الغدير وعيد عاشوراء ،وعبد الغدير الثانى " يوم المباهلة" وعيد الميلاد وعيد ليلة النصف من شعبان وعيد الفراش أى ليلة مبيت على فى الفراش مكان النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة (١) •

توالى على زعامة الطائفة النصيرية عدد من الزعماء ،فبعد موت محمد بن نصير النميرى عام ٢٧٠هـ تولى زعامة الطائفة عبد الله بن محمد الجنان الجنبلانى نسبة الى بلدة جنبلا فى العراق العجمى وكان ذا علم وفلسفة وزهد وتصوف فأسس الطريقة الجنبلانية الصوفية ومن هنا غلبت الصوفية على أفكار الطائفة النصيرية • ولكن لم يلبث أن توفى الجنبلانى فى عام ٢٨٧هـ فتولى زعامة الطائفة من بعده تلميذه حسين بن حمدان الخصيبى الذى كان يقول بالتناسخ والحلول (٢) ، وترك الخصيبى مدينة جنبلا وقصد العراق ثم حلب حيث استقر فيها على مقربة من سيف الدولة الحمدانى الذى استمد منه القوة لنشر أفكاره مما ساعده على تثبيت الدعوة النصيرية فكان الخصيبى ألمع رؤساء النصيرية وأكثرهم أثرا فى مذهبهم ساعده على ذلك ذكاؤه وطول عمره ،حيث عاش مايقرب من ٩٨ عاما وقدرته على التأليف فى المذهب وتطويره حتى كان يلقب بشيخ الدين (٣) •

---

(١) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٣٤،سليمان الحلبى : طائفة النصيرية ص ٧١ – ٧٤،عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٤٥٨/٢ – ٤٦٢ عبد الله الأمين : دراسات فى الفرق ص ١٢٠،١٢١ •

(٢) ابن حجر : لسان الميزان ٢٧٩/٢،٢٨٠ •

(٣) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٢١،٣٢٢ •

بعد وفاة الخصيبى عام ٣٥٧هـ تولى بعده عدد من الرؤساء لم يبلغوا منزلته وشهرته مثل السيد محمد بن على الجلى ،وأبى سعيد الميمون الطبرانى نسبة الى مدينة طبرية بفلسطين وأبو حسن الطرسوسى المغير وأبو حسن الطرسوسى الكبير .(١)

ظل النصيريون على هذا الحال يتقلبون فترات تحت زعامات قوية وفترات تحت زعامات ضعيفة حتى نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجرى حيث ازدادت هجمات الأكراد السنيين على المناطق النصيرية بسبب معتقداتهم الفاسدة وممالئتهم للأعداء فلم يجد النصيريون بدا من طلب العون والمدد من الأمير حسن بن يوسف المعروف بالمكزون السنجارى (٢) فهب لنجدتهم سنة ٦١٧هـ فى جيش قوامه ٢٥ ألف فارس ولكنه منى بالهزيمة أمام الأكراد،وما لبث أن عاد مرة أخرى لنجدة النصيريين وذلك فى عام ٦٢٠هـ فى جيش قوامه ٥٠ ألف مقاتل فاستطاع أن ينزل الهزيمة بالأكراد أعداءه وأعداء طائفته ،وأن يحقق عليهم النصر فقسم الأراضى على أبناء طائفته ونظم أمورهم ،وأمن أحوالهم .(٣)

وقامت فيما بعد محاولات كثيرة من زعماء المسلمين لاصلاح هذه الطائفة وارجاعها الى طريق الاسلام الصحيح،وأول محاولة فى ذلك قام بها صلاح الدين الأيوبى بعد دحره للصليبيين حيث حاول اصلاحهم ببناء المساجد واقامة الصلاة والصيام وغيرها من الفروض الاسلامية ،فأطاعوه ولكن بعد

---

(١) محمد الطويل : تاريخ العلويين ص ٢٠٦،٢٠٧،٢٠٨،مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٢٢،٣٢٣ .

(٢) نسبة الى سنجار مدينة مشهورة بأرض الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . انظر ياقوت الحموى : المشترك وضعا والمفترق صقعا ص ٢٥٤ .

(٣) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٢٣،٣٢٤،محمد الطويل : تاريخ العلويين ص ٣١٠ .

وفاته عادوا الى ماكانوا عليه من معتقدات وخربوا المساجد وجعلوها زرائب للحيوانات (١) .

ويروى الرحالة ابن بطوطة الذى زار بلاد الشام فى القرن الثامن الهجرى بما فيها مناطق النصيرية فقال : " وأكثر أهل هذه السواحل هم الطائفة النصيرية ، الذين يعتقدون أن على بن أبى طالب اله . وهم لايصلون ولايتطهرون ولايصومون ،وكان الملك الظاهر (الظاهر بيبرس) ألزمهم ببناء المساجد بقراهم ،فبنوا بكل قرية مسجدا بعيدا عن العمارة ولايدخلونه ،ولايعمرونه ،وربما آوت اليه مواشيهم ودوابهم،وربما وصل الغريب اليهم فينزل بالمسجد ويؤذن للصلاة فيقولون له : لاتنهق علفك يأتيك " (٢) .

ظل النصيريون على هذا الحال من فساد فى المعتقد الى مواقف معادية لأهل السنة ممالئة لأعدائها،مما سبب الضعف داخل المجتمع المسلم وعرقلة الجهاد ضد الصليبيين الغاصبين لأرض المسلمين فهم دائما كما قال عنهم الامام ابن تيمية مع كل عدو للمسلمين (٣) .

---

(١) محمد الخطيب : الحركات الباطنية ص ٣٣٢ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ٦٥/١ .

(٣) ابن تيمية : الفتاوى ١٥٠/٣٥ .

رابعا : الـــدروز .

الدروز فرقة اسماعيلية باطنية ادعت ألوهية الحاكم بأمر اللـــه الخليفة الفاطمى ،وهم يعتبرون أنفسهم ومنذ ألف سنة مضت فى دور الستـر وهم شديدوا التكتم على عقائدهم ولايعبرون عنها الا بطريق الرمـــز والكتابة كأسرار الماسونية وطريقة الجمعيات السرية ،حفظا على كتـم أسرارها من الافتضاح (١) .

وهناك ثلاثة أشخاص تنسب الى كل منهم بداية هذه الدعوة وهـــم : حمزة بن أحمد الزوزنى ويعرف باللباد ،وحسن بن حيدرة الفرغانى المعـروف بالأخرم ،ومحمد بن اسماعيل الدرزى المعروف بنشتكين (٢) . والمعلومات حـ هؤلاء الأشخاص الثلاثة قليلة جدا ومضطربة ، الأمر الذى أدى الى غموض وخـلاف حول مصدر الدعوة وأول من بدأ بها (٣) .

---

(١) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٢٦١ ،حنا أبى راشد : جبــل الدروز ص ٤١ ،محمد كامل حسين : طائفة الدروز ص ٣ .

(٢) هناك خلاف بين المؤرخين على كلمة (درزى) وهل هى بضم الدال وسكـون الراء أم بفتح الدال والراء كليهما . والسبب أن هناك خلاف حـول الشخص الذى ينسب اليه الدروز هل هو محمد بن اسماعيل نشتكيـن الدرزى بفتح الدال المشددة والراء وهو الذى نشر الدعوة فى وادى التيم أم هو أبو منصور أنوشتكين الدرزى ،بضم الدال المشددة وسكـون الراء وهو أحد قواد الحاكم بأمر الله . ويقال أن الطائفة تنسب الى هذا الأخير دون الأول ،وهم يلعنون نشتكين ويجلون أنوشتكين .. انظر : مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٢٥٨ .

(٣) عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٢/ ٥٩٣ .

وفد حمزة بن على الزوزنى الى مصر عام ٤٠٥هـ ،وانتظم فى سلك دعاة الفرس الذين كانوا يختلفون الى دار الحكمة التى أسسها الحاكم عام ٣٩٥هـ وأخذ ينشر فى الخفاء الدعوة الى تأليه الحاكم ،وصنف كتابا ذكر فيه أن روح الله تعالى حلت فى آدم عليه السلام ثم انتقلت الى على بن أبى طالب ،وأن روح على انتقلت الى العزيز ثم الى ابنه الحاكم ،فالحاكم اذا الها عن طريق الحلول[(١)] .

اتصل بحمزة بعض الدعاة الذين آمنوا بفكرته وعلى رأسهم حسن بن حيدرة الفرغانى الأخرم ،ومحمد بن اسماعيل الدرزى الذى كانت له ميول يهودية مجوسية . فكان أكثر الأنصار حماسا لفكرة تأليه الحاكم هو الحسن الأخرم ،فقربه الحاكم اليه وخلع عليه ،فجهر الأخرم بدعوى ألوهية الحاكم وخرج فى خمسين من أصحابه على دوابهم وقصدوا جامع عمرو بالقاهرة وسلموا الى القاضى فى الجامع فتوى صدرت "باسم الحاكم الرحمن الرحيم"،فأثار الأخرم بذلك حنق السنيين فوثب عليه رجل من أهل السنة فقتله وقتل معه ثلاثة من أتباعه[(٢)] .

أما محمد بن اسماعيل الدرزى فقد قدم الى مصر عام ٤٠٨هـ فقربه الحاكم وفوض الأمور اليه ،وبلغ منه أعلى المراتب ،بحيث أن الوزراء

---

(١) حنا أبى راشد : جبل الدروز ص ٣٤ . حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ٢٥٩/٤،٢٦٠،مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٢٧٣ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٨٣/٤،محمد كامل حسين : طائفة الدروز ص ٧٥ ،مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٢٧٣ .

والقواد والعلماء كانوا يقفون على بابه ولاينقض لهم شغل الاعلى يـــده وكان قصد الحاكم أن تنقاد الحاشية والوزراء الى الدرزى فيطيعونه .(١)

اتصل محمد بن اسماعيل الدرزى بحمزة بن على وعملمعه على رسم خـطط الدعوة ،ولم يكتف الدرزى بهذا بل لقب نفسه بلقب سند الهادى أى سنــد حمزة ،لأن الهادى هو حمزة .(٢)

آخذ الدرزى يحسن للحاكم فكرة ادعاء الألوهية ويبدو أن الحاكـــم وافقه سرا وترك له اعلان هذا الأمر،فمما كان من الدرزى الاآن أعلن الدعوة الى تأليه الحاكم بالجامع الأزهر بالقاهرة . فثار عليه النـــاس وأرادوا الفتك به ،فأعلن الحاكم البراءة منه ومن دعوته ،ولكن فــى نفس الوقت وفر له الحماية وسهل له الفرار الى وادى التيم فى الشــام فقام ببث الدعوة بين أهل تلك المنطقة فلقى منهم استجابة ،ويقـــال أن الحاكم هو الذى نصح الدرزى بالرحيل الى هذه المنطقة فى الشـــام وأعانه بالمال .(٣)

من هذا يتبين لنا أن الدروز ينتسبون تسمية الى محمد بن اسماعيــل الدرزى ،بينما يعتبر حمزة بن على الزوزنى هو المؤسس الحقيقى وواضــع متن وقواعد عقيدة الدروز وقوامها التناسخ وحلول الأرواح ،وقام حمـــزة بدوره فى استغلال الدرزى والحسن الأخرم فى الدعوة لأفكار العقيدة الدرزية .(٤)

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٨٤/٤ .

(٢) محمد كامل حسين : طائفة الدروز ص ٧٣،محمد عبدالله عنان : الحاكم بأمر الله ص ٣٢٠،أحمد جلى : دراسة عن الفرق ص ٢٦٣ .

(٣) ابن تيمية : الفتاوى ١٦١/٣٥،أحمد جلى : دراسة عن الفرق ص ٢٦٣،٢٦٤ محمد كامل حسين : طائفة الدروز ص ٧٧ .

(٤) محمد عبدالله عنان : الحاكم بأمر الله ص ٣٢١،حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٥٦،حنا أبى راشد : جبل الدروز ص ٣٥ .

أما أصل عقيدة الدروز فجذورها تتكون من مزيج من العقائد القديمة ومن الحكمة فى اليونان وعبادات ايران والهند،وربما أيضا فى مصر القديمة التى شهدت أمثال أمحوتب الذى عاش حوالى سنة ٢٩٠٠ق ٠ م الذى بلغ من الحكمة ماجعله يرفع الى مصاف الآلهة ٠ وفى احدى المخطوطات العربية المنسوبة لحمزة بن على إمام الدروز ،ورد ذكر هذا الحكيم المصرى ممجدا معظما مرات عديدة (١) ٠

وعقائد الدروز تدور كلها حول تأليه الحاكم من ناحية وابطال الشريعة الاسلامية من ناحية أخرى ،ويعتقد الدروز أن الحاكم هو الصورة الانسانية للاله،ويعطونه من ثم كل صفات الله تعالى ،وقد أثبت الدروز هذا التصور للحاكم والتوجه له بالعبادة والطاعة فيما يعرف عندهم "بميثاق ولى الزمان" الذى يؤخذ على كل من يدخل ديانتهم بأن يصرح ويقول : " توكلت على مولانا الحاكم الأحد الفرد الصمد،المنزه عن الأزواج والعدد،أقر فلان بن فلان اقرارا أوجبه على نفسى ،وأشهد به على روحه فى صحة عقله وبدنه وجواز أمره طائعا غير مكره ولامجبر،أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان على اختلافاتها،أنه لايعرف شيئا غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره،وأنه لايشرك فى عبادته أحدا مضى أو حضر أو ينتظر ٠٠٠ وينتهى الى أن من اعتقد أو أقر أنه ليس فى السماء اله معبود ولافى الأرض امام موجود الا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين " (٢) ٠

---

(١) سامى مكارم : أضواء على مسلك التوحيد ص ١٠٠ ٠

(٢) محمد عنان : الحاكم بأمر الله ص ٤٠٣،مصطفى الشكعة : اسلام بلامذاهب ص ٢٧٤،٢٧٥،احسان الهى ظهير : الاسماعيلية ص ٧٣٠،٧٣١ ٠

ومن عقائد الدروز التقمص أو التناسخ ،فيعتقدون أن النفس لاتموت بل يموت قميصها وهو الجسم البشرى فتنتقل الروح منه الى جسم بشرى آخر يولد حديثا فتحل فيه ،وعقيدة التناسخ عند الدروز تعتمد على نظرية أن العالم لايزيد ولاينقص ،فكلما مات انسان ولد آخر لتحل فيه روح المتوفى قبله وهكذا [(١)] .

أما عن عقيدتهم فى اليوم الآخر "القيامة" والجنة والنار،فهم يرون أن اليوم الآخر هو يوم ظهور الحاكم بأمر الله وهو اليوم الذى يظهر فيه مذهب عقيدة التوحيد على كل المذاهب والأديان ،ويضطر المخالفون لعقيدة التوحيد أن يتحولوا عن دينهم بحد السيف ،وموعد هذا اليوم مجهول ،كما تقول رسائل الدروز ،أما علامة قرب هذا اليوم هو عندما يرى الملوك يملكون حسب مآربهم وأهوائهم الشخصية ولايعدلون بين الرعية ويتسلط المسيحيون واليهود على البلاد ،ويستسلم الناس الى الآثام والفساد والآراء الفاسدة .من هذا يتضح أن الدروز يعتقدون أن يوم ظهور الحاكم بأمر الله بعد الغيبة واستلامه مقاليد السلطة هو يوم القيامة وان العلامات التى جعلوها لهذا اليوم بعضها مقتبس من العقيدة الاسلامية ولكن مع تحريف شديد بما يتناسب مع أهوائهم [(٢)] .

والجنة عندهم هى الايمان بالتوحيد،وثمارها المعرفة الحقيقية والنار هى رفض التوحيد أى الشرك والاتكال على العدم [(٣)] .

---

(١) عبدالله الأمين : دراسات فى الفرق ص ١٤٦،١٤٧،سامى مكارم : أضواء على مسلك التوحيد ص ١٢١،١٢٢،حنا أبى راشد : جبل الدروز ص ٤٤ .

(٢) محمد كامل حسين : طائفة الدروز ص ١٢١، أحمد الفوزان : أضواء على العقيدة الدرزية ص ٥٦،٥٧ .

(٣) أنور ياسين: بين العقل والنبى ص ٣٤٥،٣٤٦،الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٢٨٩ .

وللدروز رسائل يعارضون فيها بسخرية ماورد من ذكر لأوصاف الجنة والنار،فالجنة عند الدروز روحانية خالصة تقوم السعادة فيها على التوحيد ،وهى فى نظرهم الدعوة الهادية المهدية وأثمارها العلوية الالهية الحقيقية التى بها يتخلص الموحدون من جهلهم من داء الشرك . أما النار عندهم فهى غلبة الشقوة وهوى النفس البهيمية الغالب عليها الجهل . وباختصار فالجنة عند الدروز هى الايمان بالتوحيد والنار هى رفض التوحيد،أى الشرك والاتكال على العدم والشريعة (١) .

أما بالنسبة لموقفهم من العبادات الاسلامية فهم يزعمون أن الشرائع كلها منسوخة . وبالتالى فان تكاليفها قد سقطت عن الناس فلا صلاة ولاصيام ولازكاة . بل ان الدروز قد أولوا هذه الشعائر تأويلا يخدم مذهبهم الفاسد ،فالصلاة لاتشير الى الصلاة المعهودة فى الشرع ،بل تعنى صلة قلوب الدروز بتوحيد الحاكم وزعموا أن الحاكم نفسه لم يصل مدة طويلة وكان لايصلى الجمعة ولاصلاة الجنازة ولاالعيدين ،واستدلوا بقوله عليه السلام : " ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر" فذكروا أن أبا بكر وعمر هما الفحشاء والمنكر (٢) .

والزكاة تشير عند الدروز الى توحيد الحاكم وتزكية القلب وتطهيره فى الحالتين جميعا "الظاهر والباطن " وترك ماكان الانسان عليه قديما وفسروا قوله تعالى : "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" بأن البر

---

(١) أنور ياسين: بين العقل والنبى ص ٣٤٣ - ٣٤٦،أحمد الفوزان : أضواء على العقيدة الدرزية ص ٥٨ . محمد الخطيب : عقيدة الدروز ص ١٦٨،١٦٩ .

(٢) حمزة بن على : رسائل الحكمة - رسالة رقم ٤١ ص ٣١٦،عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٧١٦/٢،٧١٧ .

هو توحيد الحاكم ونفقة ماتحبون الظاهروالباطن ،ومعنى نفقة الشى : تركه لأن النفقة لاترجع الى صاحبها أبدا .(١)

والصوم عندهم معناه الامتناع عن الرفث ومعنى ذلك أنه يجوز الأكل والشرب مع الصوم ،وهو عشرة أيام فى ذى الحجة تنتهى بالعيد ويفسر الصوم عندهم أيضا بالصمت وكتمان العقيدة عن غير أهلها .(٢)

أما الحج فالدروز لايعتبرونه فرضا ولايؤمنون بمناسك الحج ويسفهونها ويرون فيها ظاهرة وثنية ويقولون بأن مولاهم الحاكم قطع الحج سنين عديدة وقطع عن الكعبة كسوتها . وقطع الكسوة عن الشئ يقصد منه كشفه وهتكه ،فالمراد من قطع كسوة الكعبة بيان أن المراد فى غيرها وأن ليس فيها منفعة .(٣)

لم يقف الدروز عند هذا الحد من تعطيل الشرع وتأويل العبادات تأويلا يتفق وأهواءهم بل اتخذوا لهم فرائض أطلقوا عليها اسم الفرائض التوحيدية ،وهى معرفة البارى وتنزيهه عن جميع الصفات والأسماء ثم معرفة الامام قائم الزمان وهو حمزة بن على وتمييزه عن سائر الحدود ووجوب طاعته طاعة تامة ،وقالوا ان المولى قد أسقط عن الموحدين سبع دعائم تكليفية ناموسية وفرض عليهم سبع خصال توحيدية هى :

أولا : صدق اللسان ،ويشترطون الالتزام به فى دائرة الدروز فقط وهو عوض الصلاة .

---

(١) عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٧١٨/٢،محمد الخطيب : عقيدة الدروز ص ٢٢٤ .

(٢) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٠٩،محمد الخطيب : عقيدة الدروز ص ٢٢٤ .

(٣) عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٧٢٢/٢،الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٠٩،محمد الخطيب : عقيدة الدروز ص ٢٢٥ .

ثانيا : حفظ الاخوان ،ويقصد به حفظ الدروزى أخاه فى المعتقـــد وهو عوض الزكاة .

ثالثا : ترك ماكان عليه الموحدون وما اعتقدوه من عبادة العـــدم والبهتان ،وهو عوض عن الصوم .

رابعا : البراءة من الأبالسة والطغيان ،أى من الأنبياء السابقيـــن ومن كل الأديان والشرائع ،وهذا عوض الحج .

خامسا : التوحيد للمولى " أى للحاكم " فى كل زمان ودهـــــــر وأوان ،وهو عوض الشهادتين .

سادسا : الرضا بفعله "أى الحاكم " كيفما كان ،وهو عوض الجهاد .

سابعا : التسليم لأمره فى السر والحدثان ،وأنه يجب أن يعلم كـــل واحد أن المولى يراه حيث لايرى .(١)

هذا هو حال الدروز فى معتقدهم ،والحال يغنى عن الجواب ،وسنــرى كيف كان موقف الدروز السلبى من الصليبيين أحيانا والمتعاون معهـــم أحيانا أخرى ،مما سبب تصدعا فى الجبهة الاسلامية ،وعرقلة للجهـــاد ضد الصليبيين .

---

(١) أنور ياسين: بين العقل والنبى ص ٣٥٥ - ٣٦٦،كامل حسين : طائفة الدروز ص ١١٨ ، ١١٩ . عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٧٢٩/٢،أحمد جلى : دراسة عن الفرق ص ٢٧٩،حنا أبى راشد : جبل الدروز ص ٤٢،٤٣ .

المبحث الثانى

مناطق نفوذ هذه الحركـــــات

عملت الحركات الباطنية منذ نشوئها على اتخاذ مراكز حصينة لهـــا تتحصن بها من أعدائها ،وتنطلق منها لنشر أفكارها ومبادئها بيـــن الناس ،فركزت على القلاع والحصون لمناعتها وكثرة تحصيناتها وصعوبـــة مهاجمتها من قبل المناهضين لها،فحاولوا الاستيلاء على القلاع والحصـــون المهمة فى بلاد فارس والشام فكانت أول قلعة ملكتها الباطنية النزاريـــة فى بلاد فارس قلعة يقال لها الروذبارد من نواحى الديلم ،وكانت لأحـــد أصحاب السلطان ملكشاه ،وكان نائبه بها يرى رأى الباطنية ،فأعطـــاه الحسن بن الصباح زعيم الباطنية ألفا ومائتى دينار فسلمها اليه (١) ٠

واستطاع الباطنية النزارية فيما بعد أن يستولوا على عدة حصـــون وقلاع كانت كالخناجر فى قلب الدولة الاسلامية ،نال المسلمون منها الضـــرر العظيم ،فقد استولوا على قلعة أصبهان ،وهذه القلعة بناها السلطـــان ملكشاه ،وكان سبب بنائها أنه كان قد جاء رجل من مقدمى الروم الـــى السلطان فأسلم وسار معه يوما الى الصيد،فهرب منه كلب حسن الصيـــد وصعد الكلب الى جبل عال ،فتبعه السلطان والرومى معه ،فوجد الكلب موضع القلعة،فقال له الرومى : لو أن عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصنا ننتفع به ،فأمر ببناء القلعة ثم عين عليها دزدارا (٢) ،وحصل أن اتصـــل

---

(١) ابن واصل : التاريخ الصالحى ،مخطوط ،ورقة ١٧٠آ ٠

(٢) دزدار : فارسية معناها حاكم حصن أو حارس قلعة ٠ انظر عبد النعيـــم حسنين : قاموس الفارسية ص ٢٤٧،وانظر أيضا النويرى : نهايـــــة الأرب ٣٦٢/٢٦ حاشية رقم (١) ٠

بالدزدار أحمد بن عطاش مقدم الباطنية ،وكان الباطنية قد ألبسوه تاجا وقدموه عليهم مع جهله ،ووثق الدزدار بابن عطاش وقلده بعض الأمور في القلعة ،فلما توفى الدزدار استولى أحمد بن عطاش عليها ،فذاق المسلمون منه الويلات الكثيرة ،فكان الناس يقولون : ان قلعة يدل عليها كلب ويشير بها كافر،لابد وأن يكون خاتمة أمرها شر (١) •

ومن قلاع الباطنية المشهورة قلعة آلموت (٢) الحصينة عاصمة دولتهم النزارية فى بلاد فارس والتى استطاع الحسن بن الصباح أن يستولى عليها بعد رجوعه من مصر عقب مقابلته للامام الاسماعيلى المستنصر بالله (٣) فاستولى عليها بحيلة ماكرة ،وذلك فى عام ٤٨٣هـ (٤) •

ظل الباطنية يتوسعون وينتشرون فى كل مكان ،حتى أصبحوا لاتكاد تخلو منهم قرية ولامدينة فاستفحل أمرهم وعظم خطبهم ،وكثروا بالعراق وأصبهان والجبل ،وملكوا القلاع وقويت شوكتهم (٥) ،وكثر الباطنية على وجه الخصوص فى آمد حتى أن أهل آمد ضاقوا بهم ذرعا فألبوا عليهم العسكر

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٠/٣١٥،٣١٦،ابن كثير : البداية والنهاية ١٦٧/١٢،أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢١٤/٢ •

(٢) هى من نواحى قزوين قيل أن ملكا من ملوك الديلم كان كثير التصيد فأرسل يوما عقابا،وتبعه فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة ،فوجده موضعا حصينا،فأمر ببناء قلعة عليه ،فسماها آله موت ،ومعناه بلسان الديلم : تعليم العقاب ،ويقال لذلك الموضع وماجاوره طالقان • انظر : ابن الأثير : الكامل ٣١٦/١٠،أبو الفدا : المختصر ٢١٤/٢ •

(٣) انظر ماسبق ص ٣٣،٣٤ •

(٤) ابو الفدا : المختصر ٢٠٠/٢،القلقشندى : صبح الأعشى ١٢٠/١ •

(٥) الذهبى : دول الاسلام ٢٣/٢،الذهبى : العبر فى خبر من غبر ٣٦٥/٢-٣٦٩•

فسار اليهم عسكر آمد فقتلوا منهم سبعمائة (١) .

ومن مناطق نفوذ النزارية طبس (٢) وبعض قوهستان ،وكان سبب ملكهم لهذا أن قوهستان كان فيها رجل اسمه المنور من بقايا بنى سيمجور (٣) أمراء خراسان أيام السامانيين،وكان مطاعا عند العامة والخاصة . وكان حاكم قوهستان السلجوقى قد سلك فى الناس مسلك الطغاة ،فظلم الناس وعسفهم وأراد أختا للمنور بغير حل ،فحمل ذلك المنور على الالتجاء الى الباطنية النزارية وصار معهم فعظم حالهم فى قوهستان واستولوا عليها وعلى ماحولها من مدن وقرى منها خور (٤) وخوسف وزون (٥) وقاين (٦) وتون (٧) وبعض الأطراف المجاورة لها (٨) .

ومن قلاع الباطنية التى استولوا عليها بالقوة أو بالحيلة والغدر قلعة وسنمكوه وهى بقرب آبهر (٩) ملكوها سنة ٤٨٤هـ وتأذى بهم الناس ولاسيما

---

(١) الذهبى : دول الاسلام ٤٤/٢،ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٤/١٢ .

(٢) طبس : مدينة فى برية بين نيسابور وأصبهان وكرمان . انظر : ياقوت: معجم البلدان ٢٠/٤،القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص٤٠٦ .

(٣) سيمجور : نسبة الى سيمجور وهو غلام للسامانيين وأولاده أمراء وفضلاء انظر السمعانى : الأنساب ٢٢٧/٧ .

(٤) خور : الخور هو الخليج يند من البحر وهو من أرض فارس ، انظر ياقوت المشترك وضعا والمفترق صقعا ص ١٦٢ .

(٥) زوزن : كورة واسعة بين نيسابور وهراه ويحسبونها فى أعمال نيسابور . ياقوت : معجم البلدان ١٥٨/٣ .

(٦) قاين : بلد قريب من طبس بين نيسابور وأصبهان . ياقوت : معجم البلدان ٣٠١/٤ .

(٧) تون : مدينة من ناحية قوهستان قرب قاين . ياقوت : معجم البلدان ٦٢/٢ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ٣١٨/١٠،أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢١٤/٢،برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص٥٩ - ٦٠ .

(٩) آبهر : بليدة من نواحى أصبهان . ياقوت : المشترك وضعا والمفترق صقعا ص ١١ .

أهل آبهر[1] • ومنها قلعة خالنجان[2] وكانت لجاولى سقاووا ،فجعل نائبه بها رجلا تركيا فصادقه نجار باطنى ،وأهدى له هدية جميلة،ولازمه حتى وثق به وسلم اليه مفاتيح القلعة ،فعمل الباطنى دعوة للتركى وأصحابه ،فسقاهم الخمر حتى أسكرهم ثم استدعى عبدالملك بن عطاش زعيم الباطنية فجاء فى جماعة من أصحابه فسلم اليهم القلعة فقتلوا من بها سوى التركى فانه هرب ،وقوى ابن عطاش بها ،وصار له على أهل أصبهان القطائع الكثيرة[3] •ومن قلاعهم أستوناوند[4]،وهى بين الرى وآمل[5] ، نزل منها صاحبها فاغتالوه وأخذوها منه ،ومنها قلعة أردهن[6] ملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصباح وكذلك قلعة كروكوه[7] •

ومن قلاع الباطنية النزارية فى بلاد فارس قلعة الناظر بخوزستان وقلعة الطنبور بينها وبين أرجان فرسخان ،آخذها أبو حمزة الاسكاف وهو من أهل أرجان ،ثم سافر الى مصر وتلقى بها علوم المذهب الاسماعيلى

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣١٨/١٠،أبو الفدا : المختصر ٢١٤/٢ •

(٢) خالنجان : مدينة بأصبهان ،كان بها قلعة قديمة حصينة ملكها الباطنية وخربها السلطان محمد سنة ٥٧٠هـ • انظر ياقوت : معجم البلدان ٣٤١/٢ •

(٣) ابن الأثير : الكامل ٣١٨/١٠،أبو الفدا : المختصر ٢١٤/٢،برنارند لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ٦٦ •

(٤) استوناوند : اسم قلعة مشهورة بدنباوند من أعمال الرى • ياقوت : معجم البلدان ١٧٦/١،القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٩٣•

(٥) آمل : اسم لأكبر مدينة بطبرستان وهى مشهورة • ياقوت : معجم البلدان ٥٧/١،القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٨٦ •

(٦) أردهن : قلعة حصينة من أعمال الرى بين دنباوند وطبرستان،بينها وبين الرى مسيرة ثلاثة أيام • ياقوت : معجم البلدان ١٤٩/١ •

(٧) ابن الأثير : الكامل ٣١٨/١٠،٣١٩،أبو الفدا : المختصر ٢١٤/٢ ، برنارند لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ٦٥ •

الباطنى وعاد الى آرجان داعية لباطنية مصر ومذهبهم (١) ٠

ومن قلاعهم قلعة خلادخان وهى بين فارس وخوزستان ،أقطعها السلطان ملكشاه للأمير أونر ،فجعل نائبه بها دزدارا ،فأرسل اليه باطنية آرجان يطلبون منه بيعها فأبى ،فقالوا له نحن نرسل اليك من يناظرك حتى يظهر لك الحق ،فأجابهم الى ذلك ،فأرسلوا اليه رجلا ديلميا يناظره ،وكان للدزدار مملوكا قد رباه وسلم اليه مفاتيح القلعة ،فاستماله الباطنى واتفق معه على القبض على الدزدار وتسليم القلعة اليه فقبض المملوك على الدزدار وسلم مفاتيح القلعة الى الباطنية (٢) ٠

واستغل أحمد بن عبدالملك بن عطاش زعيم الباطنية فى أصفهان النزاع الذى وقع على عرش السلاجقة بين بركياروق بن السلطان ملكشاه وأخيه محمود فاستولى على القلعة المنيعة المشرفة على أصفهان والمعروفة بشاهدز (٣) وذلك فى سنة ٤٨٧هـ فأصبحت مركزا دائما له ولأتباعه (٤) ٠

وساتولى الباطنية على قلعة لمسر وهى تقع فى منطقة الرودبارد وكان أهل هذه القلعة يرفضون دعوة الحسن بن الصباح الباطنية فأرسل أحد رفاقه المسمى كيابزرك أميد مع جماعة من الملاحدة فتسلق القلعة خفية فى شهر ذى القعدة من عام ٤٩٥هـ فقتل ساكنيها ،وأقام بزرك أميد عشرين

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣١٩/١٠،أبو الفدا : المختصر ٢١٤/٢ ٠

(٢) نفس المصادر السابقة ٠

(٣) شاهدز : قلعة حصينة على جبل أصبهان وكانت معقلا لأحمد بن عطاش مقدم الباطنية ، استحدثها السلطان ملكشاه ،ومعنى شاهدز قلعة الملك ٠ انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣١٦/٣ ٠

(٤) عبدالنعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص٩٦،مصطفى غالب : الثائر الحميرى ص١٢٩،برنارند لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ٦٥ ٠

عاما فى تلك القلعة ولم يكن ينزل منها الاعندما يستدعيه امامه الحسن بن الصباح ،واستطاع من خلالها أن يثبت سلطة الاسماعيلية النزارية الباطنية فى جميع منطقة الرودبارد (١) .

ومن قلاع الباطنية النزارية قلعة ميمون دز والتى كانت معقلا لركن الدين خورشاه آخر حكام النزارية وحصنا له (٢) .

ومن مناطق نفوذ النزارية قلعة طريثيث (٣) فى قوهستان والتى فتحها السلطان سنجر عام ٥٢٠هـ وكذلك قرية طرز قرب بيهق (٤) (٥) .

من هذا يتبين لنا أن قلاع الباطنية فى بلاد فارس كانت تمتد من بحر قزوين فى الشمال الى أصفهان وطبس فى الجنوب ،ومن جبال الطالقان فى الشرق الى حدود آذربيجان مع الرى فى الغرب .

---

(١) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ٢٠١،برنارند لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ٥٩ .

(٢) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ٢٤٥ .

(٣) طريثيث : ناحية ذات قرى كثيرة من أعمال نيسابور وطريثيث قصبتها . ياقوت : معجم البلدان ٣٣/٤ .

(٤) بيهق : أصلها بالفارسية بيهه : ناحية كبيرة،وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة ،من نواحى نيسابور . انظر البغدادى : مراصد الاطلاع ٢٤٧/١ .

(٥) برنارند لويس: الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ٨٠ .

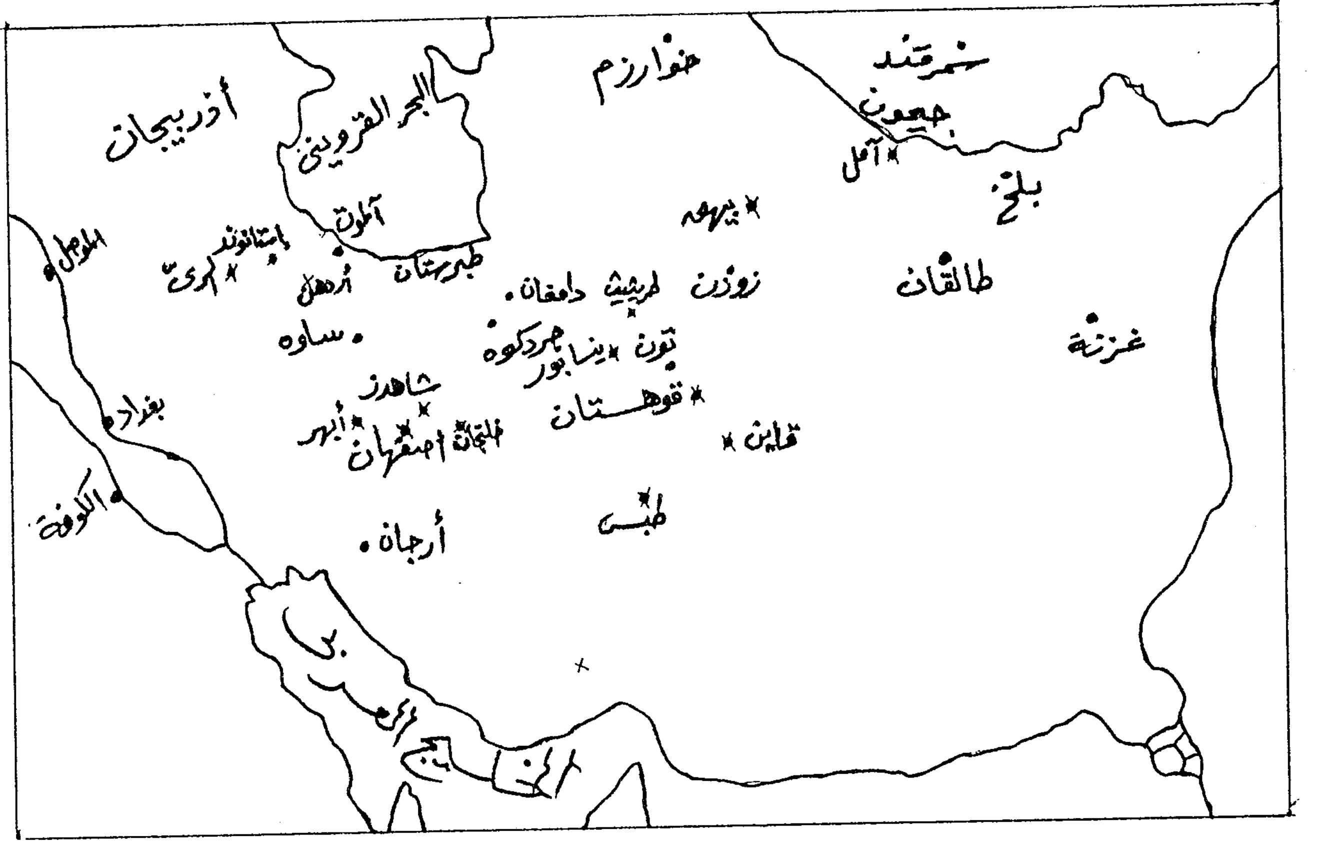

خريطة تبين مناطق نفوذ الحركة النزارية فى بلاد فارس .

أما مناطق نفوذ الحركة الباطنية النزارية فى بلاد الشام فهى على غرار مناطق نفوذ اخوانهم فى بلاد فارس ،فلقد ركزوا جهودهم على القلاع والحصون ذات المواقع الاستراتيجية لما فيها من حماية لهم من أعدائهم المحيطين بهم من كل جانب ،فضلا عن تمكينهم من نشر دعوتهم بين عامة الناس القريبين منهم .

وقلاع وحصون الباطنية الرئيسية فى بلاد الشام تكاد تكون محصورة ومعدودة لاتتجاوز الخمسة عشرة قلعة ،والمعلومات التاريخية التى تبين طرق حصولهم عليها قليلة ،وقلاع الباطنية فى الشام لاتسامى منعة ولا حصانة (١) .

ولكن هناك بعض الاشارات من المؤرخين عن كيفية الحصول والاستيلاء على بعض هذه القلاع والحصون ،ففى عام ٤٩٩هـ استطاع الباطنية النزارية أن يستولوا على حصن أفاميه بأمر من أبى طاهر الصائغ زعيم الباطنية فى الشام وبمساعدة رجل من الباطنية فى أفاميه يعرف باسم أبى الفتح السرمينى فاستولوا على القلعة وقتلوا صاحبها خلف بن ملاعب (٢) .

وفى ذى القعدة من عام ٥٢٠هـ استطاع بهرام زعيم الباطنية النزارية فى الشام من أخذ قلعة بانياس ،وبهرام هذا قصد دمشق أيام تاج الملوك بورى ودعا الى مذهبه بها وعاضده على ذلك سعيد المزدقانى وزير بورى حتى علت كلمته فى دمشق ،عند ذلك طلب بهرام من بورى حصنا يأوى اليه هو ومن اتبعه ،فأشار الوزير المزدقانى بتسليم قلعة بانياس اليه ،وبعد أن تسلمها وانتقل اليها ،واجتمع حوله أصحابه من كل ناحية ،عظم أمر

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ١٤٦/٤ .

(٢) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان مخطوط ١٣/ورقة ١٤٢آ .

بهرام فى قلعة بانياس وآخذ يتوسع فملك عدة حصون بالجبال عرفت باسم قلاع الدعوة (١) .

وفى عام ٥٢٧هـ اشترى الباطنية فى الشام حصن القدموس (٢) من صاحبه ابن عمرون وصعدوا اليه وسكنوه وقاموا بحرب من جاورهم من المسلمين حتى أنهم كرهوا مجاورتهم (٣) .

وبعد بضعة سنين من ذلك تملك الباطنية قلعة الكهف (٤) حيث تنازل ابن عمرون عنها لهم اثر الصراع الذى دار بينه وبين آبناء عمه من آجل الحكم (٥) .

وفى عام ٥٣٥هـ ملك الباطنية النزارية حصن مصياف وكان واليا عليه مملوكا لبنى منقذ أصحاب شيزر (٦)، فاحتالوا عليه ومكروا به حتى صعدوا اليه وقتلوه وملكوا الحصن (٧) . ومصياف هى قاعدة قلاع الدعوة فى الشام .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ١٢١/١، ابن الأثير : الكامل ٦٣٢/١٠ - ٦٣٣ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) القدموسى : قلعة بالقرب من الخوابى . انظر القلقشندى : صبح الأعشى ١٤٧/٤ .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط ٢٢٣/١٣آ، ابن الأثير : الكامل ٨/١١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٠٤/١٢ .

(٤) الكهف : قلعة بالقرب من القدموس على نشز جبل مرتفع عال يرى على بعد . انظر القلقشندى : صبح الأعشى ١٤٧/٤ .

(٥) برنارند لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٢٥ .

(٦) شيزر : قلعة بالشام قرب المعرة ، بينها وبين حماة يوم وهى تعد فى كورة حمص . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣٨٣/٣ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ٧٩/١١، الذهبى : دول الاسلام ٥٤/٢، ابن القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ٤٢٨ .

وفى عام ١١٣٦م (٥٣١هـ) استعادة الحشيشية النزارية السيطرة على حصن الخريبة (١) حيث استطاعوا اجلاء الحامية الصليبية عنه والسيطرة عليه (٢) .
ومن مناطق نفوذ الباطنية النزارية فى الشام قرية الحجيرا (٣) والتى بقيت فى أيديهم الى أن استرجعها الملك الصالح سنة ١١٧٩م (٥٧٥هـ) (٤) .

ظل الباطنية النزارية فى الشام يتوسعون ويستولون على المزيد من القلاع والحصون كلما لاحت لهم فرصة لذلك ،فاستطاعوا الاستيلاء على عدة حصون وقلاع أخرى منها قلعة المرقب ،وقلعة الخوابى (٥) ،وقلعة صهيون (٦) وقلعة المينقة (٧) ،وحصن أبو قبيس (٨) ،وقلعة الرصافة (الرصافى) (٩) ،وقلعة

---

(١) الخريبة : حصن بساحل الشام . انظر ياقوت الحموى : المشترك وضعا والمفترق صقعا ص ١٥٥ .
(٢) برنارند لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٢٥ .
(٣) الحجيرا : قرية من قرى غوطة دمشق . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢/٢٢٦ .
(٤) برنارند لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٣٤ .
(٥) الخوابى : قلعة فى جهة الشمال من طرابلس . القلقشندى : صبح الأعشى ٤/١٤٧ .
(٦) صهيون : قلعة حصينة فى طرف جبل وهى من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣/٤٣٦ .
(٧) المينقة : قلعة بالقرب من الكهف على نحو ساعة على جبل مرتفع . القلقشندى : صبح الأعشى ٤/١٤٧ .
(٨) أبو قبيس : قلعة حصينة غربى حلب مقابل شيزر . القلقشندى : صبح الأعشى ٤/١٢٤ ،ياقوت الحموى : المشترك وضعا والمفترق صقعا ص ١١ .
(٩) الرصافة : قلعة للاسماعيلية من ناحية الخوابى وهى بالقرب من مصياف . القلقشندى : صبح الأعشى ٤/١٤٦ ،ياقوت الحموى : المشترك وضعا والمفترق صقعا ص ٢٠٦ .

المهالبة ،وقلعة العليقة (١) ..

وكانت قلاع الباطنية النزارية فى الشام تمتد من قلعة بانياس فى الجنوب وحتى جبل السماق واعزاز والباب فى الشمال ٠ ومن البحر الأبيض المتوسط فى الغرب وحتى دمشق وحمص وحماه وآفاميه فى الشرق ٠

---

(١) مصطفى غالب : سنان راشد الدين ص ١١٦ ،مصطفى غالب : الثائر الحميرى ص ١٣٤ ،برنارند لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٢٥ ،فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢٤٥/٢ ٠

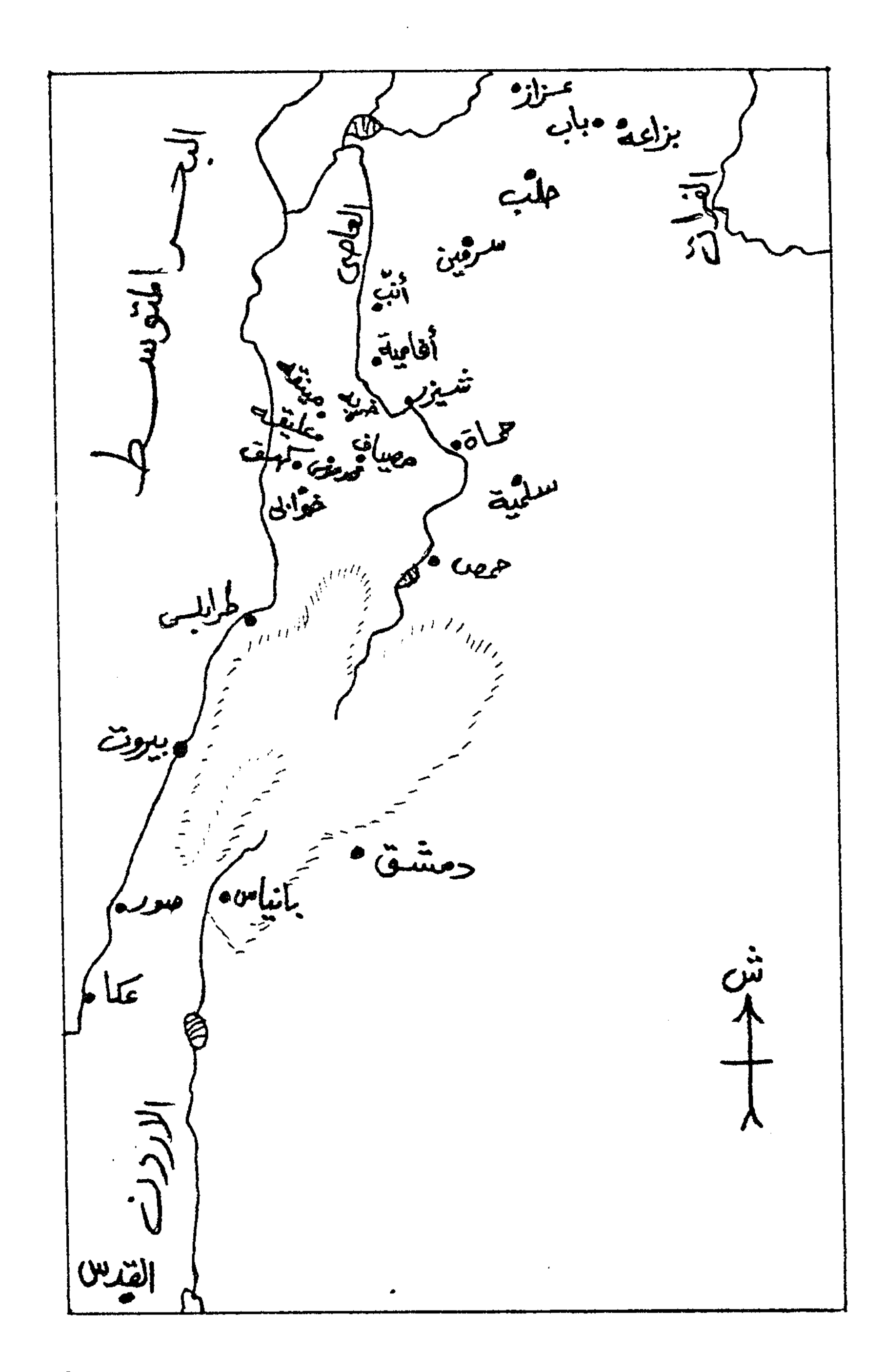

خريطة تبين مناطق نفوذ الحركة النزارية فى بلاد الشام

أما عن مناطق نفوذ الباطنية المستعلية ،فانها كانت تتمركز بصفة مستمرة فى مصر واليمن وأحيانا فى جنوب بلاد الشام والحجاز .

أما مناطق نفوذ الباطنية النصيرية فكانت عند ابتداء الحروب الصليبية تتركز فى الموصل وديار بكر (١) وحلب والعواصم (٢) أى طرسوس (٣) ،وآدنه ومصيصة (٤) ،واياس ،وهرونيه ،وبياس (٥) ،وجهات آنطاكية وجبلة (٦) مع اللاذقية وبانياس وطرطوس (٧) ،وطرابلس ،وجهات حماه وحمص وصور وساحل اقليم البلاد السورية حتى القدس (٨) .

---

(١) ديار بكر : ناحية ذات قرى ومدن كثيرة بين الشام والعراق ،قصبتها الموصل وحران وبها دجلة والفرات . القزوينى : آثار البلاد وآخبار العباد ص ٣٦٨،ياقوت : معجم البلدان ٤٩٤/٢ .

(٢) العواصم : هى حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية وقصبتها آنطاكية . ياقوت : معجم البلدان ١٦٥/٤ .

(٣) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين آنطاكية وحلب وبلاد الروم . ياقوت: معجم البلدان ٢٨/٤،القزوينى : آثار البلاد وآخبار العباد ص ٢١٩ .

(٤) مصيصة : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين آنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . ياقوت : معجم البلدان ١٤٤/٥ – ١٤٥ ، القزوينى : آثار البلاد ص ٥٦٤ .

(٥) بياس : مدينة صغيرة شرقى آنطاكية وغربى المصيصة وهى بينهما قريبة من البحر . ياقوت : معجم البلدان ٥١٧/١ .

(٦) جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام من آعمال حلب قرب اللاذقية . ياقوت : المشترك وضعا ص ٩٥ .

(٧) طرطوس : بلد بالشام مشرفة على البحر قرب المرقب وعكا . ياقوت : معجم البلدان ٣٠/٤ .

(٨) محمد غالب الطويل : تاريخ العلويين ص ٢٨٨،حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ٢٦٥/٤،فريد وجدى : دائرة المعارف ٢٤٩/١٠،عبدالرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٤٩٧/٢ – ٤٩٨ .

أما بالنسبة لمناطق نفوذ الدروز فأول موطن لهم كان في وادي التيم[(١)] الذي ترعرعت فيه الدعوة الدرزية بعد وصول محمد بن اسماعيل الدرزي الذي قام بنشر الدعوة بين أهالي سكان ذلك الوادي ،فاستجابوا له وأصبحوا فيما بعد رعاة دعوة تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي .

ظل الدروز في موطنهم في وادي التيم الى قبيل الحروب الصليبية حيث أخذوا في الانتشار من موطنهم في وادي التيم في جنوب لبنان الى منطقة الشوف ،وجبل السماق ،والى الشرق من مدينة بيروت[(٢)] .

ومن مناطق نفوذ الدروز في بلاد الشام حرمون (جبل الشيخ) حيث كانوا متجمعين في المناطق الجبلية وعلى الأخص في منطقة حرمون[(٣)] .

---

(١) وادي التيم : لم أعثر فيما توفر لدي من معاجم وكتب بلدان على تعريف لهذا المكان ،ولكن هناك تعريف له في كتاب فيليب حتي ،تاريخ سوريا يقول : الاسم مأخوذ من تيم الله (تيم اللات أصلا) وهم اسم لقبيلة عربية كانت في منطقة الفرات حيث تنصرت ثم تحولت الى جنوب لبنان . انظر فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢١٧/٢ حاشية (٤) .

(٢) فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢١٩/٢،سامي مكارم : أضواء على مسلك التوحيد ص ١٤١،محمد كرد علي : خطط الشام ٣/٢ .

(٣) سامي مكارم : أضواء ص ١٤٢ .

المبحث الثالث

علاقة هذه الحركات بالمسلمين من أهل السنة

فى وقت نشوء الحركة النزارية ومحاولتها تأسيس دولة لها، كان السلاجقة فى أوج قوتهم وذروة توسعهم، وكانوا منافحين عن المذهب السنى وأعادوا للخلافة العباسية هيبتها بعد أن كادت أن تتلاشى على أيدى البويهيين الشيعة، فأصبح السلاجقة حماة الدولة العباسية، وحاملى لواء السنة فى وجه الباطنية التى أخذت فى الانتشار داخل المجتمع الاسلامى فاتسمت العلاقات بين النزارية الباطنية والسلاجقة فى البداية بالعداء المطلق خاصة بعد نجاح النزارية فى الاستيلاء على قلعة آلموت فى عام ٤٨٣هـ بقيادة زعيمهم الحسن بن الصباح، وأصبحوا يشكلون مصدر خطر على أهل السنة المجاورين لهم، فعظم بلاؤهم وقطعوا الطريق وخربوا القرى (١).

وكان أول من تنبأ بخطر الباطنية الوزير نظام الملك بحكم زمالته للحسن بن الصباح فى الدراسة، فقال ذات مرة بفراسته عم قريب يضل هذا الرجل (٢). وبتنبؤ نظام الملك بخطر الباطنية وشرهم آخذ فى الاكثار من تحذير السلطان السلجوقى ملكشاه منهم وتنبيهه الى وجوب اعادة ديوان البريد الذى ألغاه السلطان ألب أرسلان حتى تبلغه أخبار الباطنية أولا بأول (٣).

---

(١) الذهبى : دول الاسلام ١٣٠/٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣١٧/١٠، عمر أبو النصر : قلعة آلموت ص ١٢٦ .

(٣) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٦٨ .

ونتيجة لذلك بذل الوزير نظام الملك غاية جهده فى استئصال الفتنة الباطنية من جذورها ،فسعى الى تجهيز العساكر والجيوش لقمعهم وقسرهم وذلك لما كان يراه بنظره الثاقب من شمائل أحوالهم الفاسدة وخطرهم على المجتمع . ومنذ ذلك التاريخ أصبح نظام الملك العدو اللدود للحسن بن الصباح وشيعته النزارية الباطنية ،فأخذ الحسن بن الصباح يعمل على التخلص من عدوه نظام الملك وحتى يذيع صيته باغتيال هذه الشخصية المرموقة ،فامتدت يد الغدر والخيانة الى حياة الوزير نظام الملك فأنفذ الحسن بن الصباح أحد فدائيته واسمه أبو طاهر الأرانى على هيئة صوفى متظلم الى نظام الملك ،وبعد أن فرغ من افطاره وخرج فى محفته الى خيمة حريمه تقدم اليه هذا الباطنى فى صورة مستغيث ،ولما اقترب منه طعنه بخنجر فاستشهد الوزير نظام الملك متأثرا بجراحه (١) .

بعد ذلك كانت العلاقات بين النزارية الباطنية وسلاطين السلاجقة تتسم بالمهادنة أحيانا وبالعداوة أحيانا أخرى ،فنرى السلطان السلجوقى ملكشاه يرسل الى الحسن بن الصباح وشيعته الامام أبو يوسف يعقوب بن سليمان الخازن وكان فقيها عارفا بالأصول على مذهب أبى الحسن الأشعرى لمناظرتهم فناظرهم وألف كتابه المسمى بالمستظهرى وأجاب على مسائلهم (٢) .

ولكن على مايبدو أن هذه المناظرة لم تحقق الهدف الذى تطلع اليه السلطان ملكشاه من محاولته اقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة ،وبازدياد ضرر النزاية الباطنية لجيرانهم من المسلمين وقطعهم للطريق ،لجأ

---

(١) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ١٩٧، ابن الاثير : الكامل ٢٠٤/١٠، ابن الجوزى : المنتظم ٦٦/٩، ٦٧، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٣٩/١٢ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣٢٤/٢ .

السلطان ملكشاه الى العمل المسلح ضدهم ،فأرسل أحد قواده واسمه أرسلان تاش فى أوائل عام ٤٨٥هـ على رأس جيش كبير لمحاربة الحسن بن الصباح وأتباعه ،فحاصر قلعة آلموت معقلهم الرئيسى وضيق عليها الحصار حتى أن الذين بها كانوا يعيشون على مايسد الرمق من قليل القوت ،فطلب الحسن ابن الصباح النجدة من أحد دعاته المسمى بدهدار أبو على المقيم فى قزوين فقدم فأرسل ثلاثمائة رجل من أتباعه الباطنية لنجدة الحسن بن الصباح والذين معه ،فألقوا أنفسهم داخل القلعة ،وبمعاونة المقيمين فيها أغاروا ليلا على جيش أرسلان تاش فانهزم هو وجيشه وذهبوا عن آلموت وعادوا أدراجهم الى ملكشاه (١) .

جزع السلطان ملكشاه من هذه النتيجة لكنه أصروعقد العزم على استئصال الباطنية ،لكن المنية عاجلته وحالت بينه وبين ذلك ففاضت روحه الى بارئها ليلة الجمعة منتصف شوال عام ٤٨٥هـ (٢) .

بعد وفاة السلطان ملكشاه دب النزاع بين أفراد البيت السلجوقى وتنافس أبناء ملكشاه على السلطة وظهر فى أفق النزاع أسماء بركياروق ومحمود ومحمد وسنجر أبناء السلطان ملكشاه ،وكان الصراع فى البداية بين بركيارق ومحمود ولكن صفا الجو لبركياروق بعد أن هزم أخيه ومناصروه فى موقعة بالقرب من أصفهان (٣) . وأصبح بركياروق هو سلطان السلاجقة فعين أخاه سنجر واليا على خراسان ومحمدا واليا على أذربيجان (٤) .

---

(١) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ١٩٤ – ١٩٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٢١٠/١٠ ،ابن الجوزى : المنتظم ٧٤/٩ .

(٣) انظر ابن الأثير : الكامل ٢١٥/١٠ .

(٤) انظر عبدالنعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص ٨٩، ٩٠ .

انتهز النزارية الباطنية فرصة الاضطرابات بين أفراد البيت السلجوقى فحاولوا تحسين علاقتهم ببعض الأمراء فتمكنوا من استمالة تاج الدولة تتش أخو السلطان ملكشاه أمير دمشق والذى كان يطمع فى زعامة البيت السلجوقى ،ولما قتل استمالوا ابنه رضوان وحاولوا التدخل بين بركياروق وأخيه محمد عندما دب النزاع بينهم،فنصروا بركياروق على أخيه محمد ودخلوا فى جيشه حتى أصبحوا يكونون ربعه (١) .

لكن لم يلبث أن تنبه بركياروق الى خطرهم واستفحال أمرهم خاصة بعد أن اتهم بركياروق بالميل الى مذهبهم فأمر بقتلهم والفتك بهم فأخذوا من خيامهم وأخرجوا الى ميدان عام فقتلوا فيه ولم يفلت منهم الامن لم يعرف (٢) . وتواصل القتل والفتك بالباطنية حتى أن عدد القتلى منهم بلغ ثلاثمائة (٣) .

أما عن السلطان محمد فلقد كانت علاقته بالنزارية الباطنية العداء المطلق ،ولما يئس النزارية من كسب السلطان محمد الى صفهم استمالوا وزيره سعد الملك الآبى وطائفة من العاملين فى بلاطه (٤) .

رغم ذلك لم يأل السلطان محمد جهدا فى محاربة النزارية الباطنية واجتثاث خطرهم ،فبدأ أولا بالقبض على وزيره سعد الملك وأخذ ماله وصلبه على باب أصبهان حتى مات وصلب معه أربعة من أعيان أصحابه (٥) ،ثم حاصر

---

(١) أحمد حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ص ١٧٩،١٨٠ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٢٣/١٠،النويرى : نهاية الأرب ٣٥٤/٢٦ ــ ٣٥٥ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم ١٢٠/٩ .
(٤) أحمد حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ص ١٨١ .
(٥) ابن الاثير : الكامل ٤٣٧/١٠،النويرى : نهاية الارب ٣٦٣/٢٦ .

قلعة آصبهان والتى كانت قاعدة سرير زعيم الباطنية عبد الملك بن عطاش فاستولى عليها فى عام ٥٠٠هـ وقتل ابن عطاش وسلخه حيا،ثم استولى على قلعة آلموت عام ٥٢٤هـ (١) (٢) .

أما السلطان سنجر فلقد اتسمت علاقته بالنزارية الباطنية بالعداء فى بادئ الأمر ثم بالمهادنة ،ففى عام ٥٢١هـ أوقع السلطان سنجر بالباطنية فى آلموت فقتل منهم عددا كبيرا قيل كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس (٣) .

ولكن بسبب تهديدات النزارية الباطنية للسلطان سنجر ونجاح الحسن بن الصباح بحيلة ماكرة فى استمالة أحد خدم السلطان استطاع بواسطته أن يغرس خنجرا مسموما أمام سرير السلطان فى الليل وهو نائم فلما استيقظ ورآى السكين ساوره القلق ،فأرسل الحسن بن الصباح على الفور رسولا وحمله رسالة جاء فيها : " لو لم تكن ارادة الخير بالسلطان قائمة لكان أجدر بذلك الخنجر الذى غرس فى الأرض الصلبة أن يغرس فى صدر السلطان اللين " ،فخاف السلطان ومال الى مصالحتهم لهذا السبب (٤) .

وقصارى القول أن العلاقات بين النزارية الباطنية ومن جاورهم من المسلمين كانت علاقة عداء وحقد استعمل الباطنية فيها كل أساليب الغدر والخيانة والدس بين السلاطين والسلب والنهب وقطع الطريق ،ففى عام ٤٩٨ هـ تجمع قفل الحجاج مما وراء النهر وخراسان والهند عند خوار الرى (٥) فأتاهم الباطنية وقت السحر فوضعوا السيف فيهم ،وقتلوهم كيف شاءوا

---

(١) الذهبى : دول الاسلام ٢٩/٢،النويرى : نهاية الأرب ٣٦١/٢٦ - ٣٦٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦٦٦/١٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٦٤٧/١٠،ابن كثير: البداية والنهاية ١٩٨/١٢ .

(٤) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ٢٠٥ .

(٥) خوار : مدينة كبيرة من أعمال الرى بينها وبين الرى نحو عشرين فرسخا . ياقوت : معجم البلدان ٣٩٤/٢ .

وغنموا أموالهم ودوابهم ،ولم يتركوا لهم شيئا .(١)

أما عن العلاقات بين النزارية الباطنية الحشاشين فى بلاد الشام ومن جاورهم من أهل السنة فكانت قائمة أيضا على العداء وبث الرعب فقطعوا الطريق وأخافوا السبيل وانضم اليهم كل مفسد وحاربوا من جاورهم من المسلمين .(٢)

حاول النزارية الحشاشون فى بلاد الشام استمالة بعض القادة والوزراء الى صفهم والاستفادة من وضعهم السياسى فى تدعيم مذهبهم ونشره بين الناس ،ومن لم يستطيعوا استمالته حاربوه واغتالوه حتى يتخلصوا من ضرره عليهم ،فمثلا استطاعوا استمالة الأمير رضوان ملك حلب اليهم وبمساعدته تمكنوا من اظهار مذهبهم ،وفى عهده أصبح لهم دار دعوة بحلب .(٣)

لكن الأمير رضوان تنبه الى خطرهم وعزم على الفتك بهم ،فعاجلته المنية ولم يتحقق له ذلك ،لكن ابنه ألب أرسلان الذى تولى المملكة بعده وبمساعدة ابن بديع رئيس الشرطة فى حلب فتك بهم وقتلهم وخلص حلب منهم .(٤)

ظل الباطنية على هذا المنوال يظهرون تارة ويختفون تارة أخرى ولكنهم اعتمدوا فيما بعد على طريقة أخرى لايذاء من جاورهم من المسلمين بالحيلة والغدر،فاستولوا على حصن مصياف من صاحبه الذى كان واليا عليه من قبل بنى منقذ أصحاب شيزر،فاحتالوا عليه ومكروا به حتى صعدوا

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٠/٣٩٢ - ٣٩٣ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/٢٠٤ ، الذهبى : دول الاسلام ٢/٢٨ .

(٣) ابن العديم : بغية الطلب ص ١٤٠،١٤١، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥/٢٠٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ١٠/٤٩٩، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢/٢٢٧ .

الى الحصن فقتلوه وأخذوا الحصن[١] . واستطاعوا أيضا بحيلة جريئة أن يستولوا على حصن شيزر من أصحابه بنى منقذ حيث استغلوا نزول بنى منقذ من الحصن لمشاهدة عيد فصح النصارى فوثبوا على الحصن فى غفلة من أهله فملكوه وصعدوا الى القلعة فملكوها هى وأبراجها، وأغلقوا باب الحصن، ثم استطاع بنو منقذ أن يستردوا الحصن منهم فى نفس الليلة[٢] .

لم يكتف النزارية الحشاشون بعلاقة العداء لمن جاورهم من المسلمين بل امتدت أيديهم الغادرة الى قادة الجهاد الاسلامى والى القادة الذين وقفوا فى وجه توسعات الباطنية ومقاومة أفكارهم، فاغتالوا على سبيل المثال الأمير مودود صاحب الموصل الذى رفع راية الجهاد ضد الصليبيين وهزمهم فى أكثر من موقعة، وأخذ على عاتقه توحيد الجبهة الاسلامية، فخاف الباطنية منه فامتدت أيديهم الغادرة الى هذا القائد واغتالوه فى صحن جامع دمشق بعد فراغه من أداء صلاة الجمعة، حيث وثب عليه باطنى فضربه بسكين فجرحه أربع جراحات فمات[٣] وذلك فى عام ٥٠٧هـ .

أما بالنسبة للعلاقات بين المستعلية وأهل السنة فهى تتمشى مع الخط العام للباطنية من نصب العداء والكيد لأهل السنة، واستغلال كل فرصة للانتقام منهم، فدأبت الدولة الفاطمية المستعلية على الاغارة باستمرار على بلاد الشام الخاضع لحكم السلاجقة السنيين ومحاولتهم

---

(١) برنارند لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٢٥ .
(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٠٣ - ٣٠٤، اسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ص ١٥٩ - ١٦٠ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ٤٩٦/١٠ - ٤٩٧، ابن كثير : البداية والنهاية ١٧٣/١٢، أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ٢٧/١ .

المستميتة للسيطرة عليه ،أو بث الخوف والرعب بين سكانه لدرجة أن السلطان السلجوقى ملكشاه شرع فى تجهيز الجيوش عازما على غزو مصر وأخذها من الرافضة (١) .

ولما علم المستعليون عدم جدوى الغارات الحربية للسيطرة على بلاد الشام لجأوا الى طريق آخر ،ففى عام ٤٩٠هـ ورد على فخر الملوك رضوان ملك حلب كتاب المستعلى بالله صاحب مصر مع رسوله يلتمس من رضوان الدخول فى طاعته واقامة الخطبة والدعوة لدولته . ولحاجة فى نفس رضوان (٢) أجاب الى ما التمسه منه المستعلى ،فأمر بأن يدعى للمستعلى على سائر منابر الشام التى فى يده ،فدعا الخطيب أبو تراب حيدرة بن أبى أسامة بحلب للمستعلى ثم لوزيره الأفضل ثم لرضوان وذلك فى يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان عام ٤٩٠هـ ،فاستمرت الخطبة على هذا لمدة أربع جمع ،وصادف أن حضر الى حلب الأمير سكمان بن أرتق وياغى سيان صاحب أنطاكية فانكرا ذلك على رضوان واستعظماه وأشارا عليه بابطال ذلك فقبل بما أشير به عليه وأعاد الخطبة للعباسيين وأرسل الى بغداد يعتذر مما كان منه (٣) .

---

(١) الذهبى : دول الاسلام ١٣/٢ .

(٢) كان هناك صراع عنيف بين الملك رضوان وأخيه دقاق ملك دمشق وكان كل منهما يطمع فى السيطرة على أملاك الآخر فوجد رضوان الفرصة مناسبة للاستعانة بالفاطميين على أخيه رضوان وفى ذلك يقول ابن القلانسى : وكان الملك رضوان قد بنى الأمر فى ذلك على الاجتماع مع العسكر المصرى والنزول على دمشق لأخذها من أخيه دقاق . انظر ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٢٦٩/١٠ – ٢٧٠، ابن العديم : بغية الطلب ص ٣٤٤، ابن كثير : البداية والنهاية ١٥٤/١٢، الذهبى : العبر ٣٦٢/٢، النويرى نهاية الارب ٧٢/٢٧ .

بعد فشل المستعلية فى بناء العلاقات الودية مع الملك رضوان ،وظهرت عدم مقدرتهم على وضع قدم لهم بالشام ،لجأوا الى أسلوبهم المعهود فجهز الأفضل أمير الجيوش فى مصر عام ٤٩١هـ جيشا كبيرا ونزل به على بيت المقدس الذى كان تحت حكم الأميرين سكمان وايل غازى ابنا أرتق السنيين وجماعة من أقاربهما ،فحاصر الأفضل بيت المقدس ونصب عليه المجانيق فتهدم جزء من السور،واستطاع أن ينتزع بيت المقدس من يد الأراتقة السنيين فى الوقت الذى كان فيه الصليبيون يحاصرون مدينة أنطاكية (١) .

أما بالنسبة للعلاقات بين النصيرية والدروز بمن جاورهم من المسلمين فلا توجد هناك أى علاقات مباشرة بين الطرفين،على الرغم من الاختلاف العقائدى بينهما ،ووجود التجمعات النصيرية والدرزية داخل المحيط الاسلامى السنى ،فقد كان النصيرية معتصمين بالجبال منعزلين عمن حولهم ،ومنكمشين فى قراهم الجبلية ،أو متفرقين منطوين على أنفسهم فى المدن أو السواحل (٢) . ونلاحظ أن النصيرية نزلوا الى السواحل من جبالهم أثناء الحروب الصليبية وحروب التتار ،وبعد اندحار هؤلاء نجدهم يرجعون الى جبالهم (٣) .

أما الدروز فكانوا يعيشون أيضا فى مجتمعات مغلقة وليس لهم أى اتصال بمن جاورهم ،ويبدو أن هذه العزلة التى فرضها الدروز على أنفسهم نابعة من معتقداتهم وأسس مذهبهم ،فهم لايقبلون أحدا فى دينهم

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢١ .
(٢) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٣٠ .
(٣) محمد الخطيب : الحركات الباطنية ص ٣٣٠ .

ولايسمحون لأحد بالخروج منه[١] . ولايجوز عندهم زواج الدرزية من غير الدرزى ،ولازواج الدرزى من غير الدرزية ،فاذا حدث زواج من هذا القبيل فانه يكون باطلا . بالاضافة الى ذلك فان العقيدة الدرزية عقيدة باطنية ،ولايجوز لأى أحد الاطلاع على الكتب الدينية للدروز غير الدروز أنفسهم[٢] .

فتعليمات وقواعد العقيدة النصيرية والدرزية هى التى أثرت فى سلوك هؤلاء القوم ،وجعلتهم منطوين على أنفسهم ومنعزلين عمن جاورهم وليس لهم أى علاقات بأحد من جيرانهم فيما عدا العلاقات التى كانت بينهم وبين الصليبيين أثناء الحروب الصليبية لالتقاء الطرفين فى عدائهم للمسلمين ،وهذا ماسنراه فى الفصل الرابع .

---

(١) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص٣٠٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

المبحث الرابع

العلاقات بين النزارية والمستعلية

بعد وفاة الخليفة الفاطمى المستنصر بالله ،أجلس الوزير الأفضل ابن بدر الجمالى أمير الجيوش ابن الخليفة المستنصر الأصغر أحمد على سرير الخلافة ،ولقبه المستعلى بالله ،فلما علم داعى الاسماعيلية فى بلاد فارس الحسن بن الصباح بذلك غضب غضبا شديدا خاصة أنه علم من المستنصر خلال زيارته لمصر حينما سأله من امامى بعدك ؟ فقال له المستنصر : ابنى نزار ،والمعروف أيضا فى العقائد الاسماعيلية أن الامامة عندهم دائما تكون فى الأعقاب ،أى تنتقل من الأب الى الابن الأكبر مباشرة . لهذه الأسباب ثار الحسن بن الصباح وأعلن الدعوة لنزار ولأولاده من بعده فى بلاد فارس ،ومنذ ذلك التاريخ أصبح الخليفة الفاطمى الذى يحكم فى القاهرة فى نظر النزارية مغتصبا للحق الشرعى فى الامامة ومن الواجب المقدس عندهم أن يخلع وتقام امامة نزار (١) .

بعد القضاء على ثورة نزار فى الاسكندرية ضد أخيه الأصغر لتوليه الخلافة من دونه ،وصفاء الجو فى مصر لصالح أمير الجيوش الأفضل والخليفة المستعلى ،أخذ الأفضل فى تتبع جميع من كان مع نزار أو مالأه أو أعانه فقبض على كثير من وجوه البلد الذين أيدوا نزار وأودعهم السجون وعلى رأسهم قاضى ثغر الاسكندرية أبو عبد الله محمد بن عمار الذى اعتقله مدة ثم قتله (٢) .

---

(١) برنارند لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٢٤ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ١٥/٣ .

استحكم العداء بين النزارية والمستعلية خاصة أن النزارية بقيادة الحسن بن الصباح آخذوا فى السعى لتأسيس دولة على غرار الدولة المستعلية فى مصر حتى تكون مأوى لأتباع النزارية ودعاتها،وبعد نجاح النزارية فى تأسيس شبه كيان لهم آخذوا فى نشر دعاتهم على مختلف الأقطار والمناطق داعين الى امامة نزار والمذهب النزارى الجديد،فكانت مصر من المناطق المهمة التى توجه اليها دعاة النزارية خاصة أنه يوجد بها المستعلية أعداؤهم اللدودون ،وبعد فترة من الزمن وفى خلال النصف الأول من القرن السادس الهجرى وبالتحديد فى عهد الخليفة المستعلى الفاطمى الحافظ لدين الله ،انفجرت أكثر من ثورة موالية لنزار ،لكن جيوش مصر استطاعت أن تخمد هذه الثورات وتقضى عليها وآخذت الحكومة المستعلية فى مصر بعد ذلك فى صرف معظم انتباهها للتغلب على الدعاية النزارية بين رعاياها [(١)] •

أخذ النزارية بعد هذا التضييق فى استخدام وسائل وآساليب أقوى وأكثر تمييزا وتأثيرا ضد أعدائهم ومنافسيهم المستعلية،فاستطاعوا فى عام ٥١٥هـ اغتيال عدوهم الأول الوزير الأفضل أمير الجيوش فى مصر والذى كان المسئول الأول عن عزل نزار واغتصاب الحق الشرعى فى الامامة لصالح ابن أخته الأصغر المستعلى وذلك من قبل ثلاثة فدائية حشيشية من حلب [(٢)] •

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٤٦٩،٤٧٠،برنارند لويس : الدعوة الاسماعيلية ص ١٢٤ •

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ٢٢٢/١،الذهبى : العبر ٤٠٤/٢،٤٠٥،برنارند لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٢٤ •

لم يقف النزارية عند هذا الحد فى عدائهم للمستعلية ،بل أرادوا فى هذه المرة أن يكون صيدهم ثمينا ،فدبروا الأمر لاغتيال الخليفة المستعلى نفسه ،حتى يكون الثأر مساويا لقتل امامهم نزار . فاستطاعوا فى عام ٥٢٤هـ اغتيال الخليفة المستعلى الآمر بأحكام الله فلقى مصرعه فى القاهرة على يد عشرة من الحشيشية النزارية ،وكانت كراهية الآمر للنزارية معروفة بشكل جيد،فلقد روى بأنه بعد مصرع بهرام داعى الباطنية النزارية فى الشام على يد جماعة ضحاك بن جندل أخو برق بن جندل مقدم وادى التيم الذى اغتالته الباطنية النزارية ،أخذ رأس بهرام ويداه وخاتمه من قبل أحد سكان وادى التيم الى القاهرة حيث استلم حاملهما جوائز وخلعة من الآمر نفسه .(١)

ظل العداء مستحكما بين النزارية والمستعلية ولم يرو أنه حصل أى اتصال أو اتفاق بين الطرفين ،وظل كل طرف يحيك المؤامرات ضد الطرف الثانى ، وكل واحد منهم أخذ فى تتبع أتباع الطرف الآخر ويصفيهم فلقد روى بأنه فى عام ٥١٤هـ قتل رجل على يد الحشيشية النزارية فى دمشق اتهم بأنه كان يتجسس على الحشيشية النزارية فى الشام لحساب الحكومة المستعلية فى مصر .(٢)

هذه هى طبيعة العلاقات بين النزارية والمستعلية عداء محكم قائم على الكيد لمحاولة تخلص أحد الطرفين من الآخر،ولم يقف العداء عند هذا الحد بل تعداه الى الاغتيال والقتل وسفك الدماء أحيانا فهذه هى طبيعة الحركات الباطنية فى كل عصر وزمان .

---

(١) ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ورقة ١٤٥٨، ابن الأثير :الكامل ٦٦٥،٦٦٤/١٠، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٠٠/١٢، المقريزى : اتعاظ الحنفا ١٢٨/٣ - ١٣٧، برنارد لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٢٤، عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٣٦٧/٢ .

(٢) برنارند لويس : الدعوة الاسماعيلية الجديدة ص ١٢٤ .

الفصل الثاني

العلاقات السياسية والعسكرية بين الفاطميين والصليبيين

المبحث الأول : تعامل الفاطميين مع الصليبيين

المبحث الثاني : مقاومة الفاطميين للصليبيين

المبحث الأول

تعامل الفاطميين مع الصليبيين

بعد أن تحركت جموع الصليبيين من أوروبا باتجاه الشرق فى أول حملة صليبية على العالم الاسلامى وبعد وصول هذه الجموع الى مضيق البسفور ودخولها فى أراضى الدولة البيزنطية ، أقسم زعماء هذه الحملة يمين الولاء والطاعة للامبراطور البيزنطى الكسيوس كوفين ، ونصحهم الامبراطور بأن يسعوا للوصول الى نوع من الاتفاق مع الفاطميين فى مصر اذ أن الفاطميين كانوا من أشد الناس خصومة للترك السلاجقة السنيين ولايقبلون مطلقا مصالحتهم ، بينما اشتهروا بالتسامح مع رعاياهم من المسيحيين ، وكانوا دائما مستعدين للتفاهم مع الدول المسيحية (١)

ثم واصل الصليبيون زحفهم وتقدمهم عبر الأناضول وخاضوا عدة معارك مع سلاجقة الروم انتصروا فى غالبها ، وواصلت هذه الجموع زحفها فاقتحمت نيقية (٢) ، ومرعش (٣) ، وحصون الدروب ، ووصلت الى جبل السماق ، وأخيرا اصطفت أمام أنطاكية أول معقل وحصن اسلامى على الحدود الاسلامية البيزنطية فشددوا عليها الحصار الذى استمر قرابة الثمانية أشهر سقطت بعده المدينة بأيديهم فى أول رجب من عام ٤٩١هـ .

فى هذا الوقت الحرج والعالم الاسلامى مهدد بالغزو الصليبى

---

(١) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ٣٢٥/١ ، مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والفاطميين ١٢٦/١ .

(٢) نيقية : مدينة من أعمال اصطنبول على البر الشرقى . ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣٣٣/٥ .

(٣) مرعش : مدينة من الثغور بين الشام وبلاد الروم . ياقوت الحموى معجم البلدان ١٠٢/٢ .

وهو فى حاجة ماسة لمد يد العون والى كل جهود مخلصة لتوحيد جبهة المسلمين فى وجه الصليبيين . فى هذا الوقت العصيب لم تقف الخلافة الفاطمية صامتة متفرجة على الزحف الصليبى فحسب بل كان موقفها مريبا غامضا مثيرا للشكوك والدهشة ،مما حدا بالمؤرخين المسلمين المعاصرين الى اتهام أمير الجيوش الفاطمى الأفضل بالتقصير والتفريط فيعجب ابن تغرى بردى من هذا الموقف المريب وهو أكثر المؤرخين تسامحا فى وصف موقف الأفضل فقال : " ولم ينهض الأفضل باخراج عساكر مصر ،وما أدرى ماكان السبب فى عدم اخراجه مع قدرته على المال والرجال "(١) .

لم يكتف الأفضل بهذا ولم يقف عند هذا الحد وبدلا من أن يجيش الجيوش لصد المعتدين أرسل سفارة الى الصليبيين بينما كانوا يحاصرون أنطاكية ،وتفيد بعض المصادر الصليبية بأن .... الأفضل عندما رأى حصارهم لأنطاكية قد طال ،خاف من أن يتسرب الضعف والملل الى نفوس الصليبيين لذا أرسل اليهم سفارة ترجو قادتهم مواصلة الحصار،وأكد لهم أنه سيساعدهم بالامدادات العسكرية والمواد الغذائية ،وكلف سفراء مخصوصين بالعمل على كسب قلوب قادة الصليبيين ،فوصلت السفارة المصرية فى أوائل الربيع الى معسكر الصليبيين المحاصر لأنطاكية ،فاستقبل القادة الصليبيون السفارة المصرية بحفاوة بالغة ،وعقدوا معهم عدة اجتماعات وتسلموا منهم رسالة الأفضل ،ومكث الوفد الفاطمى فى المعسكر الصليبى عدة أسابيع عادوا بعدها الى بلادهم تصحبهم سفارة صليبية تحمل الهدايا

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٤٧/٥ .

الوفيرة للتباحث مع الأفضل فى الأمور التى اتفقوا عليها[(١)] . والجدير بالذكر ان السفارة الفاطمية قبل ابحارها عائدة الى مصر أرسل اليها الصليبيون حمولة أربعة جياد من رؤوس القتلى السلاجقة السنيين هدية لخليفة مصر فأبدى أفراد السفارة سرورهم البالغ لذلك المشهد[(٢)] .

لم يكن هذا هو الاتصال الأول بين الفاطميين والصليبيين فهناك اشارات أوردها المؤرخ اللاتينى المعاصر للحملة الصليبية الأولى كفارو الكاسكيفلونى فى حولياته ذكرها الدكتور مصطفى العنانى فقال : " ليكن معلوما لدى الجميع الآن وفى المستقبل ،وفى عهد البابا أوربان الثانى الطيب الذكر،أن الدون جونفريدو بصحبة الكونت فراندلينيس ،وعدد آخر من النبلاء والسادة الذين رغبوا فى زيارة ضريح السيد المسيح (عليه السلام) قد ذهبوا الى مدينة جنوة ،ومنها ركبوا السفينة الجنوبية المعروفة باسم بوميلا *Pomella* ليبحروا الى الاسكندرية . ولما وصل الوفد الى ميناء الاسكندرية ،اتجهوا بصحبة الجنود (الفواطم) الى ميناء مدينة بيت المقدس (أى يافا) . وعندما أرادوا دخول المدينة عبر بواباتها لزيارة ضريح السيد المسيح ،رفض حراس المدينة دخولهم الا بعد أن يدفعوا الرسوم المفروضة عليهم حسب ماهو مقرر كالعادة ومقدارها بيزنط واحد ليتمكنوا من الدخول " ويفسر الدكتور العنانى

---

(١) ستيفن رنيسمان : الحروب الصليبية ٣٢٦/١،يوسف غوانمة : دراسات فى تاريخ الأدن وفلسطين ص ١٢٣،١٢٤،سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية ،مقال فى المجلة التاريخية المصرية المجلد ١٦ لعام ١٩٦٩م ،ص ٢١،حسن حبشى : الحروب الصليبية الأولى ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس : ترجمة حسن حبشى ص ٦٣ .

هذا الحدث بقوله : ان هذه الرحلة التى قام بها الأمراء الصليبيون لم تأت من فراغ وبلا مقدمات واتصالات مسبقة بين هؤلاء الأمراء والفاطميين فى مصر ،فلا يعقل أن يقوم هؤلاء الأمراء الصليبيون بزيارة ميناء الاسكندرية دون أن يستقبلهم مسئولوا الأمن بالميناء،ودون وجود اتصالات سابقة وترتيب سالف . وهذا يؤيد ماقام به الفاطميون من ارسال جند حراسة اصطحبوا السفينة بوميلا الى ميناء بيت المقدس ،وكان الهدف من ذلك حماية هؤلاء الأمراء من خطر السلاجقة ابان رحلة الذهاب والعودة من الاسكندرية الى بيت المقدس التى استغرقت أكثر من عامين (١) .

لم يتمهل الأفضل واستغل فرصة انشغال السلاجقة فى شمال الشام بالتصدى للزحف الصليبى فأرسل قواته الى صور وفتحها عنوة وملكها (٢) ثم أرسل قواته فى العام التالى ونزلت على بيت المقدس واستطاعت أن تنتزعه من أصحابه الأراتقة سكمان وأخيه ايلغازى (٣) . ولو بقى بيت المقدس فى أيدى الأراتقة لكان أصلح للمسلمين على حد قول ابن ظافر (٤) .

لاشك أن سلوك الأفضل هذا كان عاملا من أهم العوامل فى انتصار الجيوش الصليبية ،ووصولها الى هدفها من دخول بيت المقدس واحتلال معظم بلاد الشام ،لقد كان بمقدور الأفضل أن يقف فى وجه الصليبيين ويتصدى لزحفهم ويردهم عن بلاد المسلمين فالأحوال فى مصر كانت هادئة مستتبة

---

(١) مصطفى العنانى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى ٨٨/٢ - ٨٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٢٦٤/١٠ .

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢٢/٣ .

(٤) ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ص ٨٢ .

وكانت مصر تتمتع بالرخاء ،بالاضافة الى ذلك كان الأفضل قادرا على المال والرجال كما قال ابن تغرى بردى . وليس أدل على ذلك من قدرة الأفضل على احتلال صور وتملكه لبيت المقدس . فى هذا الوقت كانت الجيوش الصليبية فى طريقها الى القدس فلم ينتظر الأفضل وصولها أو حتى التصدى لها ،بل عاد لتوه الى القاهرة ،فى حين كانت القوات الصليبية التى حاصرت بيت المقدس فى غاية الانهاك والتعب ،وعانوا أثناء الحصار كثيرا من الحرارة الشديدة التى ظلت تهب أياما عديدة فأثارت بذلك أعصاب الصليبيين الذين لم يألفوها ،أما قلة حصولهم على الماء فقد زاد وضعهم صعوبة وعسرا ،ففى كل يوم كانت تهلك عطشا أعداد كبيرة من الدواب والماشية والأغنام التى جمعها الجيش ،بالاضافة الى ذلك لم تكن أعداد الجيش الصليبى المحاصر لبيت المقدس كبيرة ومخيفة كما صور ذلك بعض المؤرخين فهى لم تتجاوز ١٥٠٠ فارس و ٢٠ ألف من المشاة لقد كان بمقدور المسلمين فى هذا الحال تحطيم القوات الصليبية الغازية لكن موقف الدولة الفاطمية بحكم أنها الدولة القوية كان فاتحا لها أبواب النصر ،وهذا ما أثار تعجب المؤرخ ابن تغرى بردى فقال : "والعجب أن الفرنج لما خرجوا الى المسلمين كانوا فى غاية الضعف من الجوع وعدم القوت ،حتى أنهم أكلوا الميتة وكانت عساكر الاسلام فى غاية القوة والكثرة ،فكسروا (أى الصليبيين) المسلمين وفرقوا جموعهم "(١) .

ومما لاشك فيه أن الدولة الفاطمية كانت على علم بأهداف الصليبيين وخط سيرهم حتى قبل وصولهم الى أراضى الدولة البيزنطية ،فلقد بلغ الصليبيون أهدافهم وأمير جيوش الدولة الفاطمية خامل متردد حائر

---

(١) رينسمان : تاريخ الحروب الصليبية ٣٩٩/١،يوسف غوانمه : دراسات فى تاريخ الأردن وفلسطين ص ١٢٢،مصطفى الكنانى : العلاقات بين الفاطميين وجنوة ١٢٤/١ .

فرماه بعض المؤرخين بالخيانة والبعض الآخر قال بأنه كان يعمل على معاونة الفرنج وتيسير فتوحاتهم،والدليل على أن الأفضل والدولة الفاطمية كانوا على علم بقدوم الصليبيين ماقاله المؤرخ المعاصر ابن الأثير : " أن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام الى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم،ودخول الاقسيس الى مصر وحصرها،فخافوا وأرسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه" [(١)] .

فى هذا الوقت الحرج ،وعدم وجود قائد مسلم يجمع كلمة المسلمين حوله ،تطلعت الأبصار الى مصر باعتبارها أقوى دولة اسلامية آنذاك ولديها القدرة والكفاءة مايرد المعتدين لو أخلصت النية،ولقد ذكر الدكتور يوسف غوانمة عن المؤرخ وليم الصورى ماعبر عن ذلك فقال: "فان خليفة مصر كان أكثر المسلمين قوة بسبب ثروته الكبيرة وقواته العسكرية" [(٢)] . ولكن موقف الدولة الفاطمية خيب الظن وأفقد الأمل فالخلفية الفاطمى الآمر كان كما قال ابن تغرى بردى : " متناهى فى العظمة،متقاعد عن الجهاد ،متهاون فى أمر الغزو ـ ومن هذا يظهر عدم اكتراث أهل مصر بالفرنج من كل وجه" [(٣)] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٢٧٣/١٠ ،ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٢٤/٥ ، انظر مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى ٩٦/٢ .

(٢) يوسف غوانمة : دراسات فى تاريخ الأردن وفلسطين ص ١٢٣ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٧٨/٥،١٧٩ .

وهكذا يتبين لنا أن موقف الدولة الفاطمية المتحالف مع الصليبيين كان يهدف الى ضرب السلاجقة السنيين فى الشام والقضاء عليهم ،وعدم تمكينهم من الوحدة وجمع صفوفهم لمواجهة الصليبيين ،وهذا مادل عليه قول وليم الصورى الذى نقله الدكتور يوسف غوانمة فقال : " ان محاصرة الصليبيين لأنطاكية أثلجت صدر الأفضل ،واعتبر أن خسارة الأتراك السلاجقة (السنيين) لأى جزء من أملاكهم انما هو نصر له نفسه " (١) .

ولكن الحقيقة لم تلبث أن تكشفت ،فالصليبيون أخذوا بنشوة النصر على المسلمين فى أنطاكية ،وأخذوا يتنصلون من الاتفاق الذى حصل بينهم وبين الأفضل ،وبدأوا يزحفون صوب هدفهم الأساس بيت المقدس ،فأخذت جموتهم تزحف نحو الجنوب فاستولوا على المعرة (٢) ، ثم رحلوا عنها الى جبل لبنان فقتلوا من به (٣)، وأخذوا يستولون على المدن والقرى التى فى طريقهم حتى وصلوا الى طرابلس الشام وضربوا عليها الحصار ،وبدلا من أن يخرج الأفضل بالجيوش لمحاربة الصليبيين وتوقيف زحفهم جنوبا أرسل اليهم سفارة أخرى وهم يحاصرون طرابلس هنأهم فيها على مافعلوه ،وطلب منهم التشديد على الأتراك السلاجقة السنيين والخلافة العباسية فى بغداد،واحتلال المزيد من أملاكهم ،والحد من العجرفة المفرطة للأتراك

---

(١) يوسف غوانمة : دراسات فى تاريخ الأردن وفلسطين ص ١٢٤،وانظر أيضا مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والفاطميين ١٢٦/١ حاشية رقم ١. فايد عاشور : جهاد المسلمين فى الحروب الصليبية ص ١١٠ .

(٢) المعرة : مدينة كبيرة مشهورة وهى معرة النعمان من أعمال حمص بين حلب وحماه . ياقوت الحموى : معجم البلدان ١٥٦/٥ .

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢٣/٣،ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ص ٨٢ .

ولكى يثبت لهم حسن نواياه واستعداده للتعاون معهم ،وكمكافأة لهم على مافعلوه ،أرسل مع السفارة الهدايا النفيسة والأموال الضخمة لكل واحد من زعماء الصليبيين ،وذكر لهم أنه سوف يمنحهم امتيازا خاصا وذلك بالسماح لمجموعات من الحجاج غير المسلحين بزيارة القدس ،تكون كل مجموعة بين ٢٠٠ الى ٣٠٠ حاج ،وتعهد بأن يعيدهم سالمين بعد أداء مراسم الحج . فاعتبر الصليبيون هذه الرسالة ،وهذا العرض اهانة لهم ،فأجبروا أعضاء السفارة المصريين على العودة ومعهم الجواب الذى جاء فيه : "ان الجيش لن يقبل الذهاب هناك فى فصائل صغيرة طبقا للحالات المقترحة وعلى النقيض من ذلك فانه سيزحف الى القدس كجيش واحد متحد ،وانهم سيتمكنون من الحج فعلا ،ولكن باذن الله ... وليس باذن الخليفة الفاطمى "[1] .

لم يتمهل الصليبيون ،فبعد سقوط طرابلس واصلوا زحفهم جنوبا واشتد حماسهم لاحتلال مدينة الرملة التى تقع فى جوف الأراضى المقدسة لاتخاذها مركزا للانطلاق منه لحصار مدينة بيت المقدس ،فنزلوا عليها وملكوها[2] . ومنها وفى شهر رجب من عام ٤٩٢هـ تحركت جموع الصليبيين باتجاه بيت المقدس ضاربة الحصار عليه تمهيدا لاحتلاله .

تمكن الصليبيون من بعد حصار دام أربعين يوما من احتلال بيت المقدس فى شهر شعبان من عام ٤٩٢هـ ،ولبثوا اسبوعا يقتلون المسلمين وأحرقوا ماكان ببيت المقدس من مصاحف وكتب ،وقتل الصليبيون بالمسجد

---

(١) يوسف غوانمة : دراسات فى تاريخ الأردن وفلسطين ص ١٢٥ ،سعيد عاشور شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٢ ،رينسمان : تاريخ الحروب الصليبية ١/٣٩٠ .

الأقصى مايزيد على سبعين ألفا من المسلمين ،منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين ،وعلمائهم ،وعبادهم ،وزهادهم (١) . وعندما أراد القائد الصليبى ريموند زيارة ساحة المعبد،لم يستطع أن يشق طريقه وسط أشلاء المسلمين الا فى صعوبة بالغة ،فأخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء التى بلغت ركبتيه (٢) .

فى هذا الوقت ،وبعد أن كشف الصليبيون عن حقدهم تجاه المسلمين وهدفهم ،لم يتخذ الأفضل أى اجراء حاسم لردع الصليبيين وتوقيفهم عند حدهم . وبدلاًمن أن يتحرك الأفضل بجيشه مسرعا لانقاذ بيت المقدس كانت قواته تتثاءب متباطئة فى سيرها فوصلت الى عسقلان فى منتصف شهر رمضان أى بعد سقوط بيت المقدس بعشرين يوما وقد فات الأمر (٣) . ومن عسقلان أرسل الأفضل الى الصليبيين فى بيت المقدس يوبخهم ويتهددهم وينكر عليهم مافعلوه، ومن نقضهم للمعاهدة التى تمت بينه وبينهم (٤) ،وأعاد الصليبيون الرسول بالجواب ،وركبوا فى أثره ،وعقيب وصول الرسول باغتت القوات الصليبية الأفضل وجيشه فى الموضع المعروف بالبصة فهزمتهم وقتلت منهم عددا كبيرا (٥) . وغنمت مافى معسكرهم من مال وسلاح ،واحتمى البعض من الجند المهزومين بشجر الجميز وكان هناك كثيرا ،فأحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك من فيه ،وقتلوا من خرج منه (٦) . ثم انهزم الأفضل وشتات جيشه الى

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٢٨٣/١٠ ـ ٢٨٤، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢٣/٣ .

(٢) رينسمان : تاريخ الحروب الصليبية ٤٠٤/1 .

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٣ .

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢٤/٣ ، ابن الأثير : الكامل ٢٨٦/١٠ .

(٥) ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ص ٨٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ٢٨٦/١٠ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢٤/٣، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٣ .

عسقلان وتحصن بها،وحاصره الصليبيون فيها،ولكنهم لم يتمكنوا من اقتحام المدينة،فعادوا الى بيت المقدس،وبقيت عسقلان تحت سيطرة الدولة الفاطمية الى عام ٥٤٨هـ،وهذا دليل على أن الدولة الفاطمية كانت قوية والا لما استطاعت أن تصمد هذه الفترة الطويلة فى عسقلان،ولكن للأسف لم توجه هذه القوة ضد الصليبيين .

بعد موقعة عسقلان وانهزام الأفضل وجيشه أمام الصليبيين،زال خوف الصليبيين من الأفضل وقواته،فقويت عزيمتهم على انتزاع المدن الفلسطينية والشامية والسيطرة عليها،فضعفت عزيمة أهل الشام واقتنعوا بأن لافائدة ترجى من الفاطميين،فعندما حاصر الصليبيون أرسوف وضيقوا عليها الحصار أرسل أهل أرسوف الى الأفضل يطلبون النجدة،فأرسل الأفضل حملة صغيرة لايتجاوز عدد أفرادها الثلاثمائة رجل،فى حين وصلت الصليبيين نجدات بحرية كثيرة،فلم يقو أفراد تلك الحملة على الصمود أو المقاومة مما اضطر أهالى أرسوف الى الاستسلام للصليبيين وتسليم المدينة اليهم بالأمان فأخذوها وأخرجوا أهلها منها (١) .

ثم مالبث أن استولى الصليبيون فى عام ٤٩٣هـ على حيفا على ساحل البحر المتوسط بالسيف،وواصلوا بسط سلطانهم على المدن الفلسطينية فاستولوا فى العام التالى على قيسارية بالسيف،وقتلوا أهلها ونهبوا مافيها (٢) .

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٥،خاشع المعاضيدى : الحياة السياسية فى بلاد الشام ص ١٣٢،سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٢٥ - ٢٦،فايد عاشور : جهاد المسلمين فى الحروب الصليبية ص ١١٨ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٥،ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ص ٨٣ .

وعند منتصف عام ٤٩٣هـ رجع عدد كبير من أمراء الحملة الصليبية الأولى الى بلادهم ،ولم يبق فى الساحل الشامى وفى فلسطين ،سوى عدد محدود من الجنود بلغوا ثلاثمائة فارس ،وألفين من المشاة • ومع ذلك لم يقم المسلمون بأى عمل عسكرى ولو بسيط،ولقد كان بامكان الأفضل وزير الدولة الفاطمية والتى كانت دولته أقوى دولة فى العالم الاسلامى انتزاع ما استولى عليه الصليبيون من قرى ومدن ،أو على الأقل احراجهم وضعضعة مركزهم فى فلسطين ولكنه لم يفعل[١] •

لقد كان موقف الأفضل باهتا حائرا،وحملاته التى أرسلها لنجدة بلاد الشام لم تجد شيئا،حتى أن ابن تغرى بردى قال : ليته لم يرسلها[٢] فرغم عدة محاولات قامت بها قواته ،الا انها لم تؤثر فى الموقف فى بلاد الشام ،فالقوات التى أرسلها الأفضل لقتال الفرنج كانت ضعيفة هزيلة•

فى هذا الوقت لم يتخل بلدوين الأول ملك بيت المقدس عن فكرة الاستيلاء على بقية المدن الساحلية التى مازالت بأيدى الفاطميين ،فاستولى على عكا عنوة فى رمضان عام ٤٩٧هـ ،ثم استطاع وبمساعدة صنجيل صاحب أنطاكية من تشديد الحصار على طرابلس ،فملكوها بالسيف بعد حصار دام سبعة أعوام وذلك فى عام ٥٠٢هـ ،فنهبوا مافيها،وأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها[٣] •

ونتيجة لهذا الموقف الضعيف من قبل الدولة الفاطمية سقطت بقية المدن الساحلية بيد الصليبيين ،فسقطت بيروت عام ٥٠٣هـ ،فنهبوا مافيها

---

(١) يوسف غوانمة : دراسات فى تاريخ الأردن وفلسطين ص ١٢٦ – ١٢٧ •
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٧٨/٥ •
(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٢ ،المقريزى : اتعاظ الحنفا ٤٤/٣ •

وأسروا الرجال ،وسبوا النساء والأطفال ،واستولوا على الأموال ،وغنموا من أهلها من الأمتعة وكتب دورالعلم الموقوفة مالايحد ولايحصى (١) ،أما صيدا فسلمت الى الفرنج بالأمان فى عام ٥٠٤هـ بعد أن عجز الأسطول المصرى عن انجادها (٢) .

ولم تلبث مدينة عسقلان هى الأخرى أن أوشكت على الدخول تحت سيطرة الصليبيين ،وهى القاعدة الحربية والمعقل الرئيسى للفاطميين فى فلسطين ـ وذلك أن حاكم عسقلان من قبل الدولة الفاطمية ـ شمس الخلافة ـ راسل بلدوين الأول ملك بيت المقدس" وأهدى اليه مالا وعروضا" طالبا منه عقد اتفاقية دفاعية بين الطرفين ،مع استعداده لدفع الجزية للصليبيين فوصلت هذه الأخبار الى الخليفة الفاطمى الآمر ووزيره الأفضل ،فانزعج لتلك الأخبار،لأن عسقلان بالذات كانت بالنسبة للدولة الفاطمية مفتاح فلسطين ،وبالنسبة للصليبيين مفتاح مصر . لذلك أرسل الأفضل حملة عسكرية تحت غطاء محاربة الصليبيين ،وأعطى تعليمات سرية لقائد الحملة بعزل شمس الخلافة ،ويتولى هو حكم المدينة بدلا منه (٣) . لكن شمس الخلافة توجس خيفة من هذه الحملة،فرفض أن يفتح لها أبواب عسقلان ،كما رفض أن يخرج لمقابلة قائد الحملة ،وأرسل الى بلدوين يطلب منه أن يمده بالرجال ويعده بتسليم عسقلان وأن يعوضه عنها،فلما علم الأفضل بذلك خاف أن يسلم عسقلان الى الفرنج ،فأرسل اليه ،وطيب قلبه ،وسكنه ،وأقره على عمله ،وأعاد عليه اقطاعه بمصر (٤) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٤٧٦/١٠ .

(٢) نفس المصدر السابق ٤٧٩/١٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٤٨٠/١٠، ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٤٨١/١٠، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٤٦/٣ ـ ٤٧ .

ومع هذا لم يطمئن شمس الخلافة ،وآخذ يتشكك فيمن حوله من العرب وأهل عسقلان ، "فأحضر جماعة من الأرمن واتخذهم جندا" ،فأساء بذلك الى شعور أهل عسقلان ،فثاروا عليه وقتلوه ،ونهبوا داره وجميع مافيها فلما علم الأفضل بذلك أرسل فى الحال حامية قوية أعادت الأمور الى نصابها فى عسقلان (١) .

أما مدينة صور فكانت مثل عسقلان ،من المدن التى استعصت على بلدوين الأول ملك بيت المقدس لأنها اعتمدت دائما على الخلافة الفاطمية وتتلقى منها الامدادات ،ولكن أهل صور لم يلبثوا أن أحسوا بحرج موقفهم أمام الغارات الصليبية المتكررة من ناحية ،وعجز الدولة الفاطمية عن مساعدتهم فى كثير من الحالات من ناحية آخرى ،فلذلك اتجهوا نحو طغتكين أتابك دمشق السلجوقى طالبين حمايته بوصفه أكبر قوة اسلامية قريبة منهم ،فما كان من طغتكين الآن استجاب الى ماطلبوا ،فأرسل اليهم عسكرا ،وجعل عندهم واليا من قبله اسمه مسعود،وبعث معه المؤن والأموال فوزعها على أهل صور حتى طابت نفوس أهل البلد،ومع هذا لم تغير الخطبة فى صور للآمر صاحب مصر ،ولا السكة ،وكتب طغتكين الى الأفضل بمصر يعرفه صورة الحال ويقول : متى وصل اليها من مصر من يتولاها ،ويذب عنها سلمتها اليه ،فشكره الأفضل على ذلك ،وأثنى عليه ،وصوب رأيه فيما فعله (٢) . وعندما طلب أهل صور من طغتكين السلجوقى الاشتراك فى حكمهم وحمايتهم ،ذهب اليهم وتسلم البلد ،وقال لهم : " أنا مافعلت مافعلت الا لله تعالى ،لارغبة فى حصن ومال ،ومتى دهمكم عدو جئتكم بنفسى ورجالى"

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٤٨١/١٠،ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٥ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٦٢٠/١٠ .

كل ذلك حدث ولم تأت نجدة المصريين [١] .

ان المتتبع لتاريخ الدولة الفاطمية فى هذه المرحلة ،يلمس فتورا ملحوظا فى مواجهة الصليبيين ومقاتلتهم ،فكان هناك اتجاه قوى فى المعسكر الفاطمى يميل لمهادنة الصليبيين ،وعدم الجد فى محاولة طردهم من مواقعهم فى جنوب بلاد الشام ،وظهر هذا الاتجاه قويا بين المتطرفين من شيعة البيت الفاطمى ،وهم الذين رأوا فى بقاء الصليبيين ضمانا لحماية أملاك الفاطميين من أطماع السلاجقة ،وزادت من سلبية الدولة الفاطمية فى هذه المرحلة أيضا أن الوزير الأفضل أمير الجيوش أخذ يقترب من نهايته ،فلقد اغتيل الأفضل فى الثالث والعشرين من رمضان عام ٥١٥ هـ ،وقيل فى سبب مقتله أنه سمح لطغتكين - أتابك دمشق السنى - ارسال قوة للمشاركة فى الدفاع عن صور، الأمر الذى آثار غلاة الشيعة فى مصر ،مما أدى الى مقتل الوزير الأفضل بيد بعض الباطنية الذين كانوا يكرهون الأفضل لأسباب أخرى منها تضييقه على امامهم (الخليفة الفاطمى) ومنها ترك معارضة أهل السنة فى اعتقادهم والنهى عن معارضتهم [٢] .

لكن الخليفة الفاطمى الآمر لم يستطع أن يكشف عن سياسته تجاه الصليبيين بعد مقتل الوزير الأفضل مباشرة ،حرصا منه على مكانته فى العالم الاسلامى ،لذلك رأى أن يسترضى الرأى العام ،فأنفذ حملة كبيرة من عسقلان لحصار يافا ،وتمكنت هذه الحملة من احكام الحصار على يافا

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٨٢/٥ ،سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٣٤، ٣٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٥٨٩/١٠ ، ٥٩٠ ،سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٣٧، ٣٨ .

من البر والبحر ،ولكن وصول النجدات الصليبية الى يافا جعل الفاطميين يفكرون فى الانسحاب الى يبنا[(١)] ، وفى يبنا دارت بين الفاطميين والصليبيين معركة انهزم الفاطميون فيها ،فولوا الأدبار،واقتفى الصليبيون آثرهم يقتلون ويأسرون وينهبون ماتصل اليه آيديهم[(٢)] ·

بعد ذلك لم تلبث أن انكشفت سياسة الخليفة الآمر الفاطمى فى مسالمة الصليبيين ،فتخلص الفاطميون من القوات الدمشقية السنية التى كانت تشترك معهم فى الدفاع عن صور،كما تخلصوا من مندوب طغتكين فى تلك المدينة ،حيث أرسل الفاطميون اسطولا الى صور ،شحن بالرجالة وأسندت قيادته الى وحشى بن طلائع ،وصدرت تعليمات الى مقدم الأسطول بالقبض على الوالى السلجوقى الأمير سيف الدين مسعود وتسلم البلد منه. فلما رسى الأسطول الفاطمى عند صور،خرج الأمير مسعود للترحيب بقائد الأسطول ،فألقى قائد الأسطول القبض عليه وأرسل الى مصر مع الأسطول الفاطمى ،ولقد انتقد المؤرخ ابن تغرى بردى ذلك التصرف من قبل الدولة الفاطمية ،واعتبره تعاونا صريحا مع الفرنج ضد المسلمين فقال: "وهذه زيادة فى النكاية للمسلمين من صاحب مصر ،فان سيف الدولة المذكور (الأمير مسعود) كان قائما بمصالح المسلمين،وفعل مافعل مع الفرنج من قتالهم وحفظ سور المدينة هذه المدة الطويلة ،فأخذوه منها غصبا ،وخلوا البلد مع من لاقبل له بمحاربة الفرنج ،فكان حال

---

(١) يبنا : بليد قرب الرملة (وهى على الطريق بين يافا وعسقلان) فيها قبر صحابى بعضهم يقول هو قبر آبى هريرة وبعضهم يقول قبر عبد الله بن آبى السرح · انظرياقوت الحموى : معجم البلدان ٤٢٨/٥ ·

(٢) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٣٨ ·

المصريين فى أول الأمر أنهم تقاعدوا عن نصرة المسلمين ،والآن بأخذهم سيف الدولة من صور صاروا نجدة للفرنج "[(١)] .

لما علم الصليبيون بما فعله الفاطميون من أخذهم للأمير سيف الدولة مسعود،وخلو البلد من قائد قوى يستطيع أن يصد هجماتهم ،قوى طمعهم فيها،فأخذوا يستعدون للنزول عليها ومحاصرتها،فلما علم الوالى الفاطمى الجديد بذلك وأيقن أنه لاقوة له بدفع الصليبيين عنها،لقلة ماعنده من الجند والميرة ،أرسل الى الخليفة الفاطمى الآمر يخبره بحقيقة الأوضاع فى صور،وأشارعليه أن ترد ولاية هذه المدينة لطغتكين أتابك دمشق ،فوافق الخليفة الفاطمى على ذلك ،وتسلم طغتكين صور،ورتب بها العدد اللازم من الجند والسلاح[(٢)] .

أما الصليبيون فانهم واصلوا السير الى صور،وضيقوا عليها الحصار ،فقلت الأقوات ،وسئم أهلها القتال ،وضعفت نفوسهم ،وأرسل طغتكين الى الفاطميين بمصر يستنجدهم فلم يستجيبوا له ،فأدى ذلك الى ازدياد الحالة سوءا فى صور،مما حمل واليها على أن يكتب الى طغتكين أتابك دمشق ،يعرض عليه أن يسلم صور للصليبيين ،على أن يسمحوا لمن بها من الجند والرعية الخروج منها،وحمل مايستطيعون حمله من أموالهم فاستقر الحال على ذلك ،وفتحت صور أبوابها واستولى عليها الصليبيون سنة ٥١٨هـ ،بعد أن تأخر الفاطميون عن نجدتها،وعجز طغتكين وحده عن صد الصليبيين عنها،وانتهى الأمر بأهلها الى تفرقهم فى البلاد ،ولم يتعرض الصليبيون لأحد منهم عند خروجهم[(٣)] .

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٨٢/٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦٢١/١٠،ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص٣٣٦ .

(٣) نفس المصادر السابقة .

قال الدكتور سعيد عاشور : وارتفع من مصر صوت خافت يتهم الخلفية الآمر الفاطمى بأنه فرط فى صور،ويطالب الخلافة الفاطمية باتخاذ سياسة ايجابية فى الجهاد ضد الصليبيين بالشام،وزاد من الانقسام الداخلى فى الدولة الفاطمية أن الخليفة الآمر الفاطمى قبض على وزيره ابن البطائحى عام ٥١٩هـ ثم صلبه ،ولم يتخذ الخليفة الآمر بعد ابن البطائحى "وزير سيف بل استبد بأموره وباشرها بنفسه" (١) ،واستعان بالمشيرين من غير المسلمين ،فولاهم مناصب الدولة ،وظهر منهم بهرام الأرمنى الذى "صادر عامة من بالديار المصرية ،من كاتب وحاكم وجندى وعامل وتاجر،وامتدت يده الى الناس على اختلاف طبقاتهم" (٢) • وكان من الطبيعى أن يجنح مستشارو الدولة الفاطمية من المسيحيين الى مسالمة الصليبيين بالشام • وزاد هذا الاتجاه قوة بعد اغتيال الخليفة الآمر فى خريف عام ٥٢٤هـ وقيام ابن عمه الحافظ محله فى الخلافة لأن الحافظ هذا كان من أشد المتحمسين لمسالمة الصليبيين ،وقيل بأنه أشار بقتل الوزير الأفضل (٣) •

ظلت الدولة الفاطمية على هذا الحال ،لاتستجيب لأى نداء ينادى بضرورة الوحدة الاسلامية ،والجهاد ضد الصليبيين ،وكانت تقف عقبة فى طريق ذلك ،وكان الخلفاء الفاطميون يتخلصون من الوزراء الذين ينادون بفكرة الجهاد على وجه السرعة ،وهذا ماحدث مع الوزير رضوان بن الولخشى الذى كان من أشد المتحمسين لحركة الجهاد ضد الصليبيين ،فما

---

(١) ابن ميسر : تاريخ مصر ٧٣/٢ •

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ٣٦٩/١٣ •

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٤،سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٤٠ •

ان تولى الوزارة حتى أنشأ ديوانا جديدا أطلق عليه اسم "ديوان الجهاد". وفى الوقت نفسه أخذ يطارد الأرمن ويقصيهم عن مناصب الدولة، حتى بلغ به الأمر حد التنديد بالخليفة الحافظ الفاطمى، وسياسة الاستكانة التى اتبعها تجاه الصليبيين بالشام. وعندما علم رضوان بن الولخشى أن الخليفة الحافظ يعمل سرا لتمكين الأرمن من استعادة نفوذهم فى الدولة، فضلا عن جهود الخليفة فى استثارة عداء بعض طوائف الجيش الفاطمى ضد الوزير، الأمر الذى يؤثر تأثيرا خطيرا على حركة الجهاد التى عزم رضوان بن الولخشى المضى فيها. فر ابن الولخشى نحو الشمال لاجئا الى بطل من أبطال الجهاد الاسلامى وعلم من أعلام الوحدة الاسلامية هو عماد الدين زنكى ليستعين به فى تنفيذ مشروعاته وخططه فى الجهاد ضد الصليبيين (١).

ظل الوضع على هذا الحال فى الدولة الفاطمية، فازدادت ضعفا على ضعف، وتسلط الوزراء على الخلفاء وأصبحوا هم المتصرفون فى شئون الدولة، ولم يكن الخلفاء معهم الاصورة بلا اسم، وتصارع القواد والولاة على مركز الوزارة الى أن استطاع شاور السعدى الذى كان واليا على الصعيد فى عهد الخليفة العاضد لدين الله الفاطمى من الاستيلاء على الوزارة بعد أن تخلص من الوزير العادل بن طلائع بن رزيك فى المحرم من عام ٥٥٨هـ، ولكن مالبث أن ثار أحد قواد الجيش وهو أبو الأشبال ضرغام على شاور فقهره واستولى على الوزارة منه، وقتل ولده الأكبر طى بن شاور، فما كان من شاور الآن توجه الى الشام مستغيثا بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكى ومستجيرا به (٢).

---

(١) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٤١ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤٥/٧، ابن الأثير : الكامل ٢٩٨/١١، ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٣٦ .

أطمع شاور الملك نور الدين محمود فى مصر ،وطلب منه أن يرسل معه العساكر الى مصر ليستعين بها فى استعادة نفوذه بها . وقال له : "أكون نائبك بها،وأقنع بما تعين لى من الضياع والباقى لك"(١) . ووعد كذلك بأن يعطيه ثلث خراج مصر اذا عاونه فى التغلب على ضرغام وانتزاع الوزارة منه ،" وأن يتصرف على أمره ونهيه واختياره"(٢) .

تردد نور الدين محمود بادىء الأمر فى ارسال حملة عسكرية مع شاور،خوفا من أن يتورط فى هذا المشروع وهو لايزال أمام أعداء أقوياء فى الشام ،ولم يستطع بعدتوحيد الجبهة الاسلامية فى شمال بلاد الشام ولكنه استخار الله تعالى ،واستقام اليه الأمر بارسال حملة عسكرية الى مصر،فاستدعى أكبر قواده أسد الدين شيركوه ..... من اقطاعه فى الرحبة(٣) . وأمره بأن يجهز حملة عسكرية الى مصر،وأرسل معه ابن الخيه صلاح الدين وهو كاره لذلك ،وأمر نور الدين باعادة شاور الى منصبه والانتقام ممن نازعه فى الوزارة(٤) .

سار الجميع ،وسار معهم نور الدين محمود الى أطراف الشام ،حتى يشغل الفرنج بعدم التعرض لأسد الدين شيركوه وجيشه ،ووصل أسد الدين شيركوه الى مصرسالما هو ومن معه ،فأرسل ضرغام الى الصليبيين مستنجدا وتعهد الى القائد الصليبى عمورى مقابل مساعدته له أن يعقد معه

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٦/٥ .

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٢٠،ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ١٣٨/١ .

(٣) أبو شامة : الروضتين ١٦٦/١،والرحبة : قرية من قرى دمشق . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣٣/٣ .

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٢١،ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٤٥/٧ .

معاهدة تصبح مصر بمقتضاها تابعة للصليبيين[١] . لكن أسد الدين شيركوه لم يدع فرصة لضرغام فى مراسلة الصليبيين ،فوصل لمصر قبل أن تأتى جيوش الصليبيين لنجدة ضرغام ،فالتقى أسد الدين شيركوه بجيشه مع جيش أرسله ضرغام بقيادة أخيه ناصر الدين ،وفى منطقة تعرف باسم تل بسطة فى الدلتا،دارت بين الفريقين معركة انهزم فيها ناصر الدين وعاد الى القاهرة مهزوما[٢] . وواصل أسد الدين شيركوه زحفه باتجاه القاهرة حتى وصلها فى أواخر جمادى الأولى سنة ٥٥٩هـ ضاربا الحصار عليها،فما كان من الخليفة والجيش وعامة الناس الا أن تخلوا عن ضرغام فقتل أثناء محاولته الفرار عند مشهد السيدة نفيسة،فاستولى شاور على الأمور ،وخلع عليه خلع الوزارة فى مستهل رجب سنة ٥٥٩هـ وأعيد الى الوزارة وتمكن منها،وحصل له مقصوده[٣] .

عندما تمكن شاور من الوزارة أساء معاملة الناس ،ونسى وعوده المعسولة لنور الدين محمود وظهرت منه امارات الغدر بأسد الدين شيركوه ،فأرسل اليه يطلب منه الرجوع الى الشام ،ولكن شيركوه رفض ذلك وطلب منه أن يرسل ماكان قد استقر بينه وبين نور الدين ،فلم يجبه شاور الى ذلك ،ولما علم أسد الدين شيركوه اصرار شاور على الغدر أرسل نوابه الى مدينة بلبيس[٤] فتسلموها وتحصن بها[٥] .

---

(١) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص٥٠ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ١٦٦/١،ابن واصل : مفرج الكروب ١٣٩/١ .

(٣) ابن الأثير:الكامل ٢٩٩/١١،ابن واصل : مفرج الكروب ١٣٩/١،ابن خلكان وفيات الأعيان ١٤٦/٧ - ١٤٧ .

(٤) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٤٧٨/١ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ١٣٩/١،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٧/٥،ابن الاثير : التاريخ الباهر ص١٢١،زكى النقاش: العلاقات بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية ص٤٤،٤٥ .

عندما رفض أسد الدين شيركوه طلب شاور بالعودة الى الشام ، أرسل شاور الى مرى (عمورى الأول) ملك بيت المقدس الصليبى يستنجده على شيركوه ، ويخوفه من نور الدين محمود ان هو ملك الديار المصرية فقال له : " ان شيركوه طلع معى نجدة على ضرغام ، فلما حصلوا فى البلاد طمعوا فيها ، ومتى ملكوها مضافة الى بلاد الشام لم يكن لك معهم عيش ولاقرار " (١) .

طمع الفرنج فى ملك مصر ، خاصة بعد أن بذل لهم شاور مالا كثيرا يحمله اليهم ان هم ساعدوه فى اخراج أسد الدين من مصر ، فسارعوا الى تلبية طلب شاور ، فتوجهوا بجيوشهم الى مصر ، ولما اقتربوا من مصر انسحب أسد الدين شيركوه الى بلبيس وتحصن بها هو وعساكره ، أما شاور فخرج بعساكره واجتمع بالفرنج وتوجهوا الى بلبيس وحاصروا أسد الدين فيها ، واستمر حصارهم له ثلاثة شهور ، فحماها أسد الدين ولم ينالوا منها نصيبا (٢) . وبينما هم على هذا الحال يجدون فى حصار بلبيس ، أتاهم الخبر بهزيمة الفرنج على حارم ، وتملك نور الدين لها ، ومسيره بعد ذلك الى بانياس لأخذها ، فاسقط فى أيديهم ، وخافوا على البلاد ، فراسلوا أسد الدين فى الصلح وتسليم ما أخذه واستولى عليه من البلاد الى المصريين فأجابهم الى ذلك لأن الأقوات قلت عليه ، وعلم عجزه عن مقاومة الفريقين فصالحهم وخرج من بلبيس فى ذى الحجة من عام ٥٥٩هـ وهو فى غاية القهر (٣) .

---

(١) أبو شامة : الروضتين ١٦٦/١ ، ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٢١ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١٤٠/١ .

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٢١ - ١٢٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٨/٥ ، ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ص ١١٥ ، زكى النقاش : العلاقات بين العرب والفرنج ص ٤٥ .

كان لهذه السياسة التى اتبعها شاور أثر كبير فى توجيه أنظار كل من نور الدين محمود صاحب دمشق والفرنجة ببيت المقدس الى غزو مصر مرة ثانية ،وأثبتت لهم التجربة العملية فى أرض مصرعن مدى ثروة البلاد وضعفها الشديد،حتى بدا لهم أن الاستيلاء عليها يمثل الهناء دون عناء،ولكن الملاحظ أن الطمع فى ثروة مصر ،والخوف من أن يستفيد منها الصليبيون حربيا وماديا،لم تكن الدوافع الوحيدة لاهتمام نورالدين فى ذلك الدور بأمر مصر ،وانما كان هناك ـ بالاضافة الى ماسبق ـ دافع آخر مذهبى له أهميته فى توحيد الجبهة الاسلامية • ذلك أن الخلافة الفاطمية بوضعها فى مصر ،كانت مصدرا من مصادر الفرقة فى العالم الاسلامى ،لأن قيامها فى القاهرة كان كفيلا ببقاء المذهب الشيعى حيا ـ على الأقل فى مصر ـ فى حين ساد المذهب السنى بلاد الشام وغالبية العراق[(١)] •

وفى عام ٥٦٢هـ أعد نور الدين محمود حملة عسكرية ثانية بقيادة أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين لانفاذها الى مصر ليملكها وكان سبب ذلك أن العاضد الخليفة الفاطمى لما رأى استبداد شاور وغلبته عليه ،كتب الى نور الدين يستنجده على شاور،ويخبره بأن شاور "قد استبد بالأمر وظلم وسفك الدم " ،وسبب آخر : " كان فى قلب نور الدين من شاور حزازة لكونه غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد عليه بالفرنج "[(٢)] •

خرجت الحملة من دمشق فى منتصف شهر ربيع الأول من عام ٥٦٢هـ ،وسار

---

(١) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص٥٢،محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ص١٢٧ ـ ١٢٨ •

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٨/٥ •

أسد الدين الى أن بلغ الديار المصرية ،ووضع فى حسابه أن شاور سوف يستنجد بالفرنج ،فوجد أن من الحكمة عدم مهاجمة القاهرة،فعبر النيل الى الجانب الغربى من عند اطفيح (١) ونزل بجنده فى بر الجيزة (٢) .

رأى شاور أن يستنجد بالفرنج مرة ثانية ،فأرسل اليهم يستغيثهم ويستصرخهم ،فأتوه على الصعب والذلول ،خوفا من أن يستولى جيش نور الدين محمود على مصرويضمها الى بلاد الشام ،فيصبح مركزهم فى بيت المقدس والساحل مهددا بالأخطار . فخرج الصليبيون الى مصر و "الرجاء يقودهم والخوف يسوقهم" (٣) . فلما وصلوا الى مصر خف شاور للقاء حلفائه ،فانضمت عساكر الصليبيين الى جيوش شاور والمصريين .

فى هذه الأثناء توجه أسد الدين شيركوه بعساكره الى الصعيد فى الجنوب ونزل بهم فى مكان يعرف باسم البابين (٤)، فتبعته العساكر الصليبية والفاطمية ،والتقى الفريقان فى منطقة البابين ودارت بينهما معركة حاسمة انتهت بهزيمة الصليبيين والفاطميين أمام جنود شيركوه ،فوضع السيف فيهم فأثخن الجراح وأكثر القتل والأسر وانهزم الباقون . "فكان هذا من أعجب مايؤرخ ،أن ألفى فارس (عدد أفراد جيش شيركوه) تهزم عساكر مصر وفرنج الساحل" . ولو ساق أسد الدين شيركوه خلفهم فى الحال لملك القاهرة (٥) ..

---

(١) اطفيح : بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل من الناحية الشرقية . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢١٨/١ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١٤٩/١، أبو شامة : الروضتين ١٦٨/١ .

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٢ .

(٤) البابين : قرية كانت تقع جنوب مدينة المنيا . انظر ابن واصل مفرج الكروب ١٥٠/١ حاشية رقم (١) .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ١٥٠/١ - ١٥١، ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٢ - ١٣٣، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٩/٥، جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ص ١٢٨ .

بعد انتهاء المعركة توجه أسد الدين شيركوه بقواته الى الاسكندرية فتلقاه أهلها طائعين ،وسلموها اليه ،لميلهم الى مذهب أهل السنة وكراهيتهم لرأى المصريين - على حد تعبير ابن واصل - وخشى أسد الدين شيركوه أن يحصره الصليبيون ومعه جميع قواته داخل الاسكندرية ،فولى عليها ابن أخيه صلاح الدين وجعله نائبا عنه فيها ،واتجه هو على رأس الجزء الأكبر من قواته عائدا الى الصعيد فاستولى عليه وجبى أمواله .(١)

أما قوات الفرنج والمصريين فانهم عادوا الى القاهرة فرتبوا أمرهم ،وأصلحوا عساكرهم ،ثم ساروا الى الاسكندرية فحاصروها برا بينما كان أسطول الصليبيين يحاصرها بحرا ،ولم يكن لدى صلاح الدين من الجند مايمكنه من رفع الحصار ،فقاتل أهل الاسكندرية مع صلاح الدين وأخذوا يقوونه بالمال ،ولكن الحصار طال واشتد عليهم ،فقل الطعام بها ،فصبر أهلها على ذلك ،فلما علم أسد الدين شيركوه باشتداد الأمر على أهل الاسكندرية ،سار من الصعيد اليهم لنجدتهم ،فما علم القوم به حتى خافوا وأرسلوا يطلبون الصلح ،وبذلوا له خمسين ألف دينار سوى ماأخذه من البلاد وكل ماخسره فى هذه السفرة ،فأجابهم الى ذلك ،وشرط أن الفرنج لايقيمون بمصر ولايتسلمون منها قرية واحدة ،وأن الاسكندرية تعاد للمصريين ،فأجابوا الى ذلك واصطلحوا ،فتسلم المصريون الاسكندرية فى منتصف شوال وعاد أسد الدين شيركوه الى دمشق .(٢)

أما الصليبيون فان قواتهم لم تغادر مصر تطبيقا لهذا الصلح ،بل

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر ص ١٣٣، أبو شامة : الروضتين ١٦٨/١، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٥٢/١٢ .

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٤، أبو شامة : الروضتين ١٦٩/١، ابن واصل : مفرج الكروب ١٥٢/١، جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ص ١٢٨ .

عقدوا مع شاور معاهدة من أهم شروطها أن يكون لهم بالقاهرة شحنة وتكون أبوابها بيد فرسانهم حتى يمتنع الملك العادل نور الدين من ارسال عسكر اليهم ،ويكون للفرنج من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار ومن سكن منهم بالقاهرة يبقى على حاله ويعود بعض ملوكهم الى الساحل فأجابهم شاور الى ذلك (١) .

يقول الدكتور سعيد عاشور : أن شاور أخذ يتخوف من المساعدة الصليبية التى تحولت الى حماية ،بل الى نوع من الوصاية على الدولة الفاطمية . فوجود مندوب أو شحنة عن ملك بيت المقدس الصليبى فى القاهرة يشاركه فى شئون الحكم ،ووجود حامية من الصليبيين تحرس أبواب القاهرة ،كل ذلك أزعج الفكر الاسلامى (٢) ، فى الوقت الذى كان الشعور الدينى فى العالم الاسلامى معبأ ضد الصليبيين ،والدعوة الى الجهاد يتردد صداها فى مشارق العالم الاسلامى ومغاربه ، اذا بالمسئولين فى الدولة الفاطمية يستعينون بالصليبيين ويطلبون حمايتهم ضد قوة اسلامية شقيقة مجاورة . وقد ذكر ابن الأثير أن أولئك الصليبيين الذين استعان بهم شاور أساءوا معاملة أهل البلاد " فحكموا على المسلمين حكماجائرا وركبوهم الأذى " (٣) .هذا الى أن الأتاوة السنوية التى فرضها عمورى على شاور - وهى مائة ألف دينار - أثقلت كاهل ميزانية الدولة الفاطمية فى الوقت الذى ضعفت تلك الدولة ونضبت مواردها . وهكذا لم يجد شاور مفرا أمام ضغط الرأى العام وشعوره بالاستياء - من أن يقلب سياسته

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٤،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٩/٥ .

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٣٣٥/١١ .

رأسا على عقب ،فاتصل بنور الدين محمود طالبا مساعدته فى التخلص من الحماية الصليبية (١) • ويذكر أبو شامة أن شاور أرسل ابنه الكامل شجاع الى نور الدين محمود " ينهى محبته وولاءه ويسأله الدخول فى طاعته" مما ترتب عليه عقد اتفاقية بين الطرفين •كذلك حاول شاور تأكيد هذه الرابطة الجديدة عن طريق المصاهرة فعرض أن يتزوج ابنه الكامل شجاع أخت صلاح الدين أو يتزوج صلاح الدين ابنة شاور (٢) •

لم يهدأ بال الصليبيين ،ووجدوا فى مصر لقمة سائغة ،فبعث رجال الحامية الصليبية فى مصر الى ملكهم ببيت المقدس عمورى " يستدعونه ليملكها،وأعلموه بخلوها من الموانع ،وهونوا أمرها عليه" (٣) • ولكنه لم يجبهم الى طلبهم ،وبعد مشاورات بين زعماء الصليبيين فى أمر غزو مصر استقر رأى جماعة من الصليبيين بأن يغزوا مصر ويأخذوها وقالوا : "ان مصر لامانع لها ولاحافظ،والى أن يصل الخبر الى نور الدين ويجهز العساكر ويسيرهم الينا،نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من أمرها،وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة" (٤) •

أجاب عمورى طلب الصليبيين بغزو مصر على كره شديد،فجهز عساكره وأظهر بأنه يريد قصد مدينة حمص ،فلما سمع نور الدين بذلك شرع فى جمع عساكره ،وأمرهم بالقدوم عليه ،وجد الفرنج فى السير الى مصر فوصلوا الى مدينة بلبيس ،فنازلوها ،وحاصروها ،وملكوها قهرا ،فنهبوها

---

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٦٧ – ٦٨ •

(٢) أبو شامة : الروضتين ١/١٧٠ ،سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٥٦ – ٥٧ •

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ١/١٥٦ •

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٧ – ١٣٨ •

وسلبوا أهلها وذلك فى مستهل شهر صفر عام ٥٦٤هـ (١) . ثم واصل عمورى وجيشه الزحف نحو القاهرة ،فنزلوا عليها فى العاشر من شهر صفر وضربوا عليها الحصار ،فخاف الناس أن يفعلوا بهم كما فعلوا بأهل بلبيس ،فاستماتوا فى الدفاع عن القاهرة ،وبذلوا الجهد فى الحفظ (٢) . أما شاور فقد أحس فى ذلك الوقت بحرج موقفه واستياء الناس منه ،فأمر الناس بالانتقال الى القاهرة وأحرق الفسطاط عن آخرها ،وبقيت النار مشتعلة فيها خمسة وأربعين يوما . ولما اشتد الحصار على القاهرة ،وعلم شاور أنه عاجز عن مقاومة الصليبيين ،عمد الى طريق الخداع والحيلة ،فأرسل الى ملك الفرنج يذكر له مودته ومحبته القديمة ،وأن هواه معه لخوفه من نورالدين والعاضد ،وأن المسلمين لايوافقونه على التسليم اليه ،ويشير بالصلح وأخذ مال لئلا يسلم البلد الى نور الدين ،فأجابه على الصلح على أخذ ألف ألف دينار مصرية ،يعجل البعض ويؤخر الباقى ،واستقرت القاعدة على ذلك (٣) .

فى هذا الوقت أرسل الخليفة العاضد الى نور الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن مقاومة الفرنج ،وأرسل فى الكتب شعور النساء وقال : " هذه شعور نسائى من قصرى يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج" ووعد بثلث بلاد مصر ،وأن يكون أسد الدين شيركوه مقيما عندهم فى عسكر واقطاعهم من البلاد المصرية أيضا خارجا عن الثلث الذى لنور الدين (٤) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٣٦/١١،ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ص ١١٥.
(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١٥٧/١،ابن الأثير : الكامل ٣٣٦/١١ .
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٨ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ٣٣٧/١١ ـ ٣٣٨،ابن واصل : مفرج الكروب ١٥٨/١،ابن كثير : البداية والنهاية ٢٥٥/١٢ .

بعث نور الدين محمود على الفور الى قائده أسد الدين شيركوه وأمره بتجهيز العساكر الى مصر ،والسرعة فى ذلك • فاختار من العسكر ألفى فارس ،وجمع من التركمان ستة آلاف فارس ،وزودهم نور الدين بالمال والثياب والدواب والآلات والأسلحة (١) • وندب نور الدين محمود صلاح الدين يوسف بن أيوب أن يمضى مع عمه الى الديار المصرية •

انطلق أسد الدين شيركوه مجدا السير الى الديار المصرية ،فلما قارب مصر ،رحل الصليبيون عنها عائدين الى بلادهم بخفى حنين خائبين مما أملوه ،فسب ملكهم كل من آشار عليه بقصد مصر،وبلغ نور الدين محمود انهزام الصليبيين ورحيلهم عن مصر فسر بذلك ،وأمر بضرب البشائر استبشارا بهذا النصر فى سائر البلاد (٢) •

أما أسد الدين شيركوه ،فلقد فرح به أهل مصر واستقبل استقبال الأبطال الفاتحين هو وجنده وعند وصوله الى القاهرة ،استدعاه الخليفة الفاطمى العاضد الى القصر،فاجتمع به وخلع عليه خلعة الوزارة ولقبه بالمنصور،وأخذ أرباب الدولة يترددون الى خدمته فى كل يوم (٣) • أما شاور فانه لم يستطع الا السكوت على مضض أمام ذلك ،وأسرها لشيركوه فى نفسه خاصة بعد أن ظهر تأييد الخليفة العاضد لشيركوه وميله له ،فأرسل شاور مرة أخرى الى الصليبيين يستدعيهم لنجدته ويقول لهم : " يكون مجيئكم الى دمياط فى البحر والبر" (٤) •

لم يكتف شاور بذلك بل حدثته نفسه بأكبر من ذلك بالتآمر على

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٩ •
(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١٦٠/١،أبو شامة : الروضتين ١٧١/١ •
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٥١/٥ •
(٤) نفس المصدر السابق •

حياة أسد الدين شيركوه ،فعزم على تدبير مؤامرة بدعوة أسد الدين شيركوه ومن معه من الأمراء الى وليمة ويقبض عليهم ويقتلهم ،فعارضه ابنه الكامل فى ذلك وقال : " والله لئن عزمت على هذا الأمر لأعرفن أسد الدين" فرد شاور على ابنه قائلا : " والله لئن لم نفعل هذا لنقتلن جميعا " فقال له ابنه : " لئن نقتل والبلاد بيد المسلمين خير من أن نقتل والبلاد بيد الفرنج " (١) .

كان شاور قد تعهد لشيركوه بدفع ثلث أموال البلاد له ،فلما أرسل شيركوه لشاور يطلب منه الوفاء بوعده أخذ يماطل ويتعلل منتظرا وصول الصليبيين لنجدته ،فأدرك أعيان الدولة بمصر خطر سياسة شاور وسوء نيته ،فاجتمعوا عند أسد الدين شيركوه وقالوا له : " شاور فساد العباد والبلاد ،وقد كاتب الفرنج ،وهو يكون (بذلك) سبب هلاك الاسلام" (٢) ،فطالبوا بقتله والتخلص منه .

وهكذا اتفقت الآراء واجتمعت على التخلص من شاور،وانتهى الأمر بقتله فى السابع عشر من شهر ربيع الآخر عام ٥٦٤هـ ،وقيل أن الخليفة العاضد شارك فى تدبير مؤامرة قتل شاور،فحين قبض على شاور من قبل أعيان ورجال شيركوه ،أرسل العاضد الى شيركوه يطلب منه انفاذ رأس شاور على الفور،فضرب رأسه وحمل الى الخليفة فى القصر ،بعد ذلك دخل أسد الدين شيركوه القاهرة دخول الظافرين ،وأباح للناس والأهالى نهب دار شاور (٣) .

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص١٤٠،ابن واصل : مفرج الكروب ١٦١/١ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٥١/٥ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ١٦٣/١،ابن الأثير : التاريخ الباهر ص١٤٠، ابن شداد : النوادر السلطانية ص٤٠،ابن الأثير : الكامل ٣٤٠/١١ .

وبقتل شاور وتولى أسد الدين شيركوه ومن بعده ابن أخيه صلاح الدين شئون الوزارة فى مصر، تبدأ صفحة جديدة فى تاريخ مصر وموقفها من الجهاد ضد الصليبيين. فبعد عامين ونصف من تولى الملك الناصر صلاح الدين للوزارة فى مصر، قطع الخطبة للخليفة الفاطمى فى ثانى جمعة من المحرم عام ٥٦٧هـ، وخطب للخليفة العباسى المستضىء بأمر الله، وبذلك انقرضت الدولة الفاطمية، وعادت مصر مرة أخرى الى المذهب السنى تحت لواء الدولة العباسية، وأخذت تمارس دورها الطبيعى فى أحداث المنطقة وبعودتها تم احكام الطوق على الصليبيين فى بلاد الشام، ووحدت الجبهة الاسلامية ضد الصليبيين، فكانت شوكة فى حلق الصليبيين.

لم يكتف دعاة الفرقة والخيانة بهذا كله، بل استمروا فى غرس الأسافين فى قلب العالم الاسلامى، وسعوا جاهدين لتمزيق أى وحدة اسلامية تقوم لمواجهة الصليبيين، ومحاولة التخلص من صاحبها بأى ثمن ففى ذى القعدة من عام ٥٦٤هـ اتفق مؤتمن الخلافة - وهو خصى كان بقصر الخليفة العاضد، وكان الحكم فى القصر اليه - مع جماعة من المصريين على مكاتبة الفرنج واستدعائهم الى البلاد والتقوى بهم على صلاح الدين ومن معه، فأرسلوا الى الفرنج كتابا بذلك مع انسان يثقون به، وأخذوا ينتظرون الجواب. وكانت خطة مؤتمن الخلافة المقترحة فى هذا الكتاب أن يتحرك الفرنج الى الديار المصرية، فاذا وصلوا اليها خرج صلاح الدين فى العساكر لقتالهم، فيثور هو ومن معه من المصريين فى الداخل ويقتلون مخالفيهم من أنصار صلاح الدين، ثم يخرجون جميعا فى اثر صلاح الدين حتى يأتونه من الخلف، فيصبح محاصرا بين مؤتمن الخلافة وجنوده والصليبيين، فيقتلونهم ولاتبقى لهم باقية.(١)

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١١/٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣/٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣.

لكن شاءت الأقدار أن ينكشف حامل الرسالة ،وأحضرالى صلاح الدين فسأله عن كاتب الرسالة فقال : رجل يهودى ،فأحضر اليهودى ،وأمر بتقريره ،فاعترف بذلك وأخبر صلاح الدين الخبر،فأرسل صلاح الدين على الفور جماعة من أصحابه الى مؤتمن الخلافة حيث كان يتنزه فى قرية له فأخذوه وقتلوه وأتوه برأسه ،وعزل جميع الخدم الذين يتولون أمر قصر الخلافة ،ثم مالبث أن ثار جند السودان الذين بمصر غضبا على قتل مؤتمن الخلافة ،لأنه كان يتعصب لهم ،فجمعوا خمسين ألفا من رجالهم ،وساروا لحرب صلاح الدين ،فدارت بينهم عدة معارك بين القصرين ،وكثر القتل فى الفريقين ،وأرسل صلاح الدين الى محلتهم المعروفة بالمنصورة فأحرقها على أموالهم وأولادهم وحرمهم،فلما علموا بذلك ولوا منهزمين ،فركبهم السيف وظل القتل فيهم مستمرا الى أن قضى على آخرهم تورانشاه أخو صلاح الدين فى منطقة الجيزة (١) .

وبعد سقوط الدولة الفاطمية حاول أنصار هذه الدولة أن يتآمروا على صلاح الدين والفتك به ،واعادة الخلافة الفاطمية الى مصر مرة ثانية فاتفق جماعة من شيعة العلويين ،منهم عمارة اليمنى الشاعر المعروف وعبد الصمد الكاتب ،والقاضى العويرس ،وداعى الدعاة عبدالجبار بن اسماعيل بن عبدالقوى ،وقاضى القضاة هبة الله بن كامل ،ومعهم جماعة من أمراء صلاح الدين وجنده ،واتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلية ومن ساحل الشام الى الديار المصرية على شئ بذلوه لهم من المال والبلاد ،فاذا قصدوا البلاد ،وخرج اليهم صلاح الدين لمقاتلتهم ثاروا هم فى القاهرة ومصر وأعادوا الدولة الفاطمية ،وان بقى صلاح الدين وأرسل العساكر لمواجهتهم ثاروا به ،وأخذوه أخذا باليد لعدم وجود

---

(١) نفس المصادر السابقة .

مناصرين ومساعدين له ،فرتبوا أمرهم على هذا وشكلوا فيما بينهم هيكل الدولة فعينوا الخليفة والوزير والحاجب والداعى والقاضى[(١)] .

أرسل هؤلاء المتآمرون الى الفرنج بصقلية وساحل الشام فى ذلك وتقررت القاعدة بينهم ،ولم يبق الا أن يغزو الصليبيون مصر ،ولكن أبت المشيئة الالهية الا أن تفضح هؤلاء القوم من الباطنية ،وكان من غبائهم أنهم أدخلوا معهم فى المؤامرة الأمير زين الدين على بن نجا الواعظ فأخبر ابن نجا السلطان صلاح الدين بما تعاقد عليه القوم فكافأه السلطان على ذلك بأموال جزيلة ،ثم استدعاهم واحدا واحدا ،وقررهم فأقروا بذلك ،فاعتقلهم ثم استفتى الفقهاء فى أمرهم ،فأفتوه بقتلهم فقتل رؤوسهم وأعيانهم ،دون أتباعهم وغلمانهم ،وأمر بنفى من بقى من جيش العبيديين الى أقصى البلاد[(٢)] . وسلم الله مصر مرة أخرى من أيدى الباطنية ،وبقيت تحت لواء السنة لتأخذ دورها فى الجهاد ضد الصليبيين .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٩٨/١١ - ٣٩٩ .

(٢) نفس المصدر السابق ،ابن كثير : البداية والنهاية ٢٧٥/١٢،الذهبى : دول الاسلام ٨٤/٢ .

المبحث الثاني

مقاومة الفاطميين للصليبيين

بعد سقوط بيت المقدس بأيدي الصليبيين في عام ٤٩٢هـ، وانكشاف الحقيقة التي جاءوا من أجلها، وعدم وقوفهم عند حد الاستيلاء على أنطاكية وغيره من المراكز الاسلامية في شمال الشام، وتوغلهم جنوبا في بلاد الشام صوب فلسطين والأماكن المقدسة واصطدامهم بمناطق النفوذ الفاطمي أدرك الأفضل أمير الجيوش بمصر حقيقة خطر الصليبيين، وانهم سيهددون مصر وكافة مناطق النفوذ الفاطمي في جنوب الشام اذا لم يتخذ موقفا حاسما منهم، لذلك بدأ في اعداد الجيوش وارسال الحملات العسكرية لمحاربة الصليبيين وتوقيفهم عند حدهم .

ففي عام ٤٩٦هـ أعد الأفضل أمير الجيوش حملة عسكرية كبيرة وأرسلها الى فلسطين لمحاربة الصليبيين هناك وتهديدهم، وجعل على قيادة هذه الحملة أحد مماليك أبيه المعروف باسم سعد الدولة القواسي (١)، واتجهت هذه الحملة الفاطمية صوب فلسطين، وتجمع أفرادها في مدينة عسقلان قاعدة الفاطميين العسكرية التي انطلقت منها القوات الفاطمية لمحاربة الصليبيين في هذه المرحلة . لكن قيادة هذه الحملة لم تقم بأي عمل عسكري ضد الصليبيين فور وصولها، بل بقيت مرابطة في عسقلان عدة أشهر دون أن تفعل شيئا، وربما كان ذلك التصرف لعدة أسباب كانت تراها قيادة الحملة منها : انتظار وصول امدادات جديدة، أو استطلاع أخبار العدو واختيار الوقت المناسب لمباغتته، أو أنهم كانوا يخشون الدخول في معركة ضد الصليبيين، المهم أن هذا التسويف وتضييع الوقت أتاح الفرصة

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٦٤/١٠ .

الكافية للصليبيين بقيادة زعيمهم بلدوين الأول ملك بيت المقدس من اتخاذ كافة التدابير والاستعدادات اللازمة لمواجهة قوات الفاطميين فى عسقلان (١) .

تحركت القوات الفاطمية من عسقلان بعد أن وصلتها الامدادات المطلوبة واتجهت الى منطقة الرملة حيث تستطيع منها تهديد كل من يافا وبيت المقدس . هنا أدرك بلدوين الأول ملك بيت المقدس خطورة هدف القوات الفاطمية ،وعلم أن هدفها الوصول الى بيت المقدس واسترجاعه من أيدى الصليبيين ،فبادر الى عقد مجلس حربى فى يافا ،وتقرر فيه أن يبدأ الصليبيون بمهاجمة القوات الفاطمية فورا ،وأخذ بلدوين يشجع أفراد قواته ويحرضهم على قتال المسلمين ،وذكرهم بأنهم اذا ماتوا فانما يلحقون بالشهداء والقديسين ،واذا انتصروا ،فانهم بذلك يؤدون للمسيحية خدمة ليس لها مثيل ولايعادلها عمل آخر . فزحف الصليبيون وهم يحملون صليب الصلبوت بقيادة بلدوين الأول ورجال الدين المسيحى ،والتقى الجيشان فى السهل الواقع الى الجنوب الغربى من مدينة الرملة "فحملت الفرنج حملة صادقة ،فانهزم المسلمون" ،فقتل من الجيش الفاطمى عدد كبير ،وفر الباقون الى مدينة عسقلان بعد أن قتل قائد الحملة سعد الدولة القواسى ،واستمر الصليبيون يطاردون المسلمين حتى أسوار عسقلان ،وغنم الفرنج فى هذه المعركة جميع ما للمسلمين (٢) .

بعد هزيمة الفاطميين فى موقعة الرملة ،لم يستطع الوزير الأفضل الفاطمى صبرا على الهزيمة ،فأسرع على الفور الى اعداد حملة عسكرية كبيرة ،بلغ تعدادها عشرين ألف رجل ،وجعل قيادتها لابنه شرف المعالى

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٢٨٥/١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٦٤/١٠، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣٢/٣، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٧، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٢٨٥/١ - ٢٨٦ .

سماء الملك حسينا (١) . وبعد تجهيز هذه الحملة اتجهت الى عسقلان ،ومن عسقلان سلكت نفس الطريق الذى سلكته الحملة السابقة ،فاتجه الجيش الفاطمى الى اللد والرملة حيث يستطيع تهديد كل من يافا وبيت المقدس .

لما سمع الصليبيون بقدوم هذه الحملة ،أخذوا استعداداتهم الكاملة فحشدوا فى يافا بضعة آلاف من جنودهم ،أما الملك بلدوين الأول ملك بيت المقدس فلقد أخذ أهبته ،ويبدو أنه اغتر بانتصاره السابق واستخف بأمر الفاطميين ،فخرج من بيت المقدس فى عدد قليل من فرسانه بلغوا مائتى فارس اتجه بهم الى الرملة ،وعند يازور (٢) بالقرب من الرملة باغتت القوات الفاطمية الملك بلدوين ورجاله فلم يستطيعوا الثبات أمام القوات الفاطمية " فانهزم الفرنج وقتل منهم مقتلة عظيمة ،وعاد من سلم منهم مغلولين" ،ولما رأى الملك بلدوين شدة الأمر خاف القتل والأسر فألقى بنفسه فى الحشيش واختفى فيه ،فلما ابتعد المسلمون خرج منه الى الرملة (٣) .

واصلت القوات الفاطمية زحفها باتجاه الرملة وضربت عليها الحصار آخر النهار استعدادا لاقتحامها فى الصباح ،وفى منتصف الليل تنكر بلدوين وخرج منها متخفيا الى يافا ،واستطاع أن يفلت من مطاردة الفاطميين ،الذين لاحقوه حتى بعد أن سمعوا خبر فراره (٤) . أما شرف

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣٢/٣ .

(٢) يازور : بليدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين بالشام . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٤٢٥/٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٣٦٤/١٠، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٣٤٦/١٠ .

المعالى بن الأفضل فشرع فى مهاجمة الرملة،فنزل على قصر بها كان قد بناه الفرنج وبه سبعمائة من أعيان الفرنج ،فقاتلهم ابن الأفضل خمسة عشر يوما،فقتل منهم أربعمائة صبرا،وأسر ثلاثمائة بعث بهم الى القاهرة (١) . وبذلك سقطت الرملة بأيدى الفاطميين عام ٤٩٦هـ .

تابعت القوات الفاطمية زحفها بعد الرملة الى يافا ،وضربت عليها الحصار،فى حين وصل بلدوين الأول الى أرسوف فتقوى به الصليبيون فيها وبدأ فى تجميع الجيوش الصليبية لمواجهة الفاطميين ،وتمكن بلدوين من دخول مدينة يافا عن طريق البحر،ولحقت به كثير من الامدادات الصليبية وشاءت الصدف أن تصل الى ميناء يافا مائتا سفينة من الغرب تحمل عددا كبيرا من الجند والحجاج الانجليز،وتمكنت هذه السفن من اختراق حصار الاسطول الفاطمى والوصول الى ميناء يافا،وبذلك حصل للصليبيين ماكانوا يرجّونه ،فارتفعت معنوياتهم،وقرروا الثأر لهزيمتهم فى الرملة والانتقام من الفاطميين وانزال الهزيمة بهم .

كان أصحاب شرف المعالى بعدانتصارهم فى موقعة الرملة قد اختلفوا "فقال قوم : نقصدالبيت المقدس ونتملكه،وقال قوم : نقصد يافا ونتملكها فبينما هم فى هذا الاختلاف ،اذ وصل الى الفرنج خلق كثير فى البحر قاصدين زيارة البيت المقدس" (٢) .

خرج بلدوين على رأس قواته وهاجم القوات الفاطمية المحاصرة ليافا واستطاع فك الحصار المضروب على يافا،وانزل الهزيمة بالقوات الفاطمية

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٦٤/١٠،المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣٢/٣،سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٢٨٧/1 - ٢٨٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٦٥/١٠ .

المحاصرة التى ولت الأدبار نحو عسقلان (١) .

لما علم الأفضل بهزيمة ابنه وما لحق به ، أسرع الى ارسال حملتين عسكريتين ، احداهما برية مكونة من أربعة آلاف فارس ، وجعل على قيادتها أحد مماليكه المعروف باسم تاج العجم ، والأخرى بحرية بقيادة رجل يقال له القاضى ابن قادوس ، فنزل ابن قادوس بالاسطول على يافا ، ونزل تاج العجم على عسقلان ، ولكن عدم التعاون والتنسيق بين قائدى الحملتين جعل موقف القوات الفاطمية فى حرج أمام الصليبيين ، فابن قادوس استدعى اليه تاج العجم ليتفقا على حرب الفرنج ، فرفض تاج العجم الحضور أو مساعدة ابن قادوس وقال : " مايمكننى أن أنزل اليك الا بأمر الأفضل ولم يحضر عنده ، ولا أعانه ، فأرسل القادوسى الى قاضى عسقلان ، وشهودها وأعيانها ، وأخذ خطوطهم بأنه أقام على يافا عشرين يوما ، واستدعى تاج العجم فلم يأته ، ولا أرسل رجلا ، فلما وقف الأفضل على الحال ، أرسل من قبض على تاج العجم ، وأرسل رجلا لقبه جمال الملك ، فأسكنه عسقلان وجعله متقدم العساكر الشامية" (٢) .

فى تلك الأثناء أرسل بلدوين الأول رسالة عاجلة الى تنكرد الوصى على أنطاكية ، والى بلدوين أمير الرها ، يطلب منهما امداده بنجدة سريعة ولم تلبث هذه النجدة التى بلغت خمسمائة من الفرسان وألف من المشاة أن وصلت الى يافا وعلى رأسها أمير أنطاكية والرها . وكان من الممكن أن يصبح لتلك التجمعات الصليبية شأن كبير لو أن الفاطميين ثبتوا فى القتال فى معركة فاصلة ضد الصليبيين ، ولكن الجيوش الفاطمية عقب

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٦٥/١٠ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣٢/٣ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٢٨٩/١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٦٥/١٠ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣٣/٣ .

هزيمتها أمام يافا، آثرت الانسحاب - وفى أعقابها الصليبيون - حتى عسقلان (١) .

لم يستكن عزم الفاطميين عن مقاومة الصليبيين ومحاولة الانتقام منهم، وطردهم من الشام، فرغم انتصار قوات الوزير الفاطمى الأفضل على الصليبيين فى موقعة الرملة الثانية، فانه أعد جيشا كبيرا بلغ خمسة آلاف جندى من المصريين والسودان، فضلا عن الفرسان العرب، وجعل على قيادة هذا الجيش ابنه سناء الملك حسين، وأنفذه الى عسقلان، وفى نفس الوقت أخذ الأسطول الفاطمى كامل استعداداته لمساندة الجيش من ناحية البحر، ولم يتردد الوزير الأفضل فى طلب المساعدة من سلاجقة دمشق السنيين، على الرغم من الخصومة المذهبية بينهم وبين الفاطميين الشيعة فعرض على طغتكين أتابك دمشق أن يساعده فى قتال العدو المشترك، وفعلا استجاب طغتكين لنداء الفاطميين، فأرسل اليهم أحد قواده واسمه "اصبهبذ صباوه" ومعه ألف وثلثمائة فارس (٢) .

لما علم بلدوين الأول ملك بيت المقدس بتلك الأحداث، وبخطة المسلمين، واصرارهم على قتاله، خرج من يافا على رأس قواته وسار بهم الى الرملة، حيث يستطيع منها حماية يافا من ناحية، وحماية بيت المقدس من ناحية أخرى، واجتمع حول بلدوين أنداده من أمراء الصليبيين ومعهم جيوشهم، ولم يكد ابرمار بطرق بيت المقدس يأتى ومعه صليب الصلبوت وعدد من الرجال حتى دارت المعركة المنتظرة مع المسلمين بين عسقلان ويافا والتى انتهت بتمزيق القوات الفاطمية شر ممزق، وفرار الدماشقة الذين أرسلهم طغتكين، وقتل كثير من أمراء الجيش، من جملتهم جمال الملك أمير

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٢٩٠/١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٩٤/١٠، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣٥/٣ .

عسقلان ،هذا مع ملاحظة أن خسائر الصليبيين أيضا كانت كبيرة فى تلك الموقعة ،فقتل منهم كثيرون على رأسهم قائد قوات أرسوف وقائد قوات عكا ولقد عبر المؤرخ ابن الأثير عن نتيجة هذه الموقعة تعبيرا دقيقا فقال : "لم تظهر احدى الطائفتين على الأخرى ،فقتل من المسلمين ألف ومائتان ومن الفرنج مثلهم ،وقتل جمال الملك أمير عسقلان "(١) .ومن سوء حظ المسلمين فى هذه المعركة أن الأسطول الفاطمى لم يكن له أى دور فيها ،بل وتعرض أثناء عودته الى مصر لعاصفة شديدة ،قذفت نحو عشرين سفينة من سفنه الى الموانئ الصليبية ،فأسرها الصليبيون وأخذوها غنيمة بدون قتال (٢) .

كان من نتائج هذه المعركة أنها كانت آخر محاولة كبرى قام بها الفاطميون فى مقاومتهم للصليبيين فى هذه الفترة ،فيئس الفاطميون من حرب الصليبيين ،واقتصر نشاطهم الحربى ضدهم بعد ذلك على التهديدات والغارات البسيطة ،التى تنطلق من مركز الهجمات الفاطمية فى مدينة عسقلان . ومن هذه الغارات هجوم القوات الفاطمية عام ٥٠٠هـ على قافلة حجاج صليبية بين يافا وأرسوف ،كما هاجموا عام ٥٠١هـ الخليل ،وفى عام ٥٠٤هـ تقدم الفاطميون فى هجماتهم السريعة حتى وصلوا الى أسوار مدينة بيت المقدس (٣) .

وجد الصليبيون فى موقف الدولة الفاطمية الضعيف والغير قادر على صد هجماتهم ،خير مشجع ومعين لهم للاستيلاء على مزيد من المواقع والحصون

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٩٥/١٠،المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣٥/٣،ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٠ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٢٩٦/١ .

(٣) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٣٥ .

وتأمين ممتلكاتهم خاصة مملكة بيت المقدس ،فأعد بلدوين الأول ملك بيت المقدس حملة عسكرية اتجه بها جنوبا حتى أيله على ساحل خليج العقبة ولم يلق بلدوين فى طريقه أى مقاومة تذكر،حيث فر الأهالى من وجهه خوفا وفزعا،وفى مدينة آيله بنى بلدوين قلعة حصينة استطاع من خلالها أن يتحكم فى الطريق البرى للقوافل بين مصر والشام عبر شبه جزيرة سيناء،كذلك شيد قلعة ثانية فى جزيرة فرعون الواقعة قبالة أيلة فى خليج العقبة (١) .

لم يكتف بلدوين بهذا،بل طمع بأكثر من ذلك ،فأخذ يفكر فى غزو الفاطميين فى عقر دارهم حتى يشعرهم بقوته ،وألا يفكروا بمهاجمته ومحاربته بعد ذلك ،فأعد حملة كبيرة فى عام ٤٩٦هـ وعبر بها الصحراء من غزة الى العريش حتى وصل الى الفرما (٢) واستولى عليها وأحرق جامعها ومساجدها (٣) .

كان لجرأة الصليبيين فى مهاجمة مصر الأثر البالغ فى ايقاظ الدولة الفاطمية من سباتها،وجعلها تفكر جديا فى كيفية درء هذا الخطر الذى أصبح يهددها تهديدا مباشرا ،فشرع الوزير الأفضل أمير الجيوش فى القيام بمحاولة جديدة يرد بها على العدوان الصليبى ،فبادر بارسال قواته الى عسقلان وأسطوله الى صور،وفى هذه المرحلة حدث الأمر الذى لم يكن فى الحسبان ألا وهو تحالف الدماشقة السنيين مع الفاطميين الشيعة ضد

---

(١) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص٣٦،أحمد رمضان : شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى ص٦٦ .

(٢) الفرما : مدينة قديمة بين العريش والفسطاط شرقى تنيس على ساحل البحر على يمين القاصد لمصر . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢٥٦/٤ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٧١/٥ .

الصليبيين ،فتم الاتصال بين الوزير الأفضل فى مصر وطغتكين فى دمشق على القيام بعمل مشترك بتوحيد جهودهما فى قتال الصليبيين كل من ناحيته فوافق الطرفان على هذا،وعلى الفور توجه طغتكين بنفسه الى عسقلان حيث ترابط القوات الفاطمية ليتولى قيادة القوات المشتركة الشامية والمصرية والتى كان عددها سبعة آلاف فارس،"فاجتمع بهم طغتكين ،وأعلمه المقدم عليهم أن صاحبهم تقدم اليه بالوقوف عند رأى طغتكين والتصرف على مايحكم به "(١) •

أحس الملك بلدوين الثانى - ملك بيت المقدس الجديد - بخطورة الموقف ،فحاول عزل طغتكين عن الأفضل ،وعرض على الأول عقد هدنة ،ولكن طغتكين رفض عرضه • وفى نفس الوقت استنجد بلدوين الثانى بالصليبيين فى أنطاكية وطرابلس ،ولكن الموقف لم يؤد الى صدام بين الطرفين اذ رابط كل من الصليبيين والمسلمين مدة شهرين أو ثلاثة ،ثم انصرف كل فريق من حيث أتى دون أن يقع بينهما قتال(٢) •

لم يكن وزراء الدولة الفاطمية لهذا الضعف ،فأخذوا يبذلون قصارى جهدهم لمواجهة الصليبيين ومحاولة صدهم ووقف زحفهم بأى وسيلة كانت ،ففى عام ٥٤٤هـ تولى ابن اللسلار الوزارة فى الدولة الفاطمية(٣) للخليفة الفاطمى الظافر،وكان ابن السلار هذا سنى على المذهب الشافعى(٤) فلم يرض عنه الخليفة الفاطمى وأخذ يكيد له ويدبر المؤامرات للتخلص منه

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٥٤٣/١٠ •

(٢) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٣٧ •

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤١٧/٣ •

(٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٨٢ •

فى هذا الوقت كان ابن السلار يضع مخططا لمقاتلة الطليبيين فى غـــزة وعسقلان ،وسعى لانجاح هذا المخطط بأن اتصل مع نور الدين محمود للاتفــاق على ذلك ،فاستدعى ابن السلار اسامة بن منقذ وكان فى هذا الوقت موجــودا فى مصر ،وعهد اليه بمهمة الاتصال بنور الدين محمود ،وقال له : " تأخـذ معك مالا وتمضى اليه لينازل طبريه ،ويشغل الفرنج عنا،لنخرج من هاهنــا نخرب غزة " (١) .

سافر أسامة بن منقذ من مصر مزودا بستة آلاف دينار مصرية،عـــدا الثياب وغيرها من المتاع ،واتجه الى الشام بصحبة قوم من العـــرب أدلاء ،والتقى مع أسد الدين شيركوه فى بصرى (٢) ،ومنها صحبه الى دمشـــق حيث التقى مع نور الدين محمود وتحدث معه بما جاء به ،فأبى نور الديـن الاستجابة لمشروع ابن السلار وقال لأسامة : " يافلان أهل دمشق أعـــداء والفرنج أعداء،ماآمن منهما اذا دخلت بينهما" . ولكن مع هذا سمح نـــور الدين لأسامة أن يستأجر بالمال الذى زوده به الوزير الفاطمى ابن السلار جندا يحارب بهم الطليبيين ،فجمع أسامة ثمانمائة وستين فارسا،وزوده نور الدين بثلاثين فارسا من أصحابه بقيادة الأمير عين الدولة الياروقـــى واتجه بهم الى الطليبيين لمحاربتهم (٣) .

نازل أسامة بن منقذ ـ بما توافر لديه من قوة ـ الطليبيين فـــى عسقلان وبيت جبريل (٤) ويبنا ،ولكنه لم يستطع أن يحقق أى نجاح حربى ملحــوظ

---

(١) أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ص ١٠ .

(٢) بصرى : بليدة بالشام من أعمال دمشق ،وهى قصبة كورة حوران . انظـر ياقوت الحموى : المشترك وضعا ص ٥٧ .

(٣) أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ص ١٤،١٥ .

(٤) بيت جبريل : بليد بين بيت المقدس وغزة ،بينه وبين القدس مرحلتـان وبين غزة أقل من ذلك . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ١/٥١٩ .

ضد الصليبيين فى تلك العمليات الحربية ،لصغر قواته من ناحية ،وعدم تماسكها بالنظام والطاعة من ناحية آخرى • (١) عندئذ استدعى الوزير الفاطمى ابن السلار اسامة بن منقذ الى القاهرة ،فحضر وترك آخاه عز الدولة آبا الحسن على فى عسقلان ليواصل مقاتلة الصليبيين فى غزة ولكن آبا الحسن لم يلبث آن استشهد فى تلك العمليات • (٢)

يقول الدكتور سعيد عاشور : ومهما يكن من آمر،فاننا نخرج من هذه الأحداث بعدة معان : آولها استمرار تمسك وزراء الدولة الفاطمية ـ وهم آصحاب النفوذ الفعلى فيها ـ بفكرة الجهاد،وثانيها اتجاه هؤلاء الوزراء الى زنكى ثم الى ابنه نور الدين محمود طالبين محالفتهم والاستعانة بهم فى تنفيذ مشاريعهم ضد الصليبيين ،وذلك بعد آن يئس الوزراء من آمر الخلفاء الفاطميين آنفسهم ،وثالثها اضطراب آحوال الدولة الفاطمية وضعفها وعجزها عن القيام بعمل حربى منفرد ضد الصليبيين بالشام • (٣)

لم يلبث آن اغتال الخليفة الفاطمى الظافر الوزير ابن السلار فى عام ٥٤٨هـ • (٤) وتولى الوزارة الملك الصالح طلائع بن رزيك ،ولم يلبث آن رفع الصالح بن رزيك علم الجهاد من جديد،فاهتم بارسال الأساطيل والسرايا لمهاجمة الصليبيين ،فجهز فى عام ٥٥٠هـ اسطولا هاجم ميناء صور حيث ظفر بمراكب الفرنج ،وعاث فى الميناء قتلا وآسرا،وعقد الفرنج

---

(١) اسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ص ١٥ ـ ١٧ •
(٢) نفس المصدر السابق ص ١٨ •
(٣) سعيد عاشور : شخصية الدولة الفاطمية ص ٤٥ •
(٤) ابن الأثير : الكامل ١١/١٨٤ •

مع الصالح بعد هذه الوقعة هدنة استمرت حتى سنة ٥٥٢هـ ،شرع الصالح بعدها فى ارسال الحملات البرية والبحرية للاغارة على بلاد الفرنج[(١)] ٠

كما حصلت اتصالات بين الصالح ونور الدين محمود للعمل يدا واحدة ضد الصليبيين ،وكتب الصالح له عدة قصائد يحرضه فيها على الجهاد،فأرسل نور الدين رسولا سنة ٥٥٢هـ ،وآخر سنة ٥٥٣هـ ،كما قدم رسول من عند الفرنج يطلب الصلح ،وقد أعاد الصالح رسول نور الدين بجواب رسالته ومعه هدية من الأسلحة ماقيمته ثلاثون ألف دينار،ومن العين مامبلغه سبعون ألف دينار تقوية له على جهاد الفرنج[(٢)] ٠ ولقد اهتم الصليبيون بمهادنة الصالح ،فأرسلوا رسولا آخر سنة ٥٥٤هـ ومعه هدية وعرض بقيام هدنة بين الطرفين ،الا أن رسولا من قبل نور الدين وصل الى مصر يخبر بأنه متوجه لمهاجمة الصليبيين ،وطلب خروج حملة من مصر تشغلهم ،فبادر الصالح بتجهيز ستة آلاف وخمسمائة فارس ،لشن الغارات على غزة ،كما خرج أسطول فى البحر لمهاجمة موانئ العدو وسفنه[(٣)] ٠

ويبدو أنه كان هناك اتفاق بين ابن رزيك ونور الدين على أنه بعد طرد الصليبيين من الشام يجرى تقسيمها بين نور الدين ومصر ،ويظهر ذلك من قصيدة للمهذب بن الزبير أحد أصدقاء ابن رزيك المقربين اذ يشير فى قصيدته هذه الى تلك الوقعة والى هذا الاتفاق ،فمن تلك القصيدة :

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢٣٠/٣،محمد المناوى : الوزارة والوزراء ص ٢٢٩ ٠

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢٣٣/٣ – ٢٣٤ ٠

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢٣٦/٣،محمد المناوى : الوزارة والوزراء ص ٢٣٠ ٠

وأعدت رسل ابن القسيم اليه فى ... شعبان كيما يلأم الشعبان
والفأل يشهد باسمه أن سوف يغـ ... ـدو الشام وهو عليكما قسمان
وأراك من بعد الشهيد أبا لـه ... وجعلته من أقرب الاخوان (١)

ولكن برغم اهتمام الصالح بقيام هذا التحالف ،وكتبه المتلاحقة لحث نور الدين على العمل يدا واحدة ،والقيام بمجهود مشترك ضد العدو الا أن ذلك لم يأت بالغرض المنشود ،اما لأن نور الدين لم يكن يثق تماما فى عروض مصر ،أو لأن القدر لم يمهل الصالح اذ قتل بعد قليل . ومات الصالح وهو يتأسف لعدم تمكنه من فتح بيت المقدس وطرد الصليبيين .

وبقتل الصالح بن رزيك دخلت مصر فى حالة من الفوضى لم يكن لها مثيل وأصبح التطاحن بين الوزراء على أشده ،فلم تخرج من مصر بعد مقتل الصالح أى حملة عسكرية ضد الصليبيين ،فتوقف العمل العسكرى الى أن قتل شاور آخر الوزراء الفاطميين ،وتولى الوزارة بعده بتقليد من الخليفة الفاطمى القائد أسد الدين شيركوه السنى ومن بعده ابن أخيه صلاح الدين الأيوبى . وفى عهدهما بدأت صفحة جديدة فى تاريخ مصر ،فقام صلاح الدين باسقاط الدولة الفاطمية وتحويلها من المذهب الشيعى الى المذهب السنى ،وأرجعها الى التبعية للدولة العباسية ،وبدأ بعد ترتيب الأمور الداخلية فى اعداد الجيوش وارسال الحملات العسكرية المتوالية لمقاتلة الصليبيين فى الشام الى أن استطاع استرجاع بيت المقدس من الصليبيين بعد موقعة حطين الشهيرة فى عام ٥٨٣هـ .

---

(١) أبو شامة : الروضتين ١٤٧/١ ـ ١٤٨،محمد المناوى : الوزارة والوزراء ص ٢٣٠ .

الفصل الثالث

الباطنية النزارية (الحشاشون) ودورهم في الحروب الصليبية

المبحث الأول : تعامل النزارية مع الصليبيين

المبحث الثاني : اغتيال القادة المسلمين

المبحث الثالث : افساد المجتمع الاسلامي من الداخل

المبحث الرابع : موقف القادة المسلمين من الباطنية النزارية

المبحث الأول

تعامل الباطنية النزارية مع الصليبيين

كان أول ظهور الباطنية ببلاد الشام فى مدينة حلب ، التى كانت تحت حكم الملك السلجوقى رضوان بن تتش ،حيث اقام الداعى الباطنى الحكيم المنجم الذى أرسله الحسن بن الصباح من آلموت لنشر الدعوة فى الشام واستطاع استمالة رضوان الى الباطنية على أساس أن يستغل هذا شجاعة الباطنية فى اغتيال خصومه السياسيين ،فحفظ الملك رضوان جانبهم وشايعهم حتى أصبح لهم بحلب دار دعوة (١) ٠

لكن لم يلبث أن توفى الحكيم المنجم فتولى أمر الباطنية بعده فى الشام رفيقه أبو طاهر الصائغ العجمى ، الذى سار على نفس الطريقة التى سارت عليها الباطنية فى بلاد فارس ،فاعتمد الاغتيال كوسيلة لتثبيت أقدامه فى الشام وفرض سيطرته ،فقام فى عام ٤٩٨هـ باغتيال خلف بن ملاعب صاحب أفامية عن طريق أحد دعاته هناك ،حيث تسلم أبوطاهر الصائغ الحصن عقب ذلك وأقام فيه (٢) ٠

بعد استفحال أمر الباطنية فى حلب والشام ،أرسل السلطان السلجوقى محمد بن ملكشاه الى ألب أرسلان بن رضوان بن تتش - الذى تولى الحكم فى حلب بعد وفاة أبيه - أن يفتك بالباطنية ويقتلهم ،فقرر ألب أرسلان الايقاع بهم والقضاء عليهم ،فقبض على أبى طاهر الصائغ وقتله ،وقتل اسماعيل الداعى وأخا الحكيم المنجم والأعيان من أصحاب هذا المذهب

---

(١) ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ص ١٤٠، ١٤١، انظر ماسبق ص ٥٦ ٠

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣٦/٣ ٠

الباطنى بحلب ،واستصفى أموالهم وتفرقوا فى البلاد[١] .

ظلت الباطنية فى الشام مختفية مغلوبة على أمرها ،بسبب مطاردة الحكام والعامة لها ،الى أن جاءت سنة ٥٢٠هـ ،حيث كان على زعامة الباطنية رجل يعرف باسم بهرام ،فقال عنه ابن القلانسى : " وفى هذه السنة استفحل أمر بهرام داعى الباطنية وعظم خطبه فى حلب والشام ،وهو على غاية من الاستتار والاختفاء وتغيير الزى واللباس ،بحيث يطوف البلاد والمعاقل ولايعرف أحد شخصه"[٢] .

استقر المقام بداعى الباطنية بهرام فى دمشق حيث أرسل نجم الدين ايل غازى بن أرتق صاحب الموصل الى الأمير ظهير الدين آتابك دمشق خطابا يستأذنه فى أن يقيم عنده بهرام حتى يؤمن شره وشر جماعته ،فأذن له الأمير ظهير الدين بالمقام عنده فى دمشق . وفى دمشق " وافق وزير الأمير ظهير الدين أبو على طاهر بن سعيد المزدقانى داعى الباطنية بهرام ،وساعده على نشر مذهبه وبث أفكاره ،فعظمت المصيبة بهم ،وجلت المحنة بظهور أمرهم ،وضاقت صدور الفقهاء والمتدينين والعلماء وأهل السنة ،والمقدمين ،وأحجم كل منهم عن الكلام فيهم ،دفعا لشرهم وارتقابا لدائرة السوء عليهم،لأنهم شرعوا فى قتل من يعاندهم ،ومعاضدة من يؤازرهم على ضلالهم"[٣] .

لم يكتف بهرام بهذا،بل حن الى ماضيه وماضى جماعته فى سفك الدماء وقتل الأبرياء،فحدثته نفسه بقتل برق بن جندل أحد مقدمى وادى التيم لغير سبب ،فخدعه الى أن حصل فى يده،فاعتقله وقتله صبرا،لكن أخوه

---

(١) انظر ماسبق ص ٥٨ ،ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٠٢ .
(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٤٢ .
(٣) نفس المصدر السابق ص ٣٤٣ .

ضحاك لم ينم على دم أخيه فجمع أتباعه وعقدوا العزم على الأخذ بثأر برق ،فسار ضحاك مع أتباعه والتقى مع أصحاب بهرام ودارت بينهما معركة فى وادى التيم أسفرت عن هزيمة أصحاب بهرام حيث قتل أكثرهم وسقط بهرام نفسه قتيلا فى هذه المعركة (١) ٠

بعد مقتل بهرام قام مقامه فى قلعة بانياس رجل من الباطنية اسمه اسماعيل العجمى ،وأقام الوزير المزدقانى عوض بهرام بدمشق رجلا من الباطنية اسمه أبو الوفا،فعظم أمر أبى الوفا هذا بسبب مساندة الوزير المزدقانى له ،حتى أصبح حكمه فى دمشق أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك بورى ٠

لم يقنع أبو الوفا بهذا،بل حدثته نفسه بالخيانة والاستعانة بالصليبيين على أهل دمشق المسلمين ،وتسليم دمشق اليهم ،فكاتب أبوالوفا زعيم الباطنية فى الشام الفرنج على أن يسلم اليهم دمشق ،ويسلموا اليه عوضها مدينة صور،واتفقوا على ذلك ،وتقرر بينهم الميعاد على أن يكون قدوم الصليبيين الى دمشق فى يوم جمعة وقت الصلاة ،على أن يجعل أبو الوفا أصحابه على أبواب جامع دمشق ،فلا يمكنوا أحدا من الخروج منه حتى يجىء الفرنج ويتسلموا دمشق ٠٠٠٠ علم تاج الملوك بورى صاحب دمشق بهذه المؤامرة ،فبادر بالتخلص من أصحابها،ومن كل من ساهم فيها،وبدأ بوزيره أبى على طاهر بن سعيد المزدقانى ،فاستدعاه اليه فحضر،وخلا معه فقتله تاج الملوك لتواطئه مع الباطنية،وعلق رأسه على باب القلعة ،ثم نادى تاج الملوك فى البلد بقتل الباطنية،فثار بهم أهل دمشق فقتلوا منهم ستة آلاف نفر،وكفى الله المسلمين شرهم (١) ٠

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٥٣ (بتصرف) ٠

(٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٣/ ٢،٣،ابن الأثير : الكامل ١٠/٦٥٦،٦٥٧ ٠

أما الصليبيون فلقد وصلوا على الميعاد المقرر بينهم وبين الباطنية وحاصروا دمشق استعدادا لأخذها،لكنهم علموا أن تاج الملوك قد بطش بحلفائهم وقضى عليهم فتأسفوا على ذلك أشد الأسف ،وغضبوا على عدم تمكنهم من أخذ دمشق ،وأرسلوا الى أعمال دمشق لجمع الميرة والاغارة على البلد فلما سمع تاج الملوك بذلك أرسل أميرا من أمرائه يعرف بشمس الخواص في جمع من المسلمين اليهم،فلقوا الفرنج وقاتلوهم،فصبر بعضهم لبعض ،فظفر المسلمون بهم وقتلوهم ،وأخذوا مامعهم من غنائم وهى عشرة آلاف دابة وثلاثمائة أسير ،فلما علم المحاصرون لدمشق بهذا ألقى فى قلوبهم الرعب ،فرحلوا عن دمشق شبه المنهزمين وكان البرد والشتاء شديدا فخرج تاج الملوك فى آثرهم وأخذ يطاردهم حتى قتل كل من تخلف منهم (١) .

أما صاحب بانياس الباطنى اسماعيل العجمى فلما سمع هو وأصحابه بما وقع لأقرانهم فى دمشق أسقط فى أيديهم ،فخاف اسماعيل على نفسه وعلى أصحابه من أن يثور به الناس فيقتلونهم،فراسل الفرنج ،وبذل لهم تسليم بانياس على أن ينتقل الى بلادهم ليأمن بهم ،فأجابوه الى ذلك فسلمها اليهم ،وخرج هو وأصحابه متسللين من بانياس الى الأعمال الفرنجية على غاية من الذلة ،ونهاية من القلة،فلقوا شدة وهوانا (٢) .

ظل الحشيشية الباطنية فى بلاد الشام على صلة وثيقة بالصليبيين يتآمرون على المسلمين من أهل السنة ،ولايتركون فرصة تلوح للانتقام منهم الا اهتبلوها،فوجهوا كل عملياتهم ومؤامراتهم ضد قادة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين والمؤسسات السنية فى الشام – " فلم يقاتل الحشيشية

---

(١) نفس المصادر السابقة .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥٥ – ٣٥٦،ابن الأثير : الكامل ٦٥٧/١٠ .

(النزارية) الاثنى عشرية أو الشيعة الآخرين ،ولم يديروا سكاكينهم ضد النصارى أو اليهود المحليين " (١) – وهذا يثبت لنا بالدليل القاطع على الصلات الوثيقة ،وحقيقة التعاون بين الباطنية والصليبيين من جهة واليهود من جهة أخرى .

فمن الأدلة التى تثبت حقيقة التعاون بين الباطنية والصليبيين أن زعيم الباطنية فى الشام راشد الدين سنان أرسل فى عام ٥٦٩هـ وفدا الى آملريك ملك بيت المقدس يقترح عليه عقد اتفاق بين الطرفين ضد القائد المسلم الملك العادل نور الدين محمود،ولوح سنان لملك بيت المقدس بأنه وقومه يفكرون بالتحول نحو النصرانية ،وطلب منه مقابل ذلك الغاء الضريبة التى فرضتها فرسان الداوية الصليبيين على بعض القرى الاسماعيلية الباطنية فى الشام . ولما عاد وفد الباطنية الحشيشية من القدس سقط فى كمين لفرسان الداوية ،فقتل الداوية جميع أفراد الوفد فأثاروا بذلك غضب آملريك ملك بيت المقدس الصليبى ،فبعث بكتاب توبيخ للجناة ،وطلب من مقدم الداوية سجنهم ،كما أرسل الى سنان مقدم الباطنية معتذرا،وأعلمه أن الجناة نالوا عقابهم،فكان لهذا العمل أثره الذى زاد فى ابقاء العلاقات الطيبة بين الطرفين (٢) .

أما عن علاقة الباطنية النزارية باليهود ،فيبدو أنها لاتقل درجة عن علاقتهم بالصليبيين ،بل كانت أقوى حيث كان الطرفان ممتزجين ببعضهما البعض ،فلقد كان عدد كبير من اليهود يعمل بين صفوف الحركة الباطنية النزارية فى الشام لخدمة أهدافها ،وقد ذكر الرحالة اليهودى بنيامين

---

(١) برنارند لويس : الحشيشية ص ١٥٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٣٠ ،سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٧٠٨/٢، ٧٠٩. فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢٤٧/٢ .

الذى زار منطقة الشام حوالى عام ٥٦٩هـ بأنه كان يقيم بين الاسماعيلية فى الشام نحو أربعة آلاف يهودى ،يسكنون الجبال مثلهم،ويرافقونهم فى غزواتهم وحروبهم ،وهم أشداء لايقدر أحد على قتالهم ،وبينهم العلماء التابعون لنفوذ رأس الجالوت ببغداد (١) .

ومن الأدلة الأخرى التى تثبت حقيقة التعاون بين الاسماعيلية الباطنية واليهود ضد المسلمين السنة ،أن كاتب الرسائل الباطنية الموجهة الى ملك بيت المقدس الصليبى بشأن الاتفاق معه للزحف على مصر وقيام الباطنية فى الداخل بثورة ضد صلاح الدين وقتله وقتل أتباعه وأخذ مصر منه واعادة الدولة الفاطمية مرة أخرى ،كان كاتب هذه الرسائل يهودى (٢) .

من هذا يتضح أن الطوائف الباطنية من اسماعيلية ونصيرية ودروز ليسوا من المسلمين حقيقة ،لابالقول ولابالفعل ولابالاعتقاد،فلقد كانت مواقفهم دائما مناوئة للاسلام والمسلمين ،بل تعاونوا فى كل الأوقات مع أعداء الاسلام والمسلمين من صليبيين ويهود (٣) .

لم يقف الباطنية فى الشام عند حد التعاون مع الصليبيين بعقد الاتفاقيات بين الطرفين ،واغتيال القادة المسلمين الذين هبوا للجهاد فى سبيل الله ضد الصليبيين . بل تعدى الأمر الى أبعد من ذلك ،فلقد أصبح الباطنيون يخوضون مع الصليبيين المعارك الحربية جنبا الى

---

(١) عبدالكريم حتامله : صلاح الدين وموقفه من القوى المناوئة فى بلاد الشام ،مقال فى مجلة الدارة – العدد الثانى – السنة الثانية عشر لعام ١٤٠٧هـ ،ص ١٦٣ ،دريد عبدالقادر : سياسة صلاح الدين فى بلاد مصر والشام والجزيرة ص ٣٧٧ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١٧٥/١،ابن الأثير : الكامل ٣٤٦/١١ .

(٣) فايد عاشور : جهاد المسلمين فى الحروب الصليبية ص ١٨٥ .

جنب ضد المسلمين ،فعندما عزم الملك العادل نور الدين محمود على توجيه ضرباته الى الصليبيين ومهاجمة مناطقهم ،تعاون الباطنية مع الصليبيين ضد هذه الجهود ،ووقفوا مع الصليبيين ضد حركة نور الدين الجهادية هذه ففى عام ٥٤٤هـ أغار نور الدين محمود على الاقليم المحيط بقلعة حارم على الضفة الشرقية لنهر العاصى ،وهى تابعة للصليبيين ،وطلب من معين الدين أنر المعونة والمساعدة لقتال الصليبيين ،فأمده معين الدين بقوة من فرسانه على رأسهم الأميرمجاهد الدين بزان بن مامين (١) وعندما ترك نور الدين حارم مكتفيا بتدمير ماحولها من ضياع ،آخذ يحاصر قلعة انب (٢) ، فلما علم البرنس ريموند صاحب أنطاكية بمحاصرة نورالدين لتلك القلعة ،خرج على رأس قوة من رجاله للتصدى لنور الدين وارجاعه عنها (٣) . فالتقى الفريقان فى معركة بالقرب من انب وأحاط نور الدين محمود بريموند ورجاله فأبادهم جميعا ولم يبق منهم أحدا،وكان من جملة القتلى البرنس ريموند صاحب أنطاكية ،ففرح المسلمون كثيرا بقتله وريتو صاحب كيسوم (٤) ومرعش (٥) ، فضلا عن على بن وفاء زعيم الباطنية الذى كان مرافقا للصليبيين ومحاربا معهم فى هذه المعركة (٦) .

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٤٧٢ .

(٢) انب : حصن من أعمال اعزاز من نواحى حلب .انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ٢٥٨/١ .

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ٩٨ - ٩٩ .

(٤) كيسوم : قرية مستطيلة من أعمال سمسياط فيها حصن كبير . ياقوت الحموى : معجم البلدان ٤٩٧/٤ .

(٥) مرعش : مدينة فى الثغور بين بلاد الشام وبلاد الروم . ياقوت : معجم البلدان ١٠٧/٥ .

(٦) برنارند لويس : الحشيشية ص ١٢٥ - ١٢٦،سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٦٢٢/٢ .

استمر زعماء الباطنية فى سياستهم المتحالفة مع الصليبيين ،ولم يتركوا أى فرصة تلوح لعقد أى اتفاق أو تحالف بينهم وبين الصليبيين وكانوا حريصين على ذلك أشد الحرص حتى يعرقلوا أى حركة جهادية يقوم بها المسلمون ضد الصليبيين . ففى أثناء رحلة هنرى دى شامبنى ملك مملكة بيت المقدس الى أنطاكية لتصفية النزاع بين أنطاكية وأرمينية اتصل هنرى بالباطنية فى مناطق نفوذهم ،وعقد معهم أواصر التحالف والصداقة ،وانتهز زعيم الباطنية فرصة مرور هنرى دى شامبنى بأراضيه الى أنطاكية ،فحاول أن يجدد ماكان بين الباطنية والصليبيين من تحالف فاعتذر لهنرى عن مقتل كونراد دى مونتفرات ودعاه لزيارة الباطنية فى حصن الكهف ،فحرص الباطنية أثناء تلك الزيارة على أن يبهروا أنظار ملك الصليبيين بقوتهم وثروتهم ،فقدموا اليه كثيرا من الهدايا ،كما عرضوا عليه محالفتهم واستعدادهم لقتل من يرغب فى قتله (١) .

يقول دريد عبدالقادرفى كتابه سياسة صلاح الدين : " ويعتقد المؤرخ "كاهين" أن هناك علاقة بين الاسماعيلية وجماعة الاسبتاريين الصليبيين الذين أصبحوا حماة الاسماعيلية ،وان أولئك الذين اغتيلوا من الصليبيين انما كانوا أعداء الاسبتاريين (٢) . وقد أيد المؤرخ الانجليزى هدجسون

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٨٧٢/٢ - ٨٧٣ .

(٢) من الأدلة التاريخية التى أوردها "كاهين" على اثبات وجود علاقة بين الاسماعيلية والاسبتاريين الصليبيين ماذكره فى كتابه

La Syrie du-nord .

(أ) فى منطقة الرها كانت هناك أملاك لفرسان الاسبتارية ،وكان للاسماعيلية فى الرها أيضا مركز لدعوتهم وكان ذلك المركز تحت سلطان الاسبتارية اداريا فى القرن ١٣م .

(ب) قتل الأمير الصليبى ريموند سنة ١٢١٣م فى كنيسة أنطرطوس بيد الاسماعيلية الباطنية الذين كانوا مدفوعين من قبل الاسبتارية وكذلك مقتل بوهيموند الرابع الذى قتل بسبب الاختلافات التى كانت =

وجود مثل تلك العلاقة ،واعتقد بأن هناك اشارات واضحة تدل على ذلك[(١)] .

وبعد قيام دولة المماليك فى مصر وعقد الصلح بينهم وبين الأيوبيين فى الشام لم يعد هناك أى شاغل يشغل الطرفين غير الجهاد ضد الصليبيين فاجتمعت جهودهم وقواهم وأخذ كل واحد منهم يعمل من عنده فى حرب الصليبيين ،وفى المقابل وأمام هذا الاتفاق بين مصر والشام ،قام لويس التاسع قائد الصليبيين بتنظيم الدفاع عن الممتلكات والبلدان الصليبية فقام بتحصين المدن والموانئ الصليبية بتحصينات حربية ضخمة حتى تصمد فى وجه الهجمات والغارات الاسلامية ،ولكى يكمل لويس التاسع نظامه الدفاعى عن الممتلكات الصليبية فى بلاد الشام سعى الى عقد اتفاقيات وتحالفات واسعة النطاق مع أعداء المسلمين السنة فى الشام ،فحاول التحالف مع الباطنية الشيعة الحشاشين من ناحية ومع المغول من ناحية أخرى حتى يتحقق له بهذا التحالف نوع من التوازن بين الصليبيين من جهة والمماليك والأيوبيين من جهة ثانية .

فعندما علم شيخ الجبل - زعيم الحشاشين فى بلاد الشام - بوصول لويس التاسع الى الشام أرسل اليه يطلب منه عقد نوع من الارتباط والتفاهم بين الطرفين ،ويبدو أن الباطنية أرادوا من وراء ذلك أن يؤمنوا أنفسهم ازاء الموقف الجديد الناشئ عن قيام دولة المماليك فى مصر

= بينه وبين جماعة الاسبتارية ،الذين استخدموا الاسماعيلية الباطنية لقتله وقد أكد كاهين أن أولئك الاسماعيلية كانوا مع جماعة الاسبتارية حلفا واحدا ضد المسلمين .

انظر دريد عبدالقادر : سياسة صلاح الدين فى بلاد مصر والشام والجزيرة ص ٣٧٦ .

(١) دريد عبدالقادر : سياسة صلاح الدين ص ٣٧٦ .

ووقوفها الى جانب الأيوبيين فى الجهاد ضد الصليبيين عن طريق عقد تحالف مع الصليبيين بالشام فأرسل شيخ الجبل زعيم الباطنية بعض الهدايا الى لويس التاسع ملك فرنسا – من جملتها فيل من البللور – فرد عليه ملك فرنسا لويس التحية بأحسن منها، مما أدى الى تقوية أواصر التحالف بين الطرفين (١) .

وأثناء الغزو المغولى الذى استهدف الممالك الاسلامية والخلافة العباسية فى بغداد، ورأى الاسماعيلية الباطنية أن مطامع المغول لاتقف عند حد، وأن فتوحاتهم مستمرة، خافوا خطرهم، وصمموا على مقاومتهم فأخذوا يرسلون رسلهم الى انجلترا وفرنسا سنة ٦٣٧هـ طالبين معونة الأوربيين الذين عرفوهم ابان الحروب الصليبية، ولكنهم لم يلقوا مجيبا يشهد بذلك ماقاله أسقف مدينة ونشستر Winchester : "دع هؤلاء الكلاب يأكل بعضهم بعضا حتى يقضى عليهم نهائيا، وعندئذ سوف نقيم على أنقاضهم الكنيسة الكاثوليكية العالمية، فتكون حقا راعيا واحدا وقطيعا واحدا " (٢) .

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ١٠٤٦/٢ .

(٢) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ١/القسم ٢ ص ٣٨٣ حاشية رقم (٤) .

المبحث الثانى

اغتيـــال القادة المسلميـــن

ظلت الحركة النزارية الباطنية اسفينا فى قلب المجتمع الاسلامـــى فزادته ضعفا على ضعف ،وساهمت فى تمزيقه ونشر الرعب والارهاب فى أرجائـه فساعد ذلك الأعداء على الطمع فيه ومحاولة السيطرة عليه . لقد كانـــت الحركة النزارية مصدرا للانحلال السياسى والاجتماعى فى بلاد فارس والشـام طيلة عصر الحروب الصليبية ،فاتخذ أتباعها من الاغتيال السياسى والتصفية الجسدية مبدأ ساروا عليه لتحقيق أهدافهم فى السيطرة على أجـــزاء كبيرة من بلاد فارس والشام وانهاك القوى السنية فيها ،فاتسم تاريـــخ الحركة النزارية فى هذه البلاد بالقتل وسفك الدماء والاغتيال ،حتـــى أن زعماء هذه الحركة تناسوا الأهداف الفكرية والمبادئ التى كانـــوا ينادون بها ،وأصبحوا عصابة سرية فريدة من نوعها فى التاريخ ،مدربـــة على القتل المنظم ،لاهم لهم ولاغاية سوى الاغتيال وبث الذعر ونشـــر الاشاعات المخيفة .

لقد ذهب ضحية اجرام هؤلاء عدد كبير من قادة الجهاد الاسلامى ضـــد الصليبيين والخلفاء والوزراء والعلماء والقضاة والوعاظ ،فكان مصيـــر كل قائد مسلم ينادى بالجهاد ضد الصليبيين وتوحيد الجبهة الاسلاميـــة لمواجهة الخطر الصليبى ..... القتل على أيدى رجال الجناح العسكـــرى فى تنظيم الحركة النزارية الباطنية من الفداوية ،وكذلك اذا ظهـــر أى عالم أو فقيه أو واعظ ،وأخذ يبين زيف أفكار ومبادئ هؤلاء الباطنيـــة وتوعية العامة وتحذيرهم منها ،طالت أيدى هؤلاء الباطنية الغادرة هـــذا

العالم أو الفقيه بالاغتيال والقتل ٠

وهكذا لم يسلم من بطش الباطنية أى رجل مخلص يظهر فى المجتمع الاسلامى ،وسوف نعرض قائمة طويلة بأسماء قادة ووزراء وسلاطين وفقهاء وقضاه ووعاظ اغتالتهم أيدى أتباع النزارية الباطنية فى بلاد فارس والشام ابان الحروب الصليبية ٠

ففى ربيع الأول من عام ٤٨٥هـ خرج الوزير السلجوقى نظام الملك فى زيارة لولايات الدولة فى بلاد فارس ،ومعه ولد الخليفة العباسى أبو الفضل جعفر،وبعد انتهاء الوزير من الزيارة ،وفى أثناء عودته فى شهر رمضان الى بغداد،عاصمة الخلافة وفى الطريق تقدم اليه صبى ديلمى من الباطنية عرف باسم أبى طاهر الأرانى فى صورة مستغيث ،فتقدم الى نظام الملك وضربه بسكين كانت معه فقتله على الفور،فقبض جنود نظام الملك على الصبى الديلمى وقتلوه ،فكان الوزير نظام الملك رحمه الله أول ضحية تسقط بيد الباطنية فى تلك السنة (1) ٠

ان الوزير نظام الملك رحمه الله كان من الوزراء الأفذاذ الذين خدموا الاسلام والمسلمين خدمة عظيمة ،فهو الموسس للمدارس النظامية التى انتشرت فى أرجاء الدولة الاسلامية تدرس مختلف العلوم الاسلامية ،ولقد كان نظام اللملك يهدف من وراء انشاء هذه المدارس عدة أهداف ،منها مواجهة الفكر الباطنى الذى أخذ ينتشر فى المجتمع الاسلامى انتشار النار فى الهشيم واستغوت كثير من العامة والناس ،فبادر الى انشاء هذه

---

(1) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ٩ ،أبو شامة : الروضتين ٢٥/١،ابن العديم : بغية الطلب ص ٨٦ ،٨٧، الفارقى : تاريخ الفارقى ص ٢٢٩ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٩٢ ٠

المدارس لتدريس العلوم الاسلامية ونشر الفكر الاسلامى الصحيح ونقض الأفكار الباطنية ،وندب للتدريس فيها خيرة العلماء والفقهاء والمحدثين الى جانب ذلك كان نظام الملك رحمه الله من الرجال القلائل الواعين لخطط الباطنية وأهدافها ،لذلك شرع منذ البداية فى محاربتها ومطاردة زعمائها بشتى الوسائل والطرق حتى يظهر المجتمع الاسلامى منهم ،لذا وجد الباطنية فى شخص نظام الملك خطرا كبيرا عليهم ،وانهم لن يستطيعوا أن يحققوا أهدافهم مادام موجودا على رأس الدولة السلجوقية ،فعملوا جاهدين على التخلص منه ،فأرسلوا أحد فدائييهم الغادرين فطعنه بسكين وقتله .

كان نظام الملك رحمه الله عالما أديبا جوادا كثير الحلم والصفح عن المذنبين ،وكان مجلسه عامرا بالفقهاء والفقراء وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح ،أمر ببناء المدارس فى سائر الأمصار والبلاد ،وأسقط المكوس والضرائب ،وكان رحمه الله اذا سمع المؤذن أمسك عما هو فيه ويجيبه ،فاذا فرغ من الأذان لايبدأ بشىء قبل الصلاة (١) .

وفى رمضان من عام ٤٨٨هـ خرج السلطان السلجوقى بركيارق فعدا عليه فداوى من الباطنية ،فلم يتمكن منه ،وسلم السلطان بركياروق من سكين هذا الباطنى ،وقبض على الباطنى فعوقب وأقر على اثنين من أصحابه ولكن لم يعترفا بذلك ،فقتل الثلاثة عقابا لهم (٢) .

وفى عام ٤٩٠هـ قتلت الباطنية أرغش النظامى بالرى (٣) .

وفى نفس السنة قتلت الأمير برسق ،وكان الأمير برسق هذا من أصحاب

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٢٠٨/١٠، ٢٠٩، النويرى : نهاية الارب ٣٣٣/٢٦ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٤٩/١٢ .

(٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢١٠/٢ .

الزعيم السلجوقى طغرل بك ،وكان برسق أول شحنة (١) يعين ببغداد من قبل السلاجقة (٢) . وفى عام ٤٩٢هـ اغتال الباطنية أيضا أبو القاسم ابن امام الحرمين بنيسابور (٣) .

لما كثرت عمليات اغتيال القادة المسلمين من قبل الباطنية صار القادة يلبسون الدروع والملابس الواقية من خناجر الباطنية الغادرة ،وكانوا شديدى الاحتراز منهم ،لكن الباطنية بأساليبهم الغادرة كانوا يتحينون الفرص المناسبة لتنفيذ عملياتهم حتى تكون ناجحة ففى أواخر رمضان من عام ٤٩٣هـ اغتال الباطنية رئيس شحنة أصبهان الأمير بلكابك سرمز،وكان بلكابك كثير الاحتياط من الباطنية ،فلايفارق لبس الدروع احترازا منهم ،لكنه فى تلك الليلة لم يلبس الدرع ،فاستغل الباطنية الفرصة فهجموا عليه بسكاكينهم الغادرة وقتلوه (٤) .

---

(١) شحنة : استخدم لفظ شحنة على موظف فى الدول الاسلامية ،وهى لفظة عربية من شحن بمعنى ملء ،وقد استخدمت فى أول الأمر للدلالة على الرابطة من الخيل فى البلد لضبط آهله ،ثم استخدمت للدلالة على وظيفة . وكانت شحنة بمثابة مندوب للحاكم الأعلى يعين فى المدن التابعة له أو التى يفتحها ،أى أنه كان بمثابة حاكم عسكرى يمثل صاحب الحكومة المركزية ،خليفة أو سلطانا أو غير ذلك . وكانت وظيفته مراقبة القوى المعارضة ومنعها من التضخم أو الظهور،وكان يسيطر على الادارة والمكاتبات ويقوم بالدفاع عن المدينة ويحافظ على الأمن ويتدخل فى تحصيل الضرائب والمكوس والأموال ليحصل على نصيب الحكومة المركزية منها . انظر : حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ٦٢٣/٢ .

(٢) ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ،مخطوط،ورقة ٣٤٥ب ،٣٤٦ آ،أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٢١٠/٢ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ١٥٧/٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٣٠١/١٠،ابن كثير : البداية والنهاية ١٥٨/١٢ .

لم يقف الباطنية عند حد سفك دماء القادة والحكام والسلاطين المسلمين ،بل امتدت أيديهم الغادرة الى الفقهاء والوعاظ والعلماء فاغتالوا كل من سولت له نفسه بالتحدث عن الباطنية بكشف أفكارها الفاسدة ،أو تحريض الناس والحكام على جهادهم ومحاربتهم ،ففى عام ٤٩٤هـ قدم على تيرانشاه صاحب كرمان رجل يقال له : أبو زرعة ،وكان أبو زرعة هذا من الباطنية وكاتبا بخوزستان ،فحسن أبو زرعة لتيرانشاه مذهب الباطنية ودعاه الى اعتناقه فأجابه تيرانشاه الى ذلك ،وأصبح من الباطنية ،وكان عند تيرانشاه فقيه حنفى يقال له أحمد بن الحسين البلخى ،وكان هذا الفقيه مطاعا عند الناس مسموع الكلمة ،فاستدعى تيرانشاه ذات ليلة الفقيه الحنفى وطال الحديث والجلوس معه ،ولما خرج الفقيه من عنده أتبعه ببعض رجاله من الباطنية فقتلوه دون أن يقترف أى ذنب (١) .

وفى عام ٤٩٦هـ قتل رجل علوى من الباطنية الواعظ أبو المظفر بن الخجندى بالرى ،وكان أبو المظفر هذا يعظ الناس فى الجامع ،ولما انتهى من درسه ونزل من على كرسيه وثب عليه ذلك الباطنى وقتله ،وقتل الباطنى على الفور،وكان أبو المظفر هذا عالما فاضلا ،وفقيها شافعيا مدرسا،وكان الوزير نظام الملك يزوره ويعظمه (٢) .

ومن الوعاظ الذين قتلوا بيد الباطنية الواعظ أبو جعفر بن المشاط وهو من شيوخ الشافعية أخذ الفقه عن الخجندى ،وقتل رحمه الله

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٠/٣٢٠،٣٢١ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ،مخطوط،١٣/ورقة ١٤١أ،ابن الأثير : الكامل ١٠/٣٦٦،ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/١٦٣ .

بنفس الطريقة التى قتل بها شيخه الخجندى ،فكان رحمه الله يدرس بالرى ويعظ الناس ،فلما نزل من على كرسيه آتاه باطنى فطعنه بسكين وقتله (١) .

ومن القضاة الذين اغتيلوا آيضا بيد الباطنية آبو العلاء صاعد بن آبى محمد النيسابورى هجم عليه باطنى وهو بجامع آصبهان فقتله (٢) .

واغتال الباطنية آيضا فى شهر صفر من عام ٥٠٢هـ قاضى آصبهان عبيدالله بن على الخطيبى بهمذان ،وكان رحمه الله قد فضح آمر الباطنية وكشف عن كثير من آفكارها الباطلة ،فقال عنه ابن الأثير : "كان قد تجرد فى آمر الباطنية تجردا عظيما ،وصار يلبس درعا حذرا منهم ،ويحتاط ويحترز" ،فأصبح القاضى عبيد الله الخطيبى حذرا من هؤلاء الغدارين لما اشتهروا عنهم باغتيال كل من يتكلم عليهم ويفضح آمرهم ،ولكن لايغنى حذر من قدر،فجاء رجل من الباطنية قاصدا القاضى الخطيبى فى يوم جمعة ،فدخل بينه وبين آصحابه وهجم عليه ذلك الباطنى وقتله لكونه يحرض عليهم حسب قول الشيخ الذهبى (٣) .

ومن القضاة الذين اغتالتهم الباطنية آيضا صاعد بن محمد بن عبدالرحمن آبو العلاء قاضى نيسابور ، اغتالوه يوم عيد الفطر بجامع آصبهان ، اذ وثب عليه رجل باطنى وطعنه بسكين وقتله ،وقتل الباطنى على الفور (٤) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٩٣/١٠ .

(٢) نفس المصدر السابق ٤١٥/١٠ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٤٧١/١٠، الذهبى : دول الاسلام ٣١/٢ .

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ،مخطوط ٢/ورقة ٤٣آ، ابن الأثير: الكامل ٤٧٢/١٠، الذهبى : دول الاسلام ٣١/٢، الذهبى : العبر ٣٨٣/٢ .

واغتالوا أيضا قاضى القضاة زين الاسلام أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروى ،كان قد تقدم فى الدولة السلجوقية كثيرا ،فأرسله الخليفة الى خراسان برسالة الى السلطان سنجر السلجوقى ،وفى أثناء عودته من خراسان نزل بهمذان فى جامعها للاستراحة ،وفى أثناء ذلك وثب عليه على حين غفلة جماعة من الباطنية كانوا معدين الى ذلك فضربوه بسكاكينهم ،فقتلوه وهربوا فى الحال .(١)

وفى منتصف شهر صفر من عام ٤٩٥هـ قتل الباطنية وزير السلطان السلجوقى بركيارق على أصبهان الوزير الأعز أبو المحاسن عبدالجليل ابن محمد الدهستانى ،وكان الوزير مع السلطان محاصرا لأصبهان فركب الوزير من خيمته الى خيمة السلطان ،فتقدم اليه شاب من الباطنية ووثب عليه فجرحه عدة جراحات ،فتفرق أصحابه عنه ،ثم عادوا اليه ،فوثب الباطنى على أقرب واحد منهم وجرحه عدة جراحات أثخنته ،ثم عاد الى الوزير مرة ثانية يضربه بالسكين حتى تركه بآخر رمق ومات .(٢)

ولم يكتف الباطنية باغتيال الوزير الأكبر نظام الملك ،بل امتدت أيديهم الغادرة الى ابنه الأكبر فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك ،وكان وزيرا للسلطان السلجوقى سنجر بنيسابور ،وكان رحمه الله فى ذلك اليوم الذى اغتالته فيه الباطنية صائما ،وكان قد رأى فى المنام فى ليلة ذلك اليوم الحسين بن على وهو يقول له : عجل الينا وافطر عندنا هذه الليلة ،وعندما ذكر ذلك لأصحابه نصحوه بعدم الخروج ذلك اليوم من المنزل ،فما خرج الا فى آخر النهار ،فرأى شابا يتظلم وفى يده رقعة

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦٣٠/١٠ ،ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٣٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٥/١٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٣٥/١٠ ،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٦٧/٥ .

فقال : ماشأنك ،فناوله الرقعة وبينما هو يقرأ الرقعة وثب عليه ذلك الشاب وكان من الباطنية ،فضربه بخنجر كان بيده فقتله،وقبض على الباطني ورفع الى السلطان فقرره فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أمروه بذلك ، وكان كاذبا ،فأخذوا وقتلوا بغير ذنب اقترفوه ،ثم قتل الباطني بعدهم وفصل على قبر فخر الملك عضوا عضوا كما قال ابن تغرى بردى (١) .

وفى عام ٤٩٥هـ امتدت أيدى الباطنية الى قائد من القادة المسلمين الذين وقفوا فى وجه الزحف الصليبى وجاهد ضدهم ،الا وهو جناح الدولة حسين صاحب حمص ،فلقد كان جناح الدولة من ألد أعداء القائد الصليبى ريموند،حيث أن جناح الدولة وقف فى وجهه وحد من أطماعه التوسعية فى بلاد الشام ولم يستطع ريموند التحرك بحرية الا بعد أن قتل جناح الدولة أما كيفية قتله ،فلقد نزل رحمه الله من القلعة الى الجامع الكبير ليؤدى صلاة الجمعة وحوله أصحابه ،فتقدم اليه ثلاثة أشخاص من الباطنية فى زى الزهاد ،وأخذوا يسألونه ويستميحونه فوعدهم ،فوثبوا عليه بسكاكينهم فقتلوه وقتلوا معه جماعة من أصحابه ،قال عنه ابن تغرى بردى : كان أميرا مجاهدا شجاعا يباشر الحروب بنفسه (٢) .

وفى عام ٤٩٩هـ أرسل أبو طاهر الصائغ زعيم الباطنية فى الشام جماعة من الباطنية الى خلف بن ملاعب صاحب حصن أفامية فقتلوه بالاتفاق

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ،مخطوط ٢/ورقة ٣٣أ،ابن الأثير : الكامل ٤١٨/١٠،٤١٩،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٩٤/٥،ابن كثير : البداية والنهاية ١٦٧/١٢ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ،مخطوط ١٣/ورقة ١٣٩أ،ابن أبى الدم: التاريخ المظفرى ،مخطوط،ورقة ٤٤٨،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٦٨/٥،١٦٩،ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٠،سعيد عاشور : الحركة الصليبية ٣٤٦/١،٣٤٧ .

مع رجل يعرف باسم أبو الفتح السرميني أحد دعاة الباطنية هناك فأعملوا الحيلة ،وأحضروا معهم حصانا وبغلة وعددا افرنجية،وخرجوا من حلب الى أفامية بتلك العدة والدواب ،ولما وصلوا الى أفامية قالوا لسيف الدولة خلف بن ملاعب : جئنا قاصدين خدمتك ،وفى الطريق لقينا فارسا من الفرنج فقتلناه وجئنا اليك بحصانه وبغلته وعدته ،فأكرمهم وأنزلهم بجوار حصن أفامية فى دار محاذية للسور،فنقبوا نقبا فى السور حتى وصلوا اليه ،فلما أحس بهم ابن ملاعب لقيهم فوثبوا عليه وطعنوه بالخناجر حتى مات ،ووافقهم على ذلك جماعة من أهل أفامية كانوا من الباطنية (١) .

ومن الفقهاء الذين اغتالتهم الباطنية شيخ الشافعية ببلاد العجم عبدالواحد بن اسماعيل أبو المحاسن الرويانى ،قتلوه يوم الجمعة فى الجامع بطبرستان ،وكان رحمه الله من أئمة الشافعية،رحل الى الآفاق حتى بلغ ماوراء النهر ،وحصل علوما جمة،وسمع الحديث الكثير ،وصنف كتبا فى المذهب ،من ذلك كتاب البحر فى الفروع وهو حافل شامل للغرائب وغيرها،وفى المثل يقال : "حدث عن البحر ولاحرج" ،وكان يقول رحمه الله لواحترقت كتب الشافعى لأمليتها من حفظى (٢) .

ومن الوزراء الذين حاول الباطنية اغتيالهم الوزير أبو نصر ابن الوزير نظام الملك ،حيث خرج الى الجامع للصلاة "فوثب عليه جماعة من

---

(١) ابن العديم : بغية الطلب ص ١٢٩، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٢، المقريزى : اتعاظ الحنفا ٣٦/٣ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٧٠/١٢، ١٧١، الذهبى : دول الاسلام ٣١/٢، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٩٨/٣، ابن الأثير : الكامل ٤٧٣/١٠ .

الباطنية وضربوه بالسكاكين ،وجرحوه فى رقبته عدة جراحات ،فبقى مريضا مدة ،ثم شفى ،وقبض على الباطنى الذى جرحه فسقى الخمر حتى سكر ،ثم سئل عن أصحابه فأقر على جماعة منهم بمسجد المأمونية ،فأخذوا وقتلوا وكان ذلك فى شعبان من عام ٥٠٣هـ (١) .

ومن القادة المسلمين الذين قتلوا بيد الباطنية ، القائد الأمير مودود بن زنكى صاحب الموصل الذى جاهد طويلا ضد الصليبيين ،وحاول توحيد الجبهة الاسلامية ضدهم ،ولم تنثن له عزيمة فى هذا المجال ،ففى عام ٥٠٧هـ بعث السلطان غياث الدين محمد السلجوقى جيشا كبيرا فيه مجموعة من الأمراء ،ومنهم سكمان القطبى صاحب تبريز (٢) ،وآحمديل صاحب مراغة (٣) ،والأمير ايلغازى صاحب ماردين (٤) ، وعلى الجميع الأمير مودود صاحب الموصل لقتال الفرنج بالشام ،فجاهد هؤلاء الأمراء بقيادة الأمير مودود الصليبيين فهزموهم فى أكثر من موقعة ،وانتزعوا من آيديهم حصونا كثيرة ،وبعد جهاد طويل أذن الأمير مودود للعساكر بالراحة على أن يجتمعوا فى الربيع مرة أخرى لجهاد الصليبيين ،فدخل الأمير مودود دمشق فى شهر ربيع الأول من نفس السنة ليصلى الجمعة فى الجامع الكبير ،فلما فرغ من الصلاة خرج الى صحن الجامع ،فجاءه باطنى فى زى سائل فطلب منه شيئا فأعطاه

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٤٧٨/١٠، ابن كثير : البداية والنهاية ١٧١/١٢ .

(٢) تبريز : من أشهرمدن آذربيجان وهى قصبتها ،وهى مدينة حصينة ذات أسوار محكمة . ياقوت : معجم البلدان ١٣/٢، القزوينى : آثار البلاد ص ٣٣٩ .

(٣) مراغة : مدينة كبيرة مشهورة وهى آشهر بلاد آذربيجان . ياقوت : معجم البلدان ٩٣/٥، القزوينى : آثار البلاد ص ٥٦٢ .

(٤) ماردين : قلعة مشهورة على قمة جبل بالجزيرة . ياقوت : معجم البلدان ٣٩/٥ ، القزوينى : آثار البلاد ص ٢٥٩ .

فلما اقترب منه وثب عليه وضربه بخنجر فى فؤاده فمات ،وكان رحمه الله صائما فحاول أصحابه معه فى لحظاته الأخيرة ليفطر فرفض وقال : لالقيت الله الا صائما ،ومات فى آخر النهار،قال ابن الأثير : ان الباطنية بالشام خافوه فقتلوه ،وبعد مقتل الأمير مودود جاء كتاب من الفرنج الى المسلمين وفيه : ان آمة قتلت عميدها فى يوم عيدها فى بيتمعبودها لحقيق على الله أن يبيدها (١) • وهكذا قدم الباطنية للصليبيين ماكانوا يتمنونه دون أى ثمن ،وخسر العالم الاسلامى قائد عظيم من قادة الجهاد الاسلامى ،وفرح الصليبيون بموته فرحا شديدا •

وفى الأول من المحرم عام ٥١٠هـ حضر آتابك طغتكين صاحب دمشق الى دار السلطان محمد السلجوقى ببغداد ،وحضر فى نفس الوقت جماعة من الأمراء منهم آحمديل بن ابراهيم ،وهسوذان الروادى صاحب مراغة الذى صاحب الأمير مودود جنبا الى جنب فى جهاده ضد الصليبيين • وبينما كان آحمديل صاحب مراغة جالسا الى جانب طغتكين آتاه رجل متظلم ،وبيده رقعة وهو يبكى ويسأله آن يوصلها الى السلطان ،فأخذها من يده ،فوثب الرجل على الفور على آحمديل وضربه بسكين فجذبه آحمديل وتركه تحته فوثب رفيق للباطنى كان موجودا وضرب آحمديل سكينا آخرى ،فهب الحاضرون وآخذت سيوفهما تلعب على الرجلين الباطنيين،وبينما هم كذلك اذ آقبل رفيق لهما باطنى ثالث وضرب آحمديل ضربة ثالثة فقضى عليه ومات ،فعجب الناس من اقدامه بعد قتل صاحبيه آمامه (٢) •

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٤٩٦/١٠،٤٩٧،ابن كثير : البداية والنهاية ١٧٣/١٢،ابو شامة : الروضتين ٢٧/١،ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٩٩ •

(٢) ابن الأثير : الكامل ٥١٦/١٠،ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣١٥ ، الذهبى : دول الاسلام ٣٦/٢ •

وطالت أيدى الباطنية وزيرا آخر من وزراء الدولة السلجوقية وقتلته شر قتله ،ففى سلخ صفر من عام ٥١٦هـ قتلت الباطنية الوزير الكمال أبو طالب السيرمى ،وزير السلطان السلجوقى محمود،وكان قد استعد للمسير مع السلطان الى همذان ،وبينما هو فى الطريق وحوله رجاله واجتاز طريقا ضيقا،فتقدم أصحابه أمامه لضيق الطريق ،فوثب عليه باطنى وضربه بسكين فوقعت فى البغلة ،وهرب الباطنى على الفور فلحق به رجال الوزير ،فظهر باطنى آخر وضربه بسكين فى خاصرته وجذبه عن البغلة الى الأرض وضربه عدة ضربات حتى أجهز عليه ،ثم عاد أصحاب الوزير فتصدى لهما رجلان باطنيان فانهزموا منهما،لكنهم عادوا وقبضوا على الباطنيين وتفقدوا الوزير فوجدوه مقتولا وقد ذبح مثل الشاة ،وبه نيف وثلاثون جراحة،فقتل أصحابه الباطنية الذين قتلوه (١) .

وامتدت أيدى الباطنية أيضا الى قائد آخر من قادة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين وضد الباطنية،فاغتالته غدرا فى المسجد الجامع بعد صلاة الجمعة ألاوهو قسيم الدولة آقسنقر البرسقى صاحب الموصل ثم حلب وكثير من مدن الشام ،فلقد جاهد قسيم الدولة الصليبيين كثيرا،فخرج يوم الجمعة لأداء صلاة الجمعة مع العامة فى المسجد،وكان قد رأى تلك الليلة فى منامه أن عددا من الكلاب ثارت به ،فقتل بعضهاونال منه الباقى ماآذاه ،فلما أخبر أصحابه بذلك أشاروا عليه بعدم الخروج من داره عدة أيام ،فقال : لاأترك صلاة الجمعة لأى سبب من الأسباب ،وعزم على الخروج الى الجامع ،وأخذ المصحف ليقرأ فيه ،فأول ماوقع بصره على الآية

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦٠١/١٠،النويرى : نهاية الارب ٢٣/٢٧،ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٠/١٢،ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٢٨ .

(وكان أمر الله قدرا مقدورا) فجلس فى الصف الأول كعادته ،وبينما هو يصلى وثب عليه بضعة عشر نفرا من الباطنية عدة الكلاب التى رآها فى المنام ،فجرحوه بسكاكينهم ،وجرح هو بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله وكان كما يقول ابن العديم عنه سيفا على الباطنية (١) .

ومن الوزراء المخلصين الذين اغتالتهم يد الباطنية ،معين الملك أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان السلجوقى سنجر،ذكر أنه فتك بجماعة من الباطنية ،وكان له فى قتالهم آثار حسنة ونية صالحة ،وكان يحرض السلطان على النكاية فيهم ،فوجد الباطنية أن هذا الوزير خطر عليهم ولابد من التخلص منه ،فرتبوا الأمر وأرسلوا أحد سفهائهم لخدمته ،فلم يزل يتحيل الى أن خدم فى اصطبل دوابه سائسا لبغاله ،وقام فى خدمته الى أن وجد الفرصة سانحة فوثب عليه وهو غافل يتفقد دوابه فقتله وقبض على الباطنى وقتل بعده مباشرة ،وكان هذا الوزير موصوفا بجميل الأفعال وحميدها ،ومتانة الدين ،وحسن اليقين ،والانصاف فى أعماله والتسديد فى أقواله ،فرزقه الله الشهادة على حسن نيته (٢) .

وفى عام ٥٢٣هـ وثب الاسماعيلية الباطنية على الفقيه عبداللطيف بن الخجندى رئيس الشافعية بأصبهان فقتلوه ،وكان ذا رئاسة عظيمة ،وتحكم كثير،يسمع له الناس ويطيعون (٣) .

---

(١) ابن العديم : بغية الطلب ص ٢١٣، ٢١٤، النويرى : نهاية الارب ٢٦/٢٧ ، ابن الأثير : الكامل ٦٣٣/١٠، ٦٣٤، ابو شامة : الروضتين ٣٠/١، ابن الجوزى : المنتظم ٢٥٤/٩، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٢ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٢٤، ابن الأثير : الكامل ٦٤٧/١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٣٢/٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٦٥٩/١٠، ٦٦٠ .

وفى عام ٥٢٤هـ ملك السلطان السلجوقى سنجر مدينة سمرقند،وجعل رجلا اسمه نصرخان بن آرسلان خان محمد نائبا له فيها،وكان بسمرقند رجل علوى باطنى ،فقيه ،مدرس،اليه الحل والعقد والحكم فى البلد،فاتفق هذا الباطنى مع رئيس الشرطة فى البلد على قتل نصر خان ،فقتلاه ليلا ،وكان والد نصر غائبا عن البلد ،فلما سمع بمقتل ابنه عظم عليه الأمر،فأرسل الى ابنه الثانى الذى فى بلاد التركستان فحضر ،ثم توجها الى سمرقند فلما قاربا على المدينة خرج العلوى ورئيس الشرطة لاستقباله ،فهجم على العلوى وقتله فى الحال ،وقبض على رئيس الشرطة (١) ٠

ومن القادة المسلمين الذين كان لهم جهد مشكور فى محاربة الصليبيين والفتك بالباطنية تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق فبعد استفحال آمر الباطنية فى دمشق ،وطال آذاهم كل فرد اما بالسب أو السلب أو القتل ومراسلتهم للصليبيين ،قرر تاج الملوك بورى الفتك بهم وتطهير البلد منهم ،فبدآ آولابوزيره المزدقانى الذى وافقهم على ذلك وساعدهم فى بث حبائل شرهم فقتله،ثم نادى فى البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ستة آلاف نفس (٢) ٠ ولما علم الباطنية فى آلموت بما جرى لأصحابهم فى دمشق آسفوا عليهم،وحزنوا على مانزل بهم ،فقرروا الانتقام لهم ،فندبوا لتاج الملوك من يغتاله من فدائيتهم ،فآرسلوا اثنين منهم الى دمشق ،واستطاعا بالحيلة والخداع آن يصبحا من المرتبين لحفظ ركاب تاج الملوك ،ولما تمكنا منه ،وآتيحت لهما الفرصة وثبا عليه عند باب داره بعد عودته من الحمام وتفرق آصحابه عنه ،فضربه آحدهما بالسيف طالبا رآسه ،فجرحه فى رقبته جرحا لم يتمكن منه ،وضربه الآخر بسكين فى

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦٦١/١٠ ٠

(٢) اليافعى : مرآة الجنان ٢٢٩/٣ ٠

خاصرته ورمى تاج الملوك بنفسه فى الحال من على فرسه سليما ،وحضر أصحابه على الفور وقبضوا على الباطنيين وقطعوهما بالسيوف ،وعولجت جراح تاج الملوك ،فبرأ الجرح الذى عند الرأس ،وتنسر الذى فى الخاصرة وعاش سنة بعد الحادث حيث توفى فى عام ٥٢٦هـ متأثرا بآلام الجرح الذى فى خاصرته (١) .

وفى عام ٥٢٧هـ اغتال الباطنية آقسنقر الأحمديلى صاحب مراغة دون أى ذنب اقترفه (٢) .

ولم يقف اجرام الباطنية عند حد اغتيال القادة والوزراء والعلماء بل طمعت نفوسهم بأكبر من ذلك ،ففى هذه المرة طالت أيديهم الغادرة الخليفة العباسى المسترشد بالله ثم ابنه الراشد . ففى عام ٥٢٩هـ ظهر لأمير المؤمنين الخليفة المسترشد بالله أمورا لم يستحسنها من السلطان مسعود بن ملكشاه ابن أخى السلطان سنجر،حيث أن الخليفة آقره فى السلطنة وأمر بالدعاء له على المنابر،فاستعطفه ثم ناصحه فلم ينفع ذلك معه ،فتجهز الخليفة لردعه ،وصده عن ذلك وزحف بجيشه ،ودارت بين الطرفين معركة انهزم فيها جيش الخليفة المسترشد ،ووقع الخليفة نفسه فى الأسر ،فأنزله السلطان مسعود فى خيمة ،ووكل به من يحفظه ،وقام بما يجب له من الخدمة ،وكانت خيمة الخليفة منفردة عن خيام العسكر،فدخل عليه فى خيمته بضعة عشر نفر من الباطنية فقتلوه ،وجرحوه مايزيد على عشرين

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ،مخطوط ٢/ورقة ١٦٢ب ، ابن واصل : التاريخ الصالحى ،مخطوط ورقة ١٨٢آ ، ابو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٥/٣ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٦٥،٣٦٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦٨٦/١٠ .

جرحا،ومثلوا به ،فجدعوا أنفه وأذنيه وتركوه عريانا،وقتلوا معه نفر من أصحابه،ثم قبض على أولئك الباطنية فقتلوا ثم أحرقوا جميعا (١) .....

وكان رحمه الله كما يقول ابن القلانسى : عالما تقيا فاضلا ،حسن الخط بليغا نافذا فى أكثر العلوم ،عارفا بالفتوى واختلاف الفقهاء فيها (٢) .

أما الخليفة الراشد بن المسترشد فلقد اغتالوه فى أصبهان فى السابع والعشرين من شهر رمضان عام ٥٣٢هـ ودفن هناك بأصبهان (٣) .

وفى عام ٥٢٩هـ قتلت الباطنية صاحب دمشق شمس الملوك اسماعيل بن بورى بن طغتكين وكان شجاعا مقداما أسعر بلاد الفرنج بالغارة (٤) . وقال عنه ابن العماد واليافعى : كان موصوفا بالشجاعة كثير الاغارة على الفرنج ،أخذ منهم عدة حصون (٥) .

واغتال الباطنية فى عام ٥٣٤هـ المقرب جوهر ،أحد خدم السلطان سنجر السلجوقى ،وكان قد حكم فى دولة السلطان سنجر جميعها،وكان من جملة مماليكه عباس صاحب الرى التى هى من اقطاعه . اعترض جوهر جماعة من الباطنية كانوا يلبسون زى النساء،وكن يستغثن به ،فوقف جوهر يسمع كلامهم

---

(١) ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ،مخطوط ،ورقة ٤٦٣آ،ابن واصل : التاريخ الصالحى،مخطوط ورقة ١٨٤ب ،ابن كثير : البداية والنهاية ٢٠٨/١٢،ابن الأثير : الكامل ٢٧/١١ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٩٧ .

(٣) ابن واصل : التاريخ الصالحى ،مخطوط ورقة ١٨٥ب ،أبو شامة :الروضتين ٣١/١ ،ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٤١٩،ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ٥٥،الذهبى : دول الاسلام ٥٣/٢ .

(٤) الذهبى : دول الاسلام ٥٠/٢،ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى مخطوط ،ورقة ٤٦٣آ .

(٥) ابن العماد : شذرات الذهب ٩٠/٤،اليافعى : مرآة الجنان ٢٥٥/٣ .

فوثبوا عليه وقتلوه ،فلما قتل جمع صاحبه عباس العساكر وقصد الباطنية فقتل منهم وأكثر،وفعل بهم مالم يفعله غيره ،ولم يزل يغزوهم ويقتل فيهم ويخرب بلادهم الى أن مات (١) .

وفى شهر رمضان من عام ٥٣٨هـ وردت الأخبار بقتل السلطان داود بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ،بيد نفر ندبوا لقتله ،فاغتالوه وقتلوه ،ولم يعرف لهم أصل ولاجهة ،ولاعلم مستقرهم (٢) .

ومرة أخرى امتدت أيدى الباطنية محاولة النيل من قائد عظيم من قادة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين والباطنية ،هذا القائد البطل هو صلاح الدين الأيوبى هازم الصليبيين فى موقعة حطين الشهيرة ،والذى عمل جاهدا على توحيد الجبهة الاسلامية فى مصر والشام ليقف على أرض ثابتة فى جهاده ضد الغزاة المعتدين ،فكان جزاء هذا القائد المسلم محاولتين آثمتين من قبل الباطنية لاغتياله ، المحاولة الأولى كانت فى عام ٥٧٠هـ حين أراد أن يوحد بلاد الشام تحت قيادة واحدة ،ويقضى على الزعامات الصغيرة المنتشرة فى كل مكان ،حتى يتسنى له مواجهة الصليبيين بجبهة اسلامية واحدة موحدة ،فلما كان محاصرا لحلب لأخذها من حاكمها الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين لضمها الى مشروع الوحدة ،أرسل سنان رئيس الباطنية فى الشام مجموعة من الفدائيين الباطنية الى صلاح الدين ليغتالوه ،فرآهم أمير اسمه خمارتكين كان عند صلاح الدين فعرفهم بسبب

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ،مخطوط ١٣/ورقة ٢٦٠ب ،ابن الأثير : الكامل ٧٦/١١ ،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٦٦/٥ ،أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ١٥/٣ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٤٣٣ ،يقول برنارند لويس أنه قتل من قبل أربعة من الحشيشية الباطنية بالشام . انظر برنارند لويس : الحشيشية ص ٨٣ .

مجاورته لهم ،فقال لهم : ما الذى جاء بكم الى هنا ،وماذا تريدون ؟فهجموا عليه وجرحوه جراحات مثخنة ،ثم حمل واحد منهم على صلاح الدين ليقتله فقتل دونه ،وقاتل الباقون من الباطنية أصحاب صلاح الدين ،وحاولوا الوصول اليه لكنهم فشلوا فقتلوا جماعة منهم ثم قتلوا (١) ٠

أما المحاولة الثانية لاغتياله ،فكانت عندما كان محاصرا لقلعة اعزاز ،فكان على عادته يشاهد كل ليلة آلات القتال ،ويحرض الرجال على الحرب ،فحضر فى احدى الليالى الى خيمة أحد أمرائه والباطنية فى زى الأجناد وقوف بين يديه ،فقفز واحد منهم على السلطان صلاح الدين فضربه بسكين فى رأسه وجرحه ،ولولا أن السلطان كان لابسا المغفر تحت القلنسوة لقتله ،فأمسك السلطان يد الباطنى بيده ليمنعه من الضرب ،لكنه لم يقدر على منعه بالكلية ،وبقى يضرب ضربا ضعيفا ،فأدرك السلطان أحد مماليكه فأمسك السكين من الباطنى بيده ،فجرحه الباطنى ،ولم يطلق المملوك السكين من يده الى أن قتل الباطنى ،ثم هجم باطنى ثان على السلطان فتصدى له الجنود وقتلوه ،ثم هجم باطنى ثالث فقتلوه أيضا وخرج باطنى رابع من الخيمة منهزما فأدركته العساكر وقتلوه (٢) ٠

وفى عام ٥٧٣هـ قتل الباطنية أحد أعيان مدينة حلب وهو أبو صالح ابن العجمى ،وكان هذا الرجل مقدما عند نور الدين محمود ،فلما مات

---

(١) ابن واصل : التاريخ الصالحى ،مخطوط ورقة ١٩٨ ب ،ابن الأثير :الكامل ٤١٩/١١ ،أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٥٧/٣ ،ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ٣٠٠/٥ ٠

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ٤٤/٢ - ٤٥ ،ابن واصل : التاريخ الصالحى مخطوط ورقة ١٩٩أ ،سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ،مخطوط ١٤٠/ورقة ١٢٢ب ، الذهبى : دول الاسلام ٨٥/٢ ٠

نور الدين تقدم أيضا فى دولة ولده الملك الصالح ،وصار بمنزلة الوزير الكبير المتمكن لكثرة أتباعه ،فبينما هو فى الجامع الكبير فى حلب يؤدى صلاة الجمعة ،وثب عليه بعض الأفرادمن الباطنية وقتلوه ومضى شهيدا الى ربه (١) .

ومن الوزراء الذين اغتيلوا بيد الباطنية ،الوزير عضد الدولة أبو الفرج محمد بن عبدالله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وزير الخليفة ،كان رحمه الله قد عزم على الحج ،فخرج الناس فى خدمته ليودعوه ،فتقدم اليه ثلاثة من الباطنية فى صورة فقراء ومعهم قصص يشكون للوزير،فتقدم أحدهم ليناوله قصة فهجم عليه وضربه بسكين ضربات مركزة ،ثم هجم عليه الثانى ثم الثالث حتى قطعوه ،وجرحوا جماعة ممن حول الوزير ،ثم قبض على الباطنية الثلاثة وقتلوا على الفور (٢) .

ومن السلاطين الذين قتلتهم الباطنية سلطان خلاط (٣) بكتمر، الذى تولى السلطنة فى خلاط بعد وفاة صاحبها شاه آرمن،فضبط الأمور،وأحسن الى الرعية ،وعدل فيهم ،وكان يصاحب العلماء ،حسن السيرة متصدقا ،جاءه فى احد الأيام أربعة من الباطنية يلبسون زى الصوفية ،فتقدم اليه واحد منهم وبيده قصة ،فأخذها السلطان منه ليقرأها ،فوثب عليه بسكين فشق جوفه على الفور،فمات من ساعته ،وقبض على الباطنية الأربعة فقرروا

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ،مخطوط ٣/ورقة ١٤٦أ ،ابن الاثير الكامل ٤٤٥/١١ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٩٨/١٢ ،ابن الأثير : الكامل ٤٤٦/١١ ،٤٤٧ ،أبو شامة : الروضتين ٢٧٨/١ ،الذهبى : دول الاسلام ٨٦/٢ .

(٣) خلاط : مدينة كبيرة مشهورة ،وهى قصبة أرمينيا الوسطى ،ولها سور حصين . ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣٨٠/٢ ،القزوينى : آثار البلاد ص ٥٢٤ .

فأقروا بأنهم اسماعيلية باطنية فقتلوا وأحرقوا[(١)] .

ومن الوزراء المسلمين الذين اغتالتهم الباطنية نظام الملك مسعود ابن على وزير خوارزم شاه تكش، وثب عليه بعض رجال الملاحدة الاسماعيلية فقتلوه، وكان رحمه الله صالحا كثير الخير حسن السيرة[(٢)] .

كما انهم اغتالوا القائد المسلم شهاب الدين الغورى ملك غزنة وبعض بلاد خراسان، الذى فتح كثيرا من بلاد الهند ونشر الاسلام فيها، كما انه كان يتعقب الباطنية ويحاول أن يقلص من نفوذهم، وكان له جيش يحاصر بعض قلاعهم باستمرار، وبعد عودته من بلاد الهند خاف الباطنية من خروجه الى خرسان لمحاربتهم، فأرسلوا اليه بعض رعاعهم، وتربصوا به حتى تمكنوا من قتله فى أول شعبان سنة ٦٠٢هـ[(٣)] .

وفى عام ٦٠٨هـ أظهرت الباطنية الاسلام فى بعض قلاعها، وأقامت الحدود على كل من يتعاطى الحرام، وبنوا الجوامع والمساجد، وكتب زعيمهم جلال الدين الى الخليفة العباسى يخبره بذلك، وقدمت الى بغداد جماعة منهم يريدون الحج الى مكة، فأكرموا لأجل ذلك، ولما كانوا بمنى وثب واحد من هؤلاء الباطنية على قريب لأمير مكة قتادة الحسينى، فقتله ظانا أنه قتادة، فثارت فتنة بين أهل مكة وحجاج العراق، ونهب الحجاج وقتل منهم خلق كثير[(٤)] . فهذا هو أسلوب الباطنية على مدى العصور والأيام

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان، مخطوط ١٤/ورقة ١٩٤أ ـ ب، ابن واصل : التاريخ الصالحى، مخطوط، ورقة ٢٠٩ب، الذهبى : دول الاسلام ١٠٠/٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٥٨/١٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٢١٣/١٢، الذهبى : دول الاسلام ١٠٩/٢ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ٦٢/١٣، ابن الأثير : الكامل ٢٩٧/١٢ .

أسلوب قائم على الخداع والحيلة والتربص بالمسلمين ،ومحاولة النيل منهم بشتى الطرق والوسائل حتى وهم يؤدون عباداتهم فى المساجد أو الأماكن المقدسة ،فلا تمنعهم من ذلك حرمة الله ولاحرمة الناس ولاحرمة المكان ،قاتلهم الله أنى يؤفكون .

وفى عام ٦١٤هـ اغتال الباطنية آغلمش صاحب بلاد الجبل ،وكان آغلمش لما ملك بلاد الجبل خطب لخوارزم شاه فيها ،فلما اغتيل سار خوارزم شاه الى بلاد الجبل وبسط سيطرته عليها لئلا تخرج عن طاعته ،ويعبث بها الباطنية (١) .

وكذلك طالت أيدى الباطنية آميرا كبيرا من نواب الدولة الخوارزمية وقتلته ،ففى عام ٦٢٤هـ اغتال الباطنية آميرا من آمراء جلال الدين بن خوارزم شاه ،وكان جلال الدين قد آقطع هذا الأمير مدينة كنجة (٢) وآعمالها وكان نعم الأمير ،كثير الخير ،حسن السيرة ،ينكر على جلال الدين مايفعله عسكره من النهب وغيره ،فلما علم جلال الدين بمقتل هذا الأمير العظيم غضب غضبا شديدا ،فجمع عساكره وسار بهم الى بلاد الاسماعيلية الباطنية من حدود آلموت الى كردكوه بخرسان ،فخربها وقتل آهلها ،ونهب الأموال وسبى الحريم ،واسترق الأولاد ،وقتل الرجال ،وانتقم منهم شر انتقام وكانوا قد عظم شرهم وازداد ضرهم ،وتربصوا بالمسلمين الدوائر ،لكن جلال الدين كف عاديتهم وقمعهم ،ولقاهم الله ماعملوا بالمسلمين (٣) .

هذا ماأسعفتنا به المصادر والمراجع المتوفرة بين آيدينا عن

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣١٦/١٢ .

(٢) كنجه : مدينة عظيمة وهى قصبة بلاد آران ،وكنجه آيضا من نواحى لرستان بين خوزستان وآصبهان . انظر ياقوت : معجم البلدان ٤٨٢/٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٤٧٠/١٢ ،ابن كثير : البداية والنهاية ١١٧/١٣ ، برنارندلويس : الحشيشية ص ٩٩ — ١٠٠ .

أسماء القادة والخلفاء والوزراء والسلاطين والعلماء الذين اغتالتهم أيدى الباطنية ،ولكن ماخفى هو أكبر وأعظم ،فهناك عشرات الشخصيات والأسماء ممن اغتالتهم الباطنية ذكرت فى المصادر الاسماعيلية النزارية ولكن للأسف مازال غالب هذه المصادر مفقودا ،ولم يعرف بالتحديد اجمالى الأعداد التى اغتالتها الباطنية من القادة والعلماء وعامة الناس لكن هناك اشارة من المؤرخ الانجليزى برنارندلويس يقول فيها : " وفى ملف للحشيشية الوارد لدى مؤرخى آلموت هناك سجل بحوالى خمسين اغتيالا وقعت خلال حكم الحسن بن الصباح فقط "[(١)] .

وقائمة الاغتيالات التى تمت فى بلاد فارس خلال حكم بيزرك أميد خليفة الحسن بن الصباح فى آلموت هى بالمقارنة قصيرة مع فترة حكم الحسن بن الصباح ،فكان عدد الاغتيالات فى عهد بيزرك أميد أربعة عشر اغتيالا ،وكان أبرز الضحايا فيها السلطان السلجوقى داود الذى قتل فى تبريز من قبل أربعة حشيشية من الباطنية ،وأمير فى بلاد السلطان سنجر وواحد من زملائه ،وأمير فى بيت خوارزم شاه ،وحكام محليون فى جورجيا[(٢)] ومزندان[(٣)] ،وكذلك قضاة قوهستان وتفليس[(٤)] وهمذان الذين حرضوا على قتال الباطنية[(٥)] .

---

(١) برناندلويس : الحشيشية ص ٦٦ .

(٢) جورجيا : فارسية سماها العرب بلاد الكرج وهى كرجستان ،وهى مدينة بين همذان وأصبهان فى نصف الطريق وهى الى همذان أقرب .

(٣) مزندان : اسم لولاية طبرستان فى بلاد فارس . ياقوت : معجم البلدان ٤١/٥ .

(٤) تفليس : بلد بأرمينية ،والبعض يقول بأنها فى آران قرب باب الأبواب . ياقوت : معجم البلدان ٣٥/٢ .

(٥) برنارندلويس : الحشيشية ص ٨٢ - ٨٣ .

المبحث الثالث

افساد المجتمع الاسلامى من الداخل

لم يقتصر دور الباطنية على اغتيال القادة المسلمين بل عملوا على نشر فسادهم ورعبهم وفتكهم الى كافة طبقات المجتمع الاسلامى ،فأخذوا ينشرون الرعب بين الناس بقطع الطريق والاعتداء على سكان القرى المجاورة لهم ،فيذبحونهم ويستولون على مالديهم من مال ومتاع ،ويأسرون أولادهم ،الى جانب ذلك لم تسلم القوافل المارة بجوار قلاعهم وحصونهم من النهب والقتل ،فأصبح الناس لايأمنون على أنفسهم ولاعلى أولادهم ولاعلى أموالهم ،ففى المحرم من عام ٥٥٦هـ جاء الى نيسابور جماعة من تركمان بلاد فارس التجار،ومعهم أغنام كثيرة للتجارة ،فباعوا مالديهم من أغنام فى أسواق نيسابور،وأخذوا ثمنها،وعادوا الى بلادهم وفى الطريق أدركهم الليل فنزلوا فى مكان يبعد عن طابس كنكلى (١) مرحلتين وناموا فيه ،وفى الليل نزل اليهم الباطنية وباغتوهم وهم نائمون فوضعوا السيف فيهم فقتلوا أكثرهم ولم يسلم منهم الا الشريد،وأخذ الباطنية جميع مامعهم من مال ومتاع وعادوا الى قلاعهم (٢) ٠

وفى احدى الليالى أيضا مرت قافلة عظيمة من كرمان (٣) الى قاين

---

(١) طابس كنكلى : مدينة حسنة عامرة لاسور عليها وحولها كثير من القرى ملكها الاسماعيلية فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى وفى سنة ٤٩٤هـ حاصرها الجيش الذى بعثه السلطان سنجر السلجوقى لمقاتلة الحشيشية وخرب بعض أبنيتها ٠ انظركى ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٠٠ ٠

(٢) ابن الأثير : الكامل ٢٨٠/١١ ٠

(٣) كرمان : ولاية مشهورة ،وناحية معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة وهى بين فارس ومكران وسجستان وخراسان ٠ انظر البغدادى : مراصد الاطلاع ١١٦٠/٣ ٠

وكان الباطنية قد استولوا على قاين ،وأصبحت من مناطق نفوذهم ،فنزل الباطنية مع زعيمهم من بلد قاين ،فاعترضوا طريق القافلة واعتدوا عليها ،فقتلوا جميع أفراد القافلة ،واستولوا على مافيها من مال ومتاع ولم ينج منهم الارجلواحد وصل الى كرمان ،فأخبر بما حدث للقافلة ،فهب أهل كرمان بقيادة القاضى الكرمانى لنجدة القافلة وجهاد الباطنية ولكنهم لم يقدروا عليهم لشدة بأس الباطنية (١) ، فرجعوا الى بلدهم والحزن والأسى والخوف قد بلغ منهم كل مبلغ •

بعد هذه الحوادث المتكررة من قبل الباطنية بقطع الطريق ،وأخذ القوافل ،وقتل الناس ،عظم أمرهم ، واشتدت شوكتهم ،وقوية أطماعهم وأهم الناس شأنهم ،فعم المجتمع الاسلامى الخوف والرعب وعدم الأمان ،حتى أصبح الناس اذا جاء الليل أخفوا جميع مالديهم من مال ومتاع فى أماكن مجهولة غير معروفة خوفا من هجمات الباطنية وأخذهم اياها ،ويصور لنا ابن طباطبا فى كتابه الفخرى صورة حية عن هذا ،وماكان يفعله الناس اذا جاء الليل فيقول : "حدثنى الملك امام الدين يحيى بن الافتخارى قال : أذكرونحن بقزوين ،اذا جاء الليل جعلنا جميع مالنا من أثاث وقماش ورحل فى سراديب لنا فى دورنا ،غامضة خفية ،ولانترك على وجه الأرض شيئا خوفا من كبسات الملاحدة (الباطنية) فاذا أصبحنا أخرجنا أقمشتنا ،فاذا جاء الليل فعلنا كذلك ،ولأجل ذلك كثر حمل القزاونة (يعنى أهل قزوين) للسكاكين وكثر حملهم للسلاح" (٢) • وكان قاضى قضاة قزوين يلبس تحت ثيابه فى كل وقت درعا باستمرار خوفا من أن تطوله يد الباطنية فتغتاله (٣) •

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣١٤/١٠ •

(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٣١ •

(٣) برنارندلويس : الحشيشية ص ١٠٦ •

هذه هي حالة المجتمع الاسلامي وواقعه عند تفشي خطر الباطنية فيه ولم يقف الباطنية عند هذا الحد،بل استمروا في عمليات السلب والنهب وقتل الآمنين من النساء والشيوخ والأطفال ،ففي احدى الليالي داهم الباطنية بنواحي قوهستان جماعة من التركمان ،وحاصروا خيامهم وكان الرجال غائبين ،فنهبوا الأموال ،وأخذوا النساء والأطفال ،وأحرقوا كل مالم يقدروا على حمله (١) .

ولم يقف هؤلاء الملاعين عند حد قطع الطريق وقتل الآمنين من الناس وأخذ القوافل ،بل أخذوا يبتكرون وسائل مختلفة للفتك بالناس ونشر الرعب بينهم ،فلقد بلغ من جرأة هؤلاء المفسدين أنهم كانوا يخطفون الناس من الشوارع والحارات بأغرب الطرق ،وكان الرجل يتبع خاطفه من سكون والخوف ملجمه ،والويل له ان أبدى مقاومة أو تحرك لسانه طلبا للنجدة ،فاذا فعل ذلك استقر خنجر خاطفه في قلبه ،فكان الانسان اذا تأخر عن بيته عن الوقت المعتاد لرجوعه ،تيقن أهله بأن الباطنية قتلوه فيقعدوا للعزاء به ،ويسودهم الحزن والأسى حتى يرجع ،فأصبح الناس لايمشون في الشوارع منفردين وكانوا على غاية من الحذر . ويصور لنا المؤرخ ابن الأثير صورة لما فعله الباطنية بمؤذن خطفوه فيقول : "وأخذوا (يعني الباطنية) في بعض الأيام مؤذنا ،آخذه جار له باطني فقام أهله للنياحة عليه ،فأصعده الباطنية الى سطح داره ،وأروه أهله كيف يلطمون ويبكون وهو لايقدر أن يتكلم خوفا منهم" (٢) .

ومن أساليبهم الأخرى التي استخدموها للفتك بأفراد المجتمع الاسلامي ونشر الرعب بينهم ،أنهم كانوا يخطفون الناس بحيل مختلفة

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٢٣٨/١١،الذهبي : دول الاسلام ٦٩/٢ – ٧٠ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ٣١٤/١٠ .

ويحملونهم الى منازل ودور غير معروفة ،حيث يسجنونهم أو يقتلونهم ،فكان اذا مر بهم انسان أخذوه الى احدى تلك الدور،وهناك يعذبونه ثم يقتلونه ويرمونه فى بئر فى تلك الدار أعدت لذلك الغرض . وكانت طريقتهم فى خطف الناس ،أنه كان يجلس على أول الدرب المؤدية الى احدى هذه الدور رجل ضرير من الباطنية ،فاذا مر به انسان سأله أن يقوده خطوات فى هذا الدرب ،فتأخذه الرأفة والاحسان لعمل الخيل فيقوده فى هذا الدرب حتى اذا وصل الى دار من دورهم قبضوا عليه وقتلوه ورموه فى البئر (١) .

ولكن لم يلبث ان اكتشف الناس حيلة الباطنية هذه ،ففتكوا بهم وقتلوهم ،ففى أحد الأيام صادف أن رجلا دخل دار صديق له فرأى فيها ثيابا وأحذية وملابس لم يعهدها ،فخرج من عنده وتحدث للناس بما رآه ،فداهم الناس البيت وكشفوا عن الملابس والثياب فعرفوا أنها من المقتولين فثار الناس وأخذوا يبحثون عمن قتل منهم ،وتجردوا للانتقام من الباطنية بقيادة العالم أبى القاسم مسعود بن محمد الخجندى الفقيه الشافعى فجمع الناس بالأسلحة ،وأمر بحفر الأخاديد ،وأوقد فيها النيران ،وأمر العامة من الناس بأن يأتوا بالباطنية أفواجا ومنفردين،فيلقونهم فى النار حتى قتلوا منهم خلقا كثيرا (٢) .

ومن الوسائل التى استخدمها الباطنية لتبيين حقدهم على المسلمين من أهل السنة ،قولهم للشعر،ففى عام ٥٧٤هـ قبض ببغداد على شاعر باطنى كان ينشد أشعارا فى ثلب الصحابة وسبهم ،وتهجين من يحبهم ،فعقد له مجلس واستنطق فأقر بأنه باطنى رافض ،فأفتى الفقهاء بقطع لسانه ويديه ففعل به ذلك وطهر المجتمع منه (٣) .

---

(١) نفس المصدر السابق ٣١٥/١٠،عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص٩٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣١٤/١٠ - ٣١٥ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ٣٠٠/١٢، الذهبى : دول الاسلام ٨٧/٢ .

ولم يسلم الحجاج الآمنين من بطش الباطنية، ففى عام ٤٩٨هـ، تجمعت قوافل الحجاج مما وراء النهر وخراسان والهند وغيرها من البلاد، فوصلوا الى خوار الرى[(١)]، فباغتتهم الباطنية وقت السحر، فوضعوا فيهم السيف وقتلوهم كيف شاءوا، وغنموا أموالهم ودوابهم، ولم يتركوا شيئا الا أخذوه[(٢)] .

وفى عام ٥٢٢هـ وبينما كان حجاج خراسان سائرون فى طريقهم الى الأماكن المقدسة، طلع عليهم الاسماعيلية الباطنية، فقاتلهم الحجاج قتالا شديدا، وصبروا صبرا عظيما، حتى قتل أميرهم فانخذلوا، واستسلموا وطلبوا الأمان، وألقوا أسلحتهم مستأمنين، فأخذهم الاسماعيلية وقتلوهم، ولم يبقوا منهم الا عددا يسيرا، وقتل فيهم من الأئمة والعلماء والزهاد والصلحاء جمع كثير، وفى الصباح طلع على القتلى والجرحى شيخ من الباطنية ينادى : يامسلمين ذهبت الملاحدة، ومن أراد الماء سقيته فكان كل من يرفع رأسه أو يتكلم بكلمة أجهز عليه ذلك الشيخ وقتله حتى لم يبق منهم أحدا[(٣)] .

وفى عام ٦٠٨هـ عندما أظهر الباطنية فى بعض قلاعهم الاسلام، وذهب منهم جماعة للحج، وثب أحد هؤلاء الباطنية على أحد أقارب الأمير قتادة صاحب مكة فقتله ظنا منه أنه قتادة، فثارت الفتنة بين الحجاج وكثر السلب والنهب فيهم[(٤)] .

---

(١) خوار الرى : قرية من أعمال بيهق من نواحى نيسابور . انظر ياقوت : معجم البلدان ٣٩٤/٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٩٢/١٠ - ٣٩٣ .

(٣) الذهبى : دول الاسلام ٦٨/٢، الذهبى : العبر ١٦/٣، ابن الأثير : الكامل ٢٢٥/١١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٢٩٧/١٢ .

ونتيجة لهذا الوضع الذى خلفته الباطنية فى المجتمع الاسلامى أصبح الناس غير آمنين ولايثقون فى بعضهم البعض ،وصار كل من فى نفسه ضغينة على صاحبه ادعى عليه مذهب الباطنية ،فيؤخذ على الفور ويقتل (١) وهكذا حار الناس فى المجتمع الاسلامى وكأنهم غرباء على بعضهم البعض لاأحد يكلم الثانى ولايستطيع أن يتفوه عليه بكلمة واحدة ،فقطعت الأرحام وتفككت الروابط وزادت الفرقة بين الناس .

من هذا يتبين لنا كيف عملت الباطنية على افساد العلاقات الاجتماعية بين الناس فى المجتمع الاسلامى ،فأصبحت الثقة بين الأفراد معدومة ،ويتضح لنا كذلك مدى انتشار وتغلغل الباطنية فى المجتمع الاسلامى ووجودهم فى كل مكان ،وعن مدى سطوتهم والفتك بكل معارض لهم أو ناقد لفكرهم ،فأصبح العلماء والكتاب لايتحدثون عنهم الا بالتلميح والتورية حتى لاتنالهم أيدى الباطنية ،وخير شاهد على ذلك ماذكره مؤرخ الدولة السلجوقية العماد الأصفهانى فى كتابه تاريخ دولة آل سلجوق عند حديثه عن الاسماعيلية ،فهو لم يتحدث عنهم بصراحة ولم يذكر اسمهم ،بل تحدث عنهم بالتلميح والتورية والاشارة ،واليك ماقاله العماد الأصفهانى عن الاسماعيلية فى كتابه تاريخ دولة آل سلجوق :
"قال : فنابت النوائب ،وظهرت العجائب ،وفارق الجمهور من بيننا جماعة نشأوا على طباعنا ،وكالوا بصاعنا ،وساح فى العالم ،وكانت صناعته الكتابة ،فخفى أمره حتى ظهر وقام ،فأقام من الفتنة كل قيامة ،واستولى (٢) فى مدة قريبة على حصون وقلاع منيعة ،وبدأ من القتل والفتك بأمور شنيعة

---

(١) ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ،مخطوط ،ورقة ٤٤٨ب ،سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ،مخطوط ١٣/ورقة ١٣٣أ .

(٢) هذا الرجل الذى يقصده العماد الكاتب هو الحسن بن الصباح زعيم الباطنية النزارية .

وخفيت عن الناس أحوالهم ،ودامت حتى استتبت على استتار،بسبب ان لم يكن للدولة أصحاب أخبار،وكان الرسم في أيام الديلم ومن قبلهم من الملوك ،أنهم لم يخلوا جانبا من صاحب خبر وبريد ،فلم يخف عندهم أخبار الأدانى والأقاصى ،وحال الطائع والعاصى . (وهنا يضطرب الكلام ولايستقيم المعنى ،والخلاصة أن نظام الملك وزير السلطان السلجوقى آلب آرسلان اقترح على السلطان بث العيون حتى لاتؤخذ الدولة من أى عدو داخلى على حين غرة) ،فأجابه أنه لاحاجة بنا الى صاحب خبر،فان الدنيا لاتخلو كل بلد فيها من أصدقاء لنا وأعداء . فاذا نقل الينا صاحب خبر،وكان له غرض ،أخرج الصديق فى صورة العدو،والعدو فى صورة الصديق . فأسقط السلطان هذا الرسم لأجل ماوقع له من الوهم ،فلم يشعر الا بظهور القوم وقد استحكمت قواعدهم ،واستوثقت معاقدهم ،وخافوا السبل ،وأجالوا على الأكابر الأجل ،وكان الواحد منهم يهجم على كبير ،وهو يعلم أنه يقتل فيقتله غيلة ،ولم يجد أحد من الملوك فى حفظ نفسه منهم حيلة . فصار الناس فيهم فريقين ،فمنهم من جاهرهم بالعداوة والمقارعة ،ومنهم من عاهدهم على المسالمة والموادعة ،فمن عاداهم خاف من فتكهم ،ومن سالمهم نسب الى شركهم فى شركهم .

وكان الناس منهم على خطر عظيم من الجبهتين . فأول مابدأوا بقتل نظام الملك ،ثم اتسع الخرق وتفاقم الفتق . ولما كانوا قد تجمعوا من كل صنف ،تطرقت الى جميع أصناف الناس التهم ،ودب الى البرىء السقم وتوفرت على التوقى الهمم ،وتعين على السلطان أن يكاشفهم مدافعا

---

(١) أى السياسة المتبعة .

(٢) أى لم يضع السلطان عيونا للدولة خوفا من هذا السبب .

(٣) أى أن جماعة الباطنية كانوا من مختلف الأجناس والأقوام ،بحيث أصبح كل شخص يشك فى أن يكون رفيقه منهم .

لئلا ينسبه العوام وأهل الدين الى الالحاد وفساد الاعتقاد . كما جرى لملك كرمان فان الرعية اتهموه بالميل الى القوم فبطشوا به وقتلوه وأقاموا ملكا آخر مقامه، وماكان سلطان يلى يثق بخواصه (١) وسعى ذوو الأغراض فى ذوى اختصاصه . ولما عرفوا جد السلطان فى ابادة القوم سعى بعض الناس ببعض . وأحب وصمه بالالحاد لسابق عداوة وبغض، ووسمه باسم لم يمحه عنه غير السيف، ولم يجد محيدا عن التزام الحيف، وبقى (٢) فى هذه الاصطكاكات والاصطدامات خلق كثير، وجم غفير، ولم يبق للأكابر فى دفع ماعرا رأى ولاتدبير (٣) " .

ان كلام العماد الأصفهانى هذا عن الباطنية يدلنا على ماكان لهم من شأن وخطر فى المجتمع الاسلامى، حتى اضطر مؤرخ معروف، وكاتب مشهور الى التلميح بأمرهم عند الكتابة عنهم فى كتاب كان الهدف منه تسجيل تاريخ الدولة السلجوقية، ونحن نعرف ماكانت عليه هذه الدولة من قوة وغيرة على الاسلام ومحاربة كل القوى الخارجة التى أرادت أن تنال من الاسلام والمسلمين، ولكن على مايبدو أن أمر الباطنية ازداد واستشرى عندما مات أقوى رجلين فى الدولة السلجوقية السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك، ووقوع الخلاف بين أولاد ملكشاه ، ونشوب الحرب بينهم تنازعا حول العرش ... هذا الجو من الخلاف أتاح الفرصة المناسبة للباطنية لبث أفكارهم وتوسيع دائرة نشاطهم، فاستولوا على مزيد من القلاع والحصون وبثوا الفتن والدسائس بين الناس حتى أصبح خطرهم وفسادهم فى المجتمع الاسلامى مارأيناه وقرأناه .

---

(١) أصبح السلطان لايثق بحاشيته، فخاف أن يكون أحدهم من الباطنية لأنهم كانوا من جميع طبقات المجتمع .

(٢) أى مات فى هذه الأحداث .

(٣) الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٦٨ - ٦٩ .

المبحث الرابع

موقف القادة المسلمين من الباطنية

بعد استفحال أمر الباطنية في المجتمع الاسلامي ،وأصبحوا يهددون كل فرد من أفراده ،وباستيلاء زعيم الباطنية الحسن بن الصباح على قلعة آلموت الحصينة عام ٤٨٣هـ ،وانتشار الفدائيين يغتالون الآمنين ،لم يقف الحكام المسلمون مكتوفي الأيدي أمام هذا الخطر الغاشم الذي أخذ يهدد الدولة الاسلامية من داخلها ،فشمروا عن ساعد الجد لاجتثاث هذا الخطر وتطهير المجتمع الاسلامي منه واستخدموا من أجل ذلك وسائل وأساليب مختلفة ،فبعد استيلاء الحسن بن الصباح على قلعة آلموت أرسل اليه السلطان السلجوقي ملكشاه أحد العلماء المسلمين لمناظرته هو وأتباعه لعلهم يرجعون الى جادة الصواب .(١) ولكن يبدو أن هذه المناظرة لم تحقق الهدف الذي كان يرجوه السلطان ملكشاه من محاولة اقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة . ومن ثم لجأ الى العمل المسلح لقمع هؤلاء المفسدين فأرسل في أوائل عام ٤٨٥هـ أحد قواده المعروف باسم الأمير أرسلان تاش على رأس جيش كبير لمحاربة الحسن بن الصباح ،فحاصر قلعة آلموت وضيق عليها الخناق حتى كادت المؤن التي بداخلها أن تنفذ ،فكان المحاصرون يعيشون على مايسد الرمق من قليل القوت ،واستمر الحصار لقلعة آلموت قرابة الأربعة أشهر ،فلما أحس الحسن بن الصباح بالضيق أرسل الى داعيته الباطني في قزوين دهدار بوعلي يطلب منه النجدة ومساعدته في فك الحصار عن القلعة فأرسل الداعي دهدار بوعلي ثلاثمائة رجل ومعهم الأسلحة وآلات الحرب

---

(١) انظر ماسبق ص ١٤ .

فأغاروا ليلا بالاتفاق مع من بداخل القلعة على جيش آرسلان تاش ،فأوقعوا بهم الهزيمة ،وهزم آرسلان تاش ورجع مع من بقى من فلول جيشه الى السلطان ملكشاه (١) .

لم يستسلم السلطان ملكشاه لهذه الهزيمة ،بل عقد العزم على استئصال شأفة الباطنية ،فأعد على الفور حملة عسكرية آخرى بقيادة أحد قواده يقال له "قزل سارغ" وتوجهت الى منطقة قوهستان،وآخذت تحارب الباطنية فى تلك المناطق ،وضربت الحصار على قلعة درة الباطنية (٢) وأثناء عملية الحصار توفى السلطان ملكشاه ،فلما علم القائد قزل سارغ خبر الوفاة فض الحصار المضروب على القلعة ولم يظفر منها بطائل (٣) .

بعد وفاة السلطان ملكشاه ،دب النزاع فى البيت السلجوقى وتنافس أبناء ملكشاه الأربعة على السلطة ،ودارت بينهم حروب ومعارك الى أن استتب الأمر للابن الأكبر بركيارق ،فحاول الباطنية استغلال فرصة الاضطرابات هذه ،فسعوا الى التمكين لأنفسهم عن طريق الاستيلاء على مزيد من القلاع والأماكن الحصينة ،والتسلل الى بلاط السلاطين والاندساس فى جيوشهم ،فكان جيش بركيارق من الجيوش التى تزايد فيها نفوذ الباطنية ،حتى قيل أنهم كانوا يشكلون ربع جيشه ،ويبدو أن بركيارق فضل عدم الاصطدام بالباطنية

---

(١) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ١٩٥ - ١٩٦ ،عمر أبو النصر : قلعة آلموت ص ١٢٨ - ١٢٩ ، أحمد حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢) دره : بلد بين هراه وسجستان ،وهى آخر عمل من أعمال هراة . ياقوت: معجم البلدان ٢/٤٥٣ .

(٣) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ١٩٥ - ١٩٦ ،عمر أبو النصر : قلعة آلموت ص ١٢٨ - ١٢٩ ، أحمد حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ص ١٧٨ - ١٧٩ .

والفتك بهم بسبب انشغاله فى الحروب مع اخوته وأهل بيته بعد وفاة والده ،فاستغل أخوه محمد ذلك ،فكان هو وجنوده عندما يتقابلون مع بركيارق وجنده ،يكبرون عليهم ويقولون ياباطنية (١) ٠

وبعد أن استقر السلطان بركيارق فى السلطة،ورأى أن خطر الباطنية قد ازداد وأصبح يهدده،أشار عليه أعوانه أن يفتك بهم قبل أن يعجز عن تلافى أمرهم ،وأعلموه بما يتهمه الناس به من الميل الى مذهبهم (٢) فهب السلطان على الفور هو وعساكره وأخذ فى حرب الباطنية ،فطهر أولا جيشه منهم ،فقتل كل من ثبت عليه الاتهام بأنه من الباطنية أو حامت حوله الشبهة بأنه منهم،ثم هاجم الباطنية فى كل مكان فأخذوا من خيامهم ومنازلهم وقتلوا فى ميدان عام ،ولم يفلت منهم الا من لم يعرف ،وبلغ عدد القتلى منهم ثلاثمائة ونيفا (٣) ٠ كما أن السلطان أطلق العنان للناس ليقتلونهم أينما ثقفوهم ،فأخذ الناس والعامة يتتبعون الباطنية ويقتلونهم ،حتى أن أحد فقهاء الشافعية واسمه أبو القاسم مسعود ابن محمد الخجندى كان يحفر الأخاديد ويوقد فيها النيران ويحرق الباطنية فيها فرادى وجماعات (٤) ٠

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٢٢/١٠، النويرى : نهاية الأرب ٣٥٤/٢٦، أحمد حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ص ١٨٠ ٠

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٢٢/١٠ ٠

(٣) نفس المصدر السابق ٣٢٢/١٠ – ٣٢٣، النويرى : نهاية الارب ٣٥٥/٢٦ ، ابن الجوزى : المنتظم ١٢١/٩ ٠

(٤) ابن الأثير : الكامل ٣١٥/١٠، ابن كثير : البداية والنهاية ١٥٩/١٢ ٠

لم يقف حد التنكيل بالباطنية وقتلهم على يد أتباع السلطان بركيارق عند هذا الحد،بل ان السلطان نفسه عندما أسر مؤيد الملك بن نظام الملك سبه الانتسابه الى مذهب الباطنية وعيره بذلك ثم قتله بيده (١) •

الى جانب ذلك تتبع أمراء الأقاليم التابعة لبركيارق الباطنية ففتك بهم الأمير جاولى سقاووا،وقتل منهم خلقا كثيرا يقارب الثلاثمائة نفس،وذلك بحيلة دبرها هو وأصحابه من داخل صفوف الباطنية حتى استطاع أن يظفر بهم ويقتلهم (٢) • وفى نفس الوقت أرسل السلطان بركيارق الى الخليفة العباسى فى بغداد يشير عليه بتتبع الباطنية الموجودين هناك فى عاصمة الخلافة،فأمر بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك " ولم يتجاسر أحد أن يشفع فى أحد لئلا يظن ميله الى ذلك المذهب " (٣) وقتل كل من اتهم بأنه من الباطنية منهم •

وتعاون السلطان بركيارق أيضا مع أخيه السلطان سنجر على العمل معا لقتال الباطنية وتطهير المجتمع الاسلامى منهم،فأرسل سنجر حملة كبيرة وحسنة التسليح،وجعل على قيادتها أكبر أمرائه "الأمير بزغش" أرسل هذه الحملة الى مناطق الباطنية فى قوهستان،فضربت الحصار على قلعة طبس الباطنية التى كانت الحصن الرئيسى للباطنية فى هذه المنطقة واستطاعت هذه الحملة أن تدمر معظم سور القلعة بالمنجنيقات وأن تقتل من الباطنية أعدادا كبيرة،وكادت أن تسقط بيدهم لولا خيانة وقعت فى جيش السلطان سنجر من قبل القائد بزغش،حيث تمكن الباطنية من رشوته فرفع الحصار ورحل عن القلعة (٤) •

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٠/٣٠٤ •

(٢) انظر تفاصيل ذلك فى المصدر السابق ص ٣٢٠ •

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ٩/١٢٠ •

(٤) برنارندلويس : الحشيشية ص٦٧،ابن الأثير : الكامل ١٠/٣٢٤ •

ثم تكررت محاولة السلطان سنجر للفتك بالباطنية مرة ثانية ففى عام ٤٩٧هـ خرج قائده الأمير بزغش ومعه الكثير من المتطوعة ،فقصد قلعة طبس مرة أخرى ،فحاصرها وخربها هى وماجاورها من القلاع والقرى وأكثر فى الباطنية القتل ،والنهب ،والسبى ،وفعل بهم الأفعال العظيمة ولكن أصحاب سنجر أشاروا عليه بأن يؤمنوا ويشترط عليهم بأن لايبنوا حصنا ،ولايشتروا سلاحا ،ولايدعون أحدا الى مذهبهم .(١) وأمنوا على هذا الأساس .

لكن هذا الأمان والصلح للباطنية أثار سخط كثير من الناس ،لدرجة أنهم نقموا على السلطان سنجر،وذلك بسبب مانالهم من أذى وقتل على أيدى أفراد هذه الفئة ،ولعلمهم بأنهم لن يحترموا هذا الأمان وهذا الصلح وهذا ماحدث فعلا ،ففى العام التالى ٤٩٨هـ خرج جمع كبير من الباطنية من قلعة طريثيث الواقعة بالقرب من بيهق ،فأغاروا على النواحى المجاورة لها ،وأكثروا القتل فى الأهالى ونهبوا الأموال ،وسبوا النساء ،ولم يقفوا على الهدنة المتقدمة .(٢)

رغم هذا استمر السلطان سنجر فى سياسته الرامية الى الحد من خطر الباطنية ،وتتبعهم فى كل مكان ،وقتل مايستطيع قتله منهم ،ففى عام ٥٢٠هـ أمر وزير السلطان سنجر أبو نصر أحمد بن الفضل بغزو الباطنية وقتلهم حيثما ظفر بهم ،ونهب أموالهم وسبى حريمهم ،فجهز الى ذلك عدة جيوش أرسلها الى أكثر المناطق التى يتواجدون فيها ،فأنفذ جيشا الى طريثيث ،وآخر الى بيهق وثالث الى طرز ،وأوصى بأن يقتلوا كل من لقوه منهم ،فقصد كل جيش الى الجهة المحددة له ،فأما الجيش الذى توجه الى

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٧٨/١٠ - ٣٧٩ .

(٢) نفس المصدر السابق ٣٩٢/١٠ - ٣٩٣ .

بيهق وأعمالها فقد قتلوا كل من بها من الباطنية وهرب مقدمهم ،وصعد منارة المسجدوألقى بنفسه منها فهلك ،وكذلك الجيش المنفذ الى طريثيث قتلوا من أهلها فأكثروا،وغنموا من أموالهم وعادوا (١) •

وفى عام ٥٢١هـ أغار السلطان سنجر على الباطنية فى قلعة آلموت فأوقع بهم وقتل منهم مايقارب الاثنى عشر الفا (٢) • وفى عام ٥٢٨هـ أمر السلطان سنجر الأمير بزغش بحصار قلعة كردكوه الباطنية ومحاولة السيطرة عليها،وبعد حصار طويل كادت القلعة أن تستسلم لولا أن الأمير بزغش رحل عنها فى اللحظات الأخيرة بسبب تأثير الرشوة عليه من قبل الباطنية المحاصرين فى القلعة (٣) •

ورغم أن السلطان سنجر لم يستطع أن يحرز نصرا حاسما على الباطنية الاأنه (٤) استمر فى سياسته الرامية الى الحد من نفوذ الباطنية قدرالمستطاع

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٦٣١/١٠ - ٦٣٢ •

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٨/١٢، الذهبى : العبر ٤١٥/٢ ،ابن الأثير : الكامل ٦٤٧/١٠ •

(٣) ابن الأثير : الكامل ١٧/١١ •

(٤) هناك بعض المؤرخين من يتهم السلطان سنجر بالتواطؤ مع الباطنية ومهادنتهم والاستعانة بهم فى بعض الأحيان الى درجة أن بعضهم اتهمه بتدبير اغتيال الخليفة المسترشد العباسى أمثال العماد الأصفهانى ولكن الجوينى فى تاريخ جهنكشاى يرد على ذلك وينفى الشبهة عن سنجر فيقول : "كان سنجر نقى العقيدة ويخشى الله ،وكان جماعة من قصار النظر وسيئى الطوية بالنسبة للدولة السنجرية ينسبون هذا الحادث (حادث اغتيال الخليفة المسترشد) الى حضرة السلطان سنجر ولكن كذب المنجمون ورب الكعبة ،فحسن طوية السلطان سنجر ونقاء سريرته فى اتباع الدين الحنيف والشريعة وتقويتهما،وتعظيمه لكل مايتعلق بدار الخلافة، الى جانب شفقته ورأفته ،كلذلك واضح بحيث لايمكن أن ينسب الى حضرته أمثال هذا البهتان واشكال هذا التزوير فقد كان منبع الصفح ومنشأ الرأفة" • انظر الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ٢٠٨،٢٠٩،٢١٠ •

فأرسل فى عام ٥٤٦هـ أحد أمرائه "الأمير قجق " على رأس جيش كبير الى قلعة طريثيث ،فأغار عليها ،وأحرق مساكنها ،وسبى ماوقعت عليه يده ،وفعل بهم الأفاعيل العظيمة ،ثم عاد سالما (١) .

أما عن موقف السلطان محمد السلجوقى من الباطنية ،فهو بحق هو الموقف المشرف الذى كاد أن يقضى على خطر الباطنية قضاء مبرما لو امتد به العمر قليلا ،فلقد عرف السلطان محمد بغيرته الدينية وجهاده فى سبيل اعلاء كلمة السنة ،فأدرك منذ اللحظة الأولى التى استقر فيها الأمر له ،أن استقلال البلاد التام وأمنها لايتم الا بالقضاء على الباطنية وهدم معاقلهم ،وأيقن أن القضاء عليهم ينبغى أن يكون أهم عمل يقوم به ،فكان أول مافعله أن أرسل الأمير آقسنقر البرسقى شحنة بغداد الى قلعة تكريت الباطنية ليملكها ،فما كان من الباطنية أصحابها الآن سلموها الى صدقة بن مزيد الشيعى الامامى ليضمنوا عدم وقوعها فى يد السلاجقة السنيين ،وكانت النتيجة أن خسروا القلعة (٢) .

أما الخطوة الثانية التى فعلها السلطان محمد فى هذا المجال هى أنه قام بالقبض على وزيره سعد الملك أبو المحاسن الآبى لتواطئه مع الباطنية وتقديم العون لهم ،فقبض عليه وعلى أربعة من أعوانه وقتلهم ثم صلبهم على باب أصبهان (٣) . وسعد الملك هذا كان له دور كبير فى تأخير سقوط قلعة أصبهان "شاه دز" الباطنية فى يد السلطان محمد فسقطت بعد قتله بيومين وهذا دليل على أنه كان متواطئا مع الباطنية ففى عام ٥٠٠هـ وبعد أن استفحل أمر الداعى الباطنى أحمد بن عبد الملك

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٥٧/١١ .

(٢) نفس المصدر السابق ٤٢٠/١٠ .

(٣) نفس المصدر السابق ٤٣٧/١٠ ،النويرى : نهاية الارب ٣٦٢/٢٦ – ٣٦٣ .

ابن عطاش فى قلعة أصبهان التى كان يرسل منها أصحابه لقطع الطريق وأخذ الأموال ،وقتل من قدروا على قتله ،وجعلوا على القرى السلطانية المجاورة لهم وأملاك الناس ضرائب يأخذونها ،مقابل أن يكفوا أذاهم عنها ،بعد هذا كله وبعد أن صفت السلطنة للسلطان محمد،رأى أن تكون البداية فى عملية قمع الباطنية يجب أن تكون بقلعة أصبهان لأن الأذى بها أكثر،وهى متسلطة على سرير ملكه ،فخرج بنفسه على رأس جيش كبير فحاصرها فى شعبان من نفس السنة واستمر الحصار قرابة الأربعة أشهر الى أن سقطت فى يده فى شهر ذى القعدة ووقع ابن عطاش هو وابنه أسيرين فى يد السلطان محمد،فأمر السلطان محمد بأن يشهر به فى شوارع أصبهان ثم يسلخ جلده وهو حى ،ثم يحشى تبنا ،فسلخ حتى مات وقتل بعده ابنه وحمل رأسيهما الى بغداد (١) .

لم يحصل السلطان محمد على هذا النصر فى أول لقاء بينه وبين هذه الطائفة بثمن بسيط،بل واجه كثيرا من المواقف الحرجة التى صمد أمامها حتى تحقق له هذا الهدف . ومن ذلك أنه لما عزم على حرب الباطنية استخدم المشايعون لهم فى عسكره حرب الشائعات،ليصرفوه عن غايته ،فأذاعوا أن قلج أرسلان (سلطان سلاجقة الروم) قد جاء الى بغداد وملكها ،وافتعلوا فى ذلك مكاتبات ،ثم أظهروا أن خللا حدث بخرسان ،وكان هدفهم من ذلك كله ابعاد السلطان عن محاصرة قلعة أصبهان حتى لايتحقق الهدف الذى كان يسعى اليه من ازالة هذه القلعة ،لكن السلطان توقف حتى تحقق من بطلان الشائعات ثم انصرف لغايته (٢) .

---

(١) انظر نفس المصادر السابقة : ابن الأثير : ٤٣٠/١٠ - ٤٣٤،النويرى ٣٦٢/٢٦،٣٦٣،الذهبى : دول الاسلام ٢٩/٢،ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٤ .

(٢) انظر ابن الأثير : الكامل ٤٣١/١٠ - ٤٣٢ .

وأثناء حصار السلطان محمد لقلعة أصبهان لجأ الباطنية الذين بها الى لعبة أشبه ماتكون بلعبة التحكيم الشهيرة بين على ومعاوية رضى الله عنهما ،اذ كتبوا الى الفقهاء السنيين يطلبون فتواهم فى قوم يؤمنون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر،ولكن يخالفون فى الامام : هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم،وأن يقبل طاعتهم ،ويحرسهم من كل أذى ؟ وكادوا أن ينجحوا فى لعبتهم هذه حين أجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك ،وتوقف البعض عن الفتوى ،فجمع السلطان الفقهاء للمناظرة ،فانتصر رأى الفقيه الشافعى أبى الحسن على بن عبدالرحمن السمنجانى الذى أفتى بوجوب قتالهم وسفك دمائهم ،وأنه لاينفعهم التلفظ بالشهادتين لرأيهم فى الامام الذى يستطيع أن يحرم عليهم ماأحل الله ،ويحل لهم ماحرم الله ،وتكون طاعته فى هذه الحالة حسب اعتقادهم فيه واجبة فتباح دماؤهم بهذا السبب بالاجماع (1) .

ولما فشلت حيلتهم هذه لصرف السلطان عن محاصرتهم لجأوا الى أسلوب آخر لكى يؤخروا عملية سقوط القلعة ،ولعلهم يستفيدون من الوقت فطلبوا من السلطان أن يرسل اليهم من يناظرهم،فصعد اليهم بعض العلماء ثم عادوا بغير طائل ،وأخيرا طلبوا أن يؤمنوا،ويتركوا القلعة مقابل أن يوصلهم السلطان الى بعض قلاعهم الأخرى على دفعات ،فاذا عاد اليهم من يخبرهم بوصول الدفعة الأولى الى القلاع سالمين ،نزل ابن عطاش ومن بقى ليوصلهم السلطان الى الحسن بن الصباح فى قلعة آلموت ،فوافق السلطان محمد على ذلك ،ووصل الفوج الأول الى القلاع التى عينوها فلما تأكد ابن عطاش أن أتباعه وصلوا سالمين نقض عهده ،واستمر فى

---

(1) انظر ابن الأثير : الكامل ٤٣٢/١٠ .

العناد الى أن انتهت مقاومته وسقط آسيرا وفعل به مافعل[1] .

كان لهذا النصر الذى حققه السلطان محمد السلجوقى على زعيم الباطنية أحمد بن عبد الملك بن عطاش وآخذه لقلعة أصبهان دافعا لملاحقة الباطنية فى كل مكان ،وخاصة فى عاصمتهم آلموت ،فأرسل فى المحرم من عام ٥٠٣هـ وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك الى هذه القلعة لقتال الحسن بن الصباح ومن معه من الباطنية فى تلك القلعة فحاصرهم مدة ثم رحل عنها بسبب دخول موسم الشتاء[2] .

لم يكتف السلطان محمد بهذه المحاولة لفتح قلعة آلموت عاصمة الباطنية ،بل كرر ذلك مرة آخرى فى عام ٥٠٥هـ اذ ندب لقتال الحسن بن الصباح فى هذه القلعة أحد قواده واسمه آنوشتكين شيركير فتوجه اليها وفى الطريق ملك من الباطنية عدة قلاع ،ولكنه وقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه سلطانه من قبل ،اذ آمن من كانوا فى هذه القلاع ،وسيرهم الى قلعة آلموت عاصمتهم ،ثم سار هو بعد ذلك لحصارها بعد أن ازدادت قوة ومنعة بمن توجه اليها من الباطنية ،وآمده السلطان بعدد من الأمراء وانعقد عزمهم على اسقاط هذه القلعة مهما كلفهم الأمر،فبنوا المساكن حولها ،وعين لكل طائفة من الأمراء – بالتناوب – آشهرا يقيمون فيها

---

(١) انظر نفس المصدر السابق ٤٣٣/١٠ – ٤٣٤ .
ومن الملاحظ أن السلطان محمد لم يكن موفقا فى تأمينه للباطنية فلقد زادوا اخوانهم فى القلاع الأخرى قوة بالانضمام اليهم،مما جعلهم يقفون فى وجهه بعلابة ولايستسلمون ،فكان من الأفضل والحكمة أن يقضى عليهم أولا بأول حتى لاتفكر باقى القلاع ومن فيها بالمقاومة ،ولكن لعل ظروف السلطان السياسية هى التى جعلته يتصرف معهم على هذا الأساس .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٤٧٧/١٠ – ٤٧٨ .
وكان من نتيجة ذلك أن آرسل الباطنية مجموعة من فدائيتهم فوثبوا على الوزير نظام الملك أحمد فى الجامع وضربوه بالسكاكين وجرحوه فى رقبته ،ولكن لم تكن الضربات قاتلة فبرئ من جراحه ... انظر ماسبق ص ١٩١،١٩٢ .

لحصارها،على أن يقيم القائد العام آنوشتكين اقامة دائمة ليشرف بنفسه على عملية الحصار،وفى نفس الوقت كان السلطان يمده وينقل اليه الميرة والذخائر،والرجال ،حتى اشتد الأمر على الباطنية ،وعدمت عندهم الأقوات بسبب طول الحصار،فلم يجدوا بدا من انزال نسائهم يطلبن الأمان لهم على أن يسلموا القلعة ،ويوسع لهم كى يمضوا الى أى طريق شاءوا،لكن القائد آنوشتكين رفض ذلك ،وأدرك الأخطار التى ترتبت على منحهم الأمان فى السابق ،وكان من أبرز هذه الأخطار أن هذه القلعة (آلموت) أصبحت أكبر مركز لتجمعاتهم بعد أن وفد عليها الكثيرون من القلاع الأخرى التى سقطت قبل ذلك ،لهذا رفض أن يمنحهم الأمان ،وأعاد النساء الى القلعة قصدا لكى يموت الجميع جوعا،لكن ماأمله هذا القائد لم يتحقق بسبب وفاة السلطان محمد فى عام ٥١١هـ واصرار الأمراء والجند على الرحيل وفك الحصار بعد سماعهم خبر الوفاة ،وذلك بعد أن استمر حصار القلعة مايقارب ست سنوات ،وبعد أن كان سقوطها وشيك الوقوع ،فلما سمع الباطنية بذلك قويت نفوسهم ،وطابت قلوبهم ،فقال القائد آنوشتكين لجنوده : ان رحلنا عنهم وشاع الأمر،نزلوا الينا وأخذوا ماأعددناه من الأقوات والذخائر،والرأى أن نقيم على قلعتهم حتى نفتحها،وان لم يكن المقام ،فلابد من مقام ثلاثة أيام ،حتى ينفذ منا ثقلنا وماأعددناه ونحرق مانعجز عن حمله لئلا يأخذه العدو،لكن القائد آنوشتكين اضطر الى الانسحاب تحت ضغط جنده ،فغنم الباطنية ماتخلف وراءهم من متاع (١) .

وبموت السلطان محمد توقف تنفيذ مشروعاته للقضاء على الباطنية والواقع أن السلطان محمد بذل جهدا مشكورا فى الفل من شوكة الباطنية

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٥٢٧/١٠ - ٥٢٩ .

والحد من سلطانهم ،ووفق الى حد كبير فى تصفية كثير من قلاعهم واخماد ما اشتعل من فتنتهم،والقضاء على موجة الارهاب التى اجتاحت المجتمع الاسلامى من أعمالهم وتصرفاتهم ،غير أن وفاة السلطان محمد وعودة النزاع بين أفراد البيت السلجوقى جعل الباطنية يستعيدون قوتهم ويواصلوا نشاطهم ،فلم تخمد فتنتهم نهائيا،بل عادت تطل برأسها بين آونة وأخرى ،ووجدوا الفرصة سانحة لتقوية حالهم،فاستولوا على قلاع كثيرة أضافوها الى ماتحت أيديهم ٠

بعد وفاة السلطان محمد تولى السلطنة بعده ابنه محمود،وكان محمود يكن للشيعة والباطنية عداوة شديدة،لهذا حرمهم من امتلاك المدارس والخانقات وحضور مجالس البحث والمناظرة غير أن ميله للمتعة قلل من قيمة دوره فى الصراع ضد الباطنية،ومما يذكر فى عهده أنه أرسل جيشا الى روذبار غير أن قائده عجز أمام الباطنية وسعى فى طلب الصلح (١) ٠

ولكن السلطان محمود استطاع فى عام ٥٢٤هـ من احتلال قلعة آلموت وأخذها من الباطنية،ولكنهم تمكنوا من استرجاعها بعد وفاته فى عام ٥٢٥هـ (٢) ٠

وكذلك واصل حكام الولايات الاسلامية تتبع الباطنية والفتك بهم فلقد كان الأمير عباس صاحب الرى الذى كان من غلمان السلطان محمود كثير الجهاد للباطنية ،فاستطاع أن يفتك بالباطنية الذين عنده،فقتل منهم

---

(١) أحمد حلمى : السلاجقة فى التاريخ والحضارة ص ١٨٥ ٠

(٢) ابن الأثير : الكامل ٦٦٦/١٠، الذهبى : العبر ٤١٩/٢، أحمد حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة ص١٨٦ ٠

خلقا كثيرا لدرجة أنه بنى منارة من رؤوسهم بالرى ،كما أنه حاصر قلعة آلموت ،ودخل قرية من قراهم فألقى فيها النار وأحرق كل من فيها من الرجال والنساء والصبيان (١) .

لم تقتصر الجهود لمقاومة الباطنية ،ومحاولة تطهير المجتمع الاسلامى منهم على حكام السلاجقة فحسب ،بل ساهم حكام الدول الاسلامية الأخرى التى ظهرت فى تلك الحقبة بدور فعال فى الحد من نفوذ الباطنية مثل الدولة الغورية والدولة الخوارزمية .

أما عن دور الدولة الغورية فى هذا المجال ،فبعد وفاة الملك علاء الدين الحسين الغورى ملك الغور تولى بعده زعامة الغور ابنه سيف الدين محمد ،فأطاعه الناس وأحبوه ،وكان يوجد فى مناطق الدولة الغورية بعض الدعاة الاسماعيلية الباطنية الذين كثروا أتباعهم وأصبح خطرهم يهدد الناس ،فأمر سيف الدين محمد باخراج هؤلاء الباطنية من بلادهم ،فأخرجوا على الغور جميعهم ولم يبق منهم أحد (٢) .

وفى عام ٥٩٧هـ سار شهاب الدين الغورى الى قهستان ،وفى الطريق مر على قرية ،فذكر له بأن أهلها اسماعيلية باطنية ،فأمر بقتل المقاتلة ونهب الأموال ،وسبى الذرارى ،وخرب القرية ،فجعلها خاوية على عروشها ثم واصل السير الى كناباد (٣)، وهى من المدن التى جميع سكانها من الباطنية ،فنزل عليها وحاصرها ،وأرسل صاحب قهستان الباطنى الى غياث ملك الغور يشكو اليه أخاه شهاب الدين ويقول : " بيننا عهد فما الذى

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١١٧/١١، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٢١/١٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٢٧١/١١ .

(٣) كناباد : مدينة كبيرة فى شمال شرقى تون . انظر كى ليسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٩٨ .

بدا منا حتى تحاصر بلدى ؟ ... لكن شهاب الدين شدد الحصار على المدينة ،فلما اشتد خوف الباطنية الذين بها،طلبوا الأمان ليخرجوا منها ويأخذها،فأمنهم وآخرجهم منها،وملك المدينة فأقام بها الصلاة وشعائر الاسلام[(١)] .

وهناك محاولة أخرى للحد من نفوذ الباطنية كانت فى عام ٦٠٠هـ حين وصل رسول الى شهاب الدين الغورى من عند مقدم الاسماعيلية الباطنية فى خرسان برسالة أنكر ماجاء فيها،فأمر متولى بلاد الغور علاء الدين محمد بن أبى على أن يجهز العساكر ويسير بها الى بلادهم ويحاصرها فسار اليهم ونزل على مدينة قاين وحاصرها وضيق الخناق على أهلها وفى أثناء الحصار وصل خبر مقتل شهاب الدين الغورى ،فصالح علاء الدين أهل قاين على ستين ألف دينار ورحل عنهم[(٢)] .

أما عن موقف قادة الدولة الخوارزمية من الباطنية فانه يتمثل فى موقفين بارزين ،الموقف الأول كان فى عام ٥٩٥هـ حيث اشتغل القائد خوارزم شاه بقتال الملاحدة الباطنية ،حيث استطاع أن يفتتح قلعة الباطنية أرسلان كشاه التى تقع على باب منطقة قزوين ،وانتقل بعدها الى حصار عاصمة الباطنية آلموت ،وأثناء عملية الحصار قتل الباطنية الفقيه محمد بن الوزان رئيس الشافعية بالرى ،فعاد خوارزم شاه الى عاصمته خوارزم . وفى السنة التى بعدها (٥٩٦هـ) وثب الباطنية أيضا على وزير خوارزم شاه نظام الملك مسعود بن على فقتلوه ،فأمر القائد الخوارزمى تكش ولده قطب الدين بالتوجه الى الباطنية الملاحدة والانتقام منهم

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٦٧/١١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٨٩/١٢ .

فقصد قلعة ترشيش[1] الباطنية ،فحاصرها حتى آذعن له الباطنية الذين فيها بالطاعة ،وصالحوه على مائة آلف دينار ثم رحل عنها[2] .

أما الموقف الثانى فكان فى عام ٦٢٤هـ حين قتل الباطنية آميرا كبيرا من آمراء جلال الدين بن خوارزم شاه ،فلما قتل ذلك الأمير عظم قتله على جلال الدين وحزن عليه ،وقرر الانتقام من الباطنية ،فسار بعساكره الى بلادهم من حدود آلموت الى كردكوه بخراسان فخربها جميعها ،وقتل آهلها ،ونهب الأموال ،وسبى الحريم ،واسترق الأولاد ،وقتل الرجال وعمل بهم الأعمال العظيمة ،وانتقم منهم ،وكانوا قد عظم شرهم وازداد ضرهم[3] .

كل هذه المحاولات التى قام بها السلاجقة وغيرهم من قادة الدول الاسلامية ،لم تؤد الى استئصال جذور الباطنية نهائيا من المجتمع الاسلامى بل ظلت مؤامراتهم وفتنهم تلحق الأضرار بالمجتمع الاسلامى بين الحين والآخر ،لكنهم نجحوا الى حد كبير فى التخفيف من خطرهم ،وفى تقليم آظافر حركتهم ولو لحين من الزمن .

هذا بالنسبة الى موقف القادة المسلمين من الباطنية فى بلاد فارس ،آما فيما يتعلق بموقفهم من الباطنية فى بلاد الشام فهو يتلخص فى المواقف الآتية : فبعد آن كثر الباطنية فى حلب آيام الملك رضوان بن تتش الذى كان يستعين بهم لقلة دينه كما يقول ابن الأثير،وآصبح لهم بها دار دعوة ،خافهم ابن بديع رئيس حلب والأعيان من آهلها،ولما توفى

---

(١) ترشيش : ناحية من آعمال نيسابور ،وهى اليوم بيد الملاحدة (وهى طريثيث) . انظر ياقوت : معجم البلدان ٢٢/٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٥٣/١٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٤٧٠/١٢ .

الملك رضوان وتولى بعده ابنه الملك ألب أرسلان الأخرس أشار عليه ابن بديع بالفتك بالباطنية وقتلهم وتخليص البلد منهم قبل أن يتمكنوا ويصبح من المتعذر دفع شرهم ،وفى نفس الوقت كتب السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى الى ألب أرسلان ملك حلب يقول له : " كان والدك يخالفنى فى الباطنية ،وأنت ولدى فأحب أن تقتلهم" . فاجتمعت الأسباب لدى الملك ألب أرسلان فأمر بقتل الباطنية وتطهير البلد منهم ،وساعده فى ذلك الرئيس ابن بديع فقبض على رئيسهم أبو طاهر الصائغ مع جماعة من أعيانهم فقتلهم ،ثم قبض على الباقين منهم فحبسهم واستصفى أموالهم وتفرق الباقون فى البلاد ومنهم من قصد بلاد الفرنج محتميا بهم (١) .

أما تاج الملوك بورى صاحب دمشق فلقد فتك بالباطنية وقتلهم شر قتلة ،وصفاهم من دمشق وطهرها منهم ،ففى أيامه زاد الباطنية فى دمشق وكثروا وأصبحوا كما أشرنا سابقا هم المتصرفون فى كثير من شئون البلد حتى كان حكمهم فيها أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك نفسه ،ونال الناس من أذاهم مانالهم،ولما علم تاج الملوك ماتم بين الباطنية والصليبيين من اتفاق على تسليم دمشق للصليبيين مقابل تسليم صور لهم استدعى وزيره المزدقانى الذى ساعد الباطنية على ذلك فقتله على الفور ونادى فى البلد بقتل الباطنية ،فثار الناس والجند بهم وقتلوا كل من ظفروا به من الباطنية ،وبلغ عدد القتلى ستة آلاف نفس (٢) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٤٩٩/١٠، ابن العديم : بغية الطلب ص ٣٥٢، ٣٥٣ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٠٢، الذهبى : دول الاسلام ٣٥/٢ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥١ — ٣٥٥، ابن الأثير : الكامل ٦٥٧/١٠، ابن كثير : البداية والنهاية ٢٠٠/١٢، اليافعى : مرآة الجنان ٢٢٩/٣ .

ظل الباطنية فى الشام يحيكون المؤامرات ويترقبون الفرص للفتك بأى قائد مسلم يظهر على الساحة الى أن كانت محاولاتهم الفاشلة للفتك بالقائد المسلم صلاح الدين الأيوبى واغتياله مرة حين كان محاصرا لحلب وأخرى حين كان محاصرا لقلعة اعزاز،فأدرك صلاح الدين شر هؤلاء القوم فقصدهم فى عام ٥٧٢هـ وحاصر عاصمتهم قلعة مصياف ونصب عليها المنجنيقات فخربها وأحرقها وأوسع الباطنية الذين بها قتلا وأسرا،وأخذ أبقارهم ودوابهم وخرب ديارهم، الى أن شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود الحارمى صاحب حماه لأنهم كانوا جيرانه،فقبل صلاح الدين شفاعته وصالحهم ورحل عنهم بعد أن أدبهم وأعطاهم درسا قاسيا (١) .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ٤٧/٢ – ٤٨،أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٥٩/٣،الذهبى : دول الاسلام ٨٦/٢ .

الفصل الرابع

النصيرية والدروز ودورهم في الحروب الصليبية .

المبحث الاول : تأثر النصيرية بالمجوسية والنصرانية .

المبحث الثاني : مساعدة النصيرية للصليبيين .

المبحث الثالث : مساعدة الدروز للصليبيين .

المبحث الأول

تأثر النصيرية بالمجوسية والنصرانية

بما أن مؤسس النصيرية (محمد بن نصير النميرى) فارسى الأصل فقد تأثرت حركته ببعض الأفكار والعقائد الفارسية المجوسية التى نقلها بحكم النزعة والتعصب للأصل ،فشابت العقيدة النصيرية لوثات مجوسية تمثلت فى بعض عقائدها وعباداتها وأعيادها .

فمن أعياد النصيرية التى يشاركون المجوس فيها :

(١) عيد النيروز ومدته ستة أيام ويسمون اليوم السادس النوروز الكبير.

(٢) عيد المهرجان ومدته ستة أيام ويسمون اليوم السادس منه المهرجان الأكبر .

(٣) عيد السدق ويسمى آبان روز .

(٤) عيد الشركان .

(٥) عيد الفرودجان .

(٦) عيد ركوب الكوسج (١) .

ويعتقد النصيريون بالتقمص (٢) ، وهذه العقيدة ليست اسلامية على الاطلاق ، بل هى مجوسية (٣) . يقول لامانس : " ان النصيريين يشكلون فرقة غالية تذكرنا بأخلاق المجوس حيث يبيحون اشاعة البنات والأخوات والأمهات وهم لايصلون ولايتطهرون ولايصومون " (٤) .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ٤١٨/٢ - ٤٢٤ .

(٢) التقمص : هو اباحة المحرمات من النساء بالزواج وغيره .

(٣) الحسينى عبدالله : الجذور التاريخية للنصيرية العلوية ص ١٢٥ .

(٤) عبدالله الأمين : دراسات فى الفرق ص ١٢٤ .

أما بالنسبة لتأثر النصيرية بالنصرانية فلقد تأثرت الفرقة النصيرية الى حد كبير فى كثير من عقائدها بالعقائد النصرانية .

وذلك ناتج عن اندماج النصيريين فى المجتمع الصليبى أثناء فترة الحروف الصليبية ،فالعقيدة النصيرية تشبه الى حد بعيد عقيدة النصارى فالعقيدة النصيرية تقوم على التجسيد وتأليه الامام،فالألوهية فى نظر النصيريين مثلثة الأجزاء متحدة الحقيقة،تدور حول أسماء ثلاثة مكونة تثليثا شبيها بتثليث النصارى ويتمتع أصحاب هذه الأسماء الثلاثة بالوحدانية والخلود،والتثليث عند النصيرية يشيرون اليه بكلمات ثلاثة هى :

معنى ،واسم ،وباب ،كما هو الحال فى عقيدة النصارى الذى يتكون تثليثهم من أب ،وابن ،وروح القدس ،ويرمز الى هذا التثليث عند النصيرية بالحروف ع - م - س ،ويفسرون ذلك فيقولون أن المقصود بالمعنى هو على بن أبى طالب ،وهو الله العلى القدير ويرمزون اليه بالحرف (ع) ،وأما الاسم فهو محمد بن عبدالله وهو حجابها النورانى ويرمزون اليه بالحرف (م) ،وأما الباب فهو سلمان الفارسى الذى يوصل الى الحجاب النورانى ويرمزون اليه بالحرف (س) (١) .

ونستطيع أن نستشف أيضا كيف أن النصيريين تأثروا فى عقائدهم بالنصارى عند مطالعتنا لكتاب تعليم ديانة النصيرية الذى أورده الدكتور عبدالرحمن بدوى فى كتابه مذاهب الاسلاميين وهو على طريقة السؤال والجواب ويتألف من ١٠١ سؤال نورد الأسئلة المتعلقة بذلك بأرقامها كما جاءت فى الكتاب :

---

(١) حسن ابراهيم :تاريخ الاسلام ٢٦٦/٤،عبدالله الأمين : دراسات فى الفرق ص ١٠٨، الحسينى عبدالله : الجذور التاريخية للنصيرية العلوية ص ١٢٣ - ١٢٤ .

س٧٦ : ما "القداس" ؟

ج : تقديس الخمر، التى تشرب على صحة النقباء أو النجباء ٠

س٧٧ : ما "القربان" ؟

ج : تقديس الخبز ، الذى يتخذه المؤمنون الصادقون ذكرى لأرواح اخوانهم ومن أجلهم يقرأون القداس ٠

س٧٨ : من الذى يقرأ القداس ،ويقرب القربان ؟

ج : الأئمة والخطباء الكبار ٠

س٨٧ : ماهو القداس الأول ؟

ج : هو الذى يقام قبل دعاء النوروز ٠

س٨٨ : ومادعاء النوروز ؟

ج : تقديس الخمر والكاس (١) ٠

الى جانب ذلك تأثر النصيريون فى بعض أعيادهم بأعياد النصارى مثل عيد الميلاد،ويصادف رأس السنة الشرقية عند الأرثوذكس ،ويقدمون فيه النبيذ ولحم البقر ،وعيد الصليب وهم يحتفلون به ويجعلونه تاريخا لقطف الثمار وبدء الزراعة،ويجعلون منه تاريخا لبداية معاملاتهم بعضهم مع بعض ،كدفع أجور الرعى والمساكن والمخازن وما اليها،ويتوجهون فى هذا العيد الى المعارض المقامة فى الأديرة لشراء لوازمهم (٢) ٠

ومن الأعياد التى يشارك فيها النصيريون النصارى عيد الغطاس ،وعيد السعف ،وعيد العنصرة ،وعيد القديسة بربارة ،وعيد الميلاد (٣) ٠

---

(١) عبد الرحمن بدوى ٤٨٤/٢، ٤٨٦ ٠

(٢) الحسينى عبد الله : الجذور التاريخية للنصيرية العلوية ص ١٣٩،سليمان الحلبى : طائفة النصيرية ص ٧٤ ٠

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ٤٠٩/٢،سليمان الحلبى : طائفة النصيرية ص ٧٤ عبد الله الأمين : دراسات فى الفرق ص ١٢٠، ١٢١، الحسينى عبد الله : الجذور التاريخية للنصيرية العلوية ص ١٣٩ ٠

ومن الأعياد النصرانية التى يحتفل بها النصيريون عيد الزيتونة وهو عيد الشعانين ،وعيد مريم المجدلانية ،وعيد البشارة ،وعيد الفصح . (١)

وللنصريون طقوس تشبه القداس عند النصارى،فهم يعيدون بعض أعياد النصارى كعيد الميلاد والعيد الكبير ،ويستعملون بعض الأسماء النصرانية مثل متى ويوحنا وهيلانه وكاترينا . (٢) وهم لايؤدون صلاتهم فى المساجد، انما يصلون فى بيوتهم صلاة تشبه صلاة النصارى ،فيجتمعون أحيانا فى بيوت معلومة ويسمون اجتماعهم (عيدا) ويجتمع بهم شيوخهم فيسمعونهم بعض القصص والأخبار والمعجزات الخرافية لأئمتهم ثم يقومون بأداء بعض الطقوس والقداسات والصلوات القريبة الشبه بقداسات وصلوات النصارى . (٣)

وحتى تكتمل الصورة فلابأس من أن نأتى بنصوص ثلاثة قداسات نشرها كتفاجو فى مجلة ZDMG المجلد الثانى (سنة ١٨٤٨م) وأثبتها الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه مذاهب الاسلاميين وهى :

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قداس الطيب لكل آخ حبيب

آيها المؤمنون اسمعوا وطيعوا وانظروا الى مقامى هذا الذى فيه (نحن) مجتمعون . انزعوا الغل والحسد والحقد من قلوبكم،يكمل لكم دينكم

---

(١) مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٣٣٤، القلقشندى : صبح الأعشى ٤٢٥/٢، ٤٢٦ .

(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ٥٣٩/٢ .

(٣) سليمان الحلبى : طائفة النصيرية ص ٥٨، عبد الله الأمين : دراسات فى الفرق ص ١١٣ .

ويستجب الله لدعائكم . واعلموا أن الله حاضر موجود بينكم يسمع ويرى "انه عليم بذات الصدور" .

اياكم ،يامؤمنين،من الضحك والقهقهة فى أقوت الصلاة مع الجهال فمنها تحبط الأعمال وتتغير الأحوال ،لأنها من طريق ابليس اللعين لعنه الله تعالى .

اسمعوا مايقول لكم الامام لأنه قائم فيكم فى طاعة العلى العلام : ان هذا قداس الطيب بعد عقد النية (على) الصلاة الحقيقية التى خص بها السيد المسيح الى سين ،عطاء كل نفس هواها . قال فى القداس المبارك : سبحان من جعل من الماء كل شئ حى . سبحان من يحيى الميت فى صرصر بقدرته ، العلى الكبير . الله أكبر . أسألك اللهم فى يده القضيب (أن) تحل فى دياركم البركة ،يا أصحاب هذا الفضل ،وهذا الطيب ونقدس أرواح اخواننا المؤمنين ـ البعيد (منهم) والقريب . يا مولاى يا أمير النحل ،ياعلى ،ياعظيم .

(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

قداس البخور فى روح يدور،فى محل الفرح والسرور

قال : كان سيدنا محمد بن سنان الزهرى يقوم بالصلاة مرة ومرتين فى يده ياقوتة حمراء،وقيل مرجانة صفراء،يبخر بها عبد النور ويقول :

يا أيها المؤمنون . بخروا أقداحكم . أنجزوا أعمالكم ـ تنالوا بها الآمال .

ويقول (باجمعكم) : الحمد لله الذى جعل نوره تاما وفضله عامـــــا علينا وعلى سائر اخواننا،بروح وريحان ،وجنة الله والنعيم .

أسألك اللهم مولاى ،بحق هذا قداس البخور ،وبحق البراء بن معـــروف وبحق أبى الحسن المدنى وتلميذه أبى الطاهر سابور،تحل فى دياركم البركة يا أصحاب هذا الفضل وهذا البخور ،يا آمير النحل ،ياعلى ،ياعظيم .

(٣)

بسم الله الرحمن الرحيـــم

قداس الآذان ،وبالله المستعان

وهو :

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر كبيرا . الحمد لله كثيـــرا وجهت وجهى الى محمد المحمود،طالبا سره المقصود،المتقرب بتجلـــــى الصفات وعين الذات ،وفاطر الفطر،ذو الجلال والحسن ،ذو الكمال . اتبعـوا ملة أبيكم ابراهيم الخليل هو الذى سماكم مسلمين،حنيفا مسلما ولا آنـــا من المشركين .

دينى سلسل،طاعة الى القديم الأزل . أقر كما أقر السيد سلمـــان حين أذن المؤذن فى أذنه وهو يقول : شهدت أن لا اله الا هو العلى المعبـود ولاحجاب الا السيد محمد المحمود،ولاباب الا السيد سلمان الفارسى،ولاملائكـة الا الملائكة الخمسة الأيتام الكرام ،ولارب الا ربى شيخنا (وهو) شيخنـــا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبى ،سفينة النجاة،وعين الحياة . حـــى على الصلاة ،حى على الفلاح،تفلحوا يامؤمنون . حى على خير العمل ،يعينـه الأجـــل .

الله أكبر .. الله أكبر .. قد قامت الصلاة على أربابها، وثبتت الحجة على أصحابها . الله مولاى . ياعلى أسألك أن تقيمها وتديمها مادامت السموات والأرض، وتجعل السيد محمد خاتمها، والسيد سلمان زكاتها، والمقداد يمينها، وأبا ذر شمالها .

نحمد الله بحمد الحامدين، ونشكر الله بشكر الشاكرين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين . أسألك ، اللهم مولاى ، بحق هذا قداس الأذان ، وبحق متى وسمعان ، والتواريخ والأعوام ، بحق يوسف بن ماكان، بحق الأحد عشر كوكبا الذين رآهم يوسف بالمنام ، تحل فى دياركم البركة بالتمام . يامولاى ، ياعلى ياعظيم .(١)

ومما يدل على اندماج النصيريين فى المجتمع الصليبى أثناء الحروب الصليبية مايقوله صاحب كتاب تاريخ العلويين النصيرى محمد غالب الطويل . " حتى أصبح الشعب العلوى يملك سجايا وميزات بنيوية تقارب جميع بقية الطوائف العربية والتركية، من مسيحية ويهودية ورومية وغير ذلك "(٢) .

---

(١) عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ٢/٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤ .
(٢) محمد غالب الطويل : تاريخ العلويين ص ٢٠٨ .

المبحث الثانى

مساعــدة النصيرية للصليبيين

عندما قدم الغزو الصليبى على بلاد المسلمين وقويت محاولة الصليبيين السيطرة على الأماكن المقدسة ،وبينما كانت جموع الحملة الصليبية الأولى تحاصر مدينة أنطاكية التى استماتت فى الدفاع ضد هجمات الصليبيين المتكررة عليها ،لم يقف النصيريون مكتوفى الأيدى بل وجدوا الفرصة مناسبة ولن تعوض للانتقام من أهل السنة عن طريق التحالف مع الصليبيين وتقديم العون لهم ،فنجدهم ينزلون الى السواحل من جبالهم التى كانوا يعتصمون بها لكى يلاقوا الصليبيين ويقدموا لهم مايحتاجون .

وبدلا من أن يقف النصيريون الى جانب المدافعين عن أنطاكية ويكونوا عونا لهم ضد العدو الغاشم حدثتهم أنفسهم بالخيانة ،فبعد حصار طويل استمر قرابة سبعة أشهر على أنطاكية من قبل الصليبيين حتى أن الجيش الصليبى ضاق ذرعا بطول الحصار فأخذ شبح المجاعة يتهدد الصليبيين أمام أسوار أنطاكية لدرجة أن الفوضى وسوء النظام دبت بين الجند نتيجة لتأثير الجوع والانهاك ،فأخذ بعض الصليبيين يفرون من المعركة ويستللون خفية هاربين ،فى هذا الموقف الحرج فى هذه الفترة اتصل الزعيم النصيرى فيروز الذى كان موكلا بحراسة أحد أبراج المدينة من قبل الأمير ياغيسيان بالقائد الصليبى بوهيموند على تسليم البرج اليه ودخول المدينة منه ،والاستيلاء عليها ،فتم الاتفاق بينهما على ذلك

وعند الفجر تسلق بوهيموند وأصحابه السلالم صاعدين الى البرج حيث كان ينتظرهم فيروز وبمساعدته استطاعوا أن يحتلوا باقى الأبراج وتمكنوا من احتلال المدينة بكاملها فأعملوا السيف فى أهلها ونهبوا كل ماوقعت عليه أيديهم ،وهكذا تمكن الصليبيون من الاستيلاء على أنطاكية بمساعدة الزعيم النصيرى فيروز ولو لم يجد الصليبيون هذا الرجل الخائن الذى أعانهم على فتح المدينة لكان حصارهم لها قد طال كثيرا ولكانت النتيجة غير ماآلت اليه بعد ذلك (١) .

ومن الأدلة الأخرى التى تثبت تعامل النصيرية مع الصليبيين ومساعدتهم لهم ماذكره شيخ الاسلام ابن تيمية فى سياق فتواه عن النصيرية اذ قال : " ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية انما استولى عليها النصارى من جهتهم (أى جهة النصيريين) وهم دائما مع كل عدو للمسلمين فهم مع النصارى على المسلمين . ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل وانقهار النصارى ،ومن أعظم أعيادهم اذا استولى - والعياذ بالله تعالى - النصارى على ثغور المسلمين .... فهؤلاء المحادون لله ورسوله كثروا بالسواحل وغيرها فاستولى النصارى على الساحل ، ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره ،فان أحوالهم كانت من أعظم الأسباب فى ذلك " (٢) .

ويستطرد شيخ الاسلام ابن تيمية فى فضح مواقف هؤلاء الخونة وممالأتهم للصليبيين وينبه الى عدم استخدام أمثال هؤلاء فى حراسة

---

(١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ،مخطوط ٢/ورقة ١٩ب ،سليمان الحلبى : طائفة النصيرية ص ١٠٩،عبدالله الأمين : دراسات فى الفرق ص ١٢٨،سعيد برجاوى : الحروب الصليبية فى المشرق ص ١٣٥ .

(٢) ابن تيمية : الفتاوى ١٥٠/٣٥ - ١٥١ .

ثغور المسلمين حتى لايؤخذوا من قبلهم فيقول : " وأما استخدام مثل هؤلاء (أى النصيريين) فى ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فانه من الكبائر، وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعى الغنم ، فانهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم، وهم أحرص الناس على تسليم الحصون الى عدو المسلمين وعلى افساد الجند على ولى الأمر واخراجهم عن طاعته .
والواجب على ولاة الأمور قطعهم من دواوين المقاتلة ، فلا يتركون فى ثغر ولافى غير ثغر، فان ضررهم فى الثغر أشد، وأن يستخدم بدلهم من يحتاج الى استخدامه من الرجال المأمونين على دين الاسلام ، وعلى النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، بل اذا كان ولى الأمر لايستخدم من يغشه وان كان مسلما فكيف بمن يغش المسلمين كلهم ؟ "(١) .

ومن الملاحظ فى تاريخ الفرق الباطنية أن هذه الفرق كانت دائما تتحالف مع أى عدو للمسلمين وتقدم له العون فى سبيل القضاء على أهل السنة وهذا ماأشار اليه فيليب حتى فى معرض كلامه عن بعض الطوائف والفرق فقال : " ثم ان العناصر الاسلامية المنشقة من شيعة واسماعيلية ونصيرية عمدوا فى مناسبات عديدة على نقض ولائهم بتقديم العون الى الافرنج"(٢) .

ومما يدل أيضا على تعامل النصيريين مع الصليبيين ومساعدتهم لهم ماذكره الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه تاريخ المذاهب الاسلامية فقال : "كانت النصيرية عند الهجوم الصليبى على العالم الاسلامى عونا للصليبيين ضد المسلمين ، ولما استولى الصليبيون على بعض البلاد الاسلامية قربوهم وأدنوهم ، وجعلوا لهم مكانا مرموقا . وعندما توحدت الجبهة الاسلامية

---

(١) ابن تيمية : الفتاوى ٣٥/١٥٥ - ١٥٦ .
(٢) فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢/٢٥٩ .

فى وجه الصليبيين على يد قادة الجهاد الاسلامى آمثال نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبى اختفى هؤلاء عن الأعين واعتصموا بجبالهم ،واقتصر عملهم على تدبير المكايد والفتن والفتك بكبراء المسلمين وقوادهم العظام . ولما آغار التتار بعد ذلك على الشام مالأهم آولئك النصيريون كما مالئوا الصليبيين من قبل ،فمكنوا للتتار من الرقاب ،حتى اذا انحسرت غارات التتار قبعوا فى جبالهم قبوع القواقع فى آصدافها لينتهزا فرصة آخرى "[١] .

---

(١) محمد آبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ٦٤/١ .

المبحث الثالث

مساعدة الدروز للصليبيين

بعد سقوط مدينة أنطاكية بيد الصليبيين فى عام ٤٩٠هـ وتمكن القائد الصليبى بوهيموند من جعل أنطاكية مملكة له، أخذ فى الاستعداد للزحف جنوبا قصد السيطرة على بيت المقدس والأماكن المقدسة فى فلسطين، فتحركت جموع الصليبيين صوب جنوب بلاد الشام مستولية على مافى طريقها من مدن وقرى . فى هذا الوقت كان التنوخيون يشكلون عماد دعوة الدروز الموحدين فى جبل لبنان، وتذكر المصادر أنه عندما توجه الصليبيون نحو الجنوب لم يلاقوا أى مقاومة من قبل الأمراء المحليين، بل ان بعض هؤلاء الأمراء صالح الصليبيين وأعطاهم الأمان . أما التنوخيين الدروز فكان موقفهم من الزحف الصليبى سلبيا للغاية، فلم يعترضوا سبيل القوات الصليبية القادمة من أنطاكية والمتجهة الى بيت المقدس، ولم يمسوها بسوء بل مرت بأمان من جوارهم (١) .

لم يقف التنوخيون الدروز عند حد .... وقوفهم متفرجين على الزحف الصليبى بل تعدى الأمر لأبعد من ذلك حيث قام أحد زعمائهم بمصالحة الصليبيين والانسحاب من صيدا وتسليمها لهم . ففى عام ٤٩٥هـ ولى شمس الملوك دقاق ملك دمشق عضد الدولة على التنوخى على مدينة صيدا وأمره بتحصين المدينتين (صيدا وبيروت) فحصنهما وأرسل الى صيدا نائبا عنه هو الأمير مجد الدولة محمد بن عدى، وظل فى صيدا الى أن سقطت بيد الفرنج عام ٥٠٤هـ، فخرج منها بعد أن صالح الفرنج عليها

---

(١) نديم حمزة : التنوخيون أجداد الموحدين الدروز ص ٨١ .

بالأمـــان .[1]

ظل الزعماء التنوخيون فيما بعد على هذه الشاكلة، اما مصالحين للفرنج متفرجين عليهم، أو يعقدون العلاقات الودية معهم وتقديم العون لهم . ففى عام ٥٢٨هـ انتقلت امارة التنوخيين الى الأمير بحتر بن شرف الدولة على، والذى استطاع أن يحافظ على منطقة الغرب والتهيئة لسقوطها فى يد الصليبيين وذلك بسبب مهادنته لهم وعدم الوقوف فى وجههم ومحاربتهم .[2]

وبعد وفاة الأمير بحتر انتقلت اقطاعاته وشئون الامارة الى ابنه كرامة الملقب ب "زهرة الدولة أبو العز كرامة" ،وفى هذا الوقت كانت حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين فى أوجها على يد القائد المسلم نور الدين محمود، الذى عمل على استقطاب الأمراء المحليين من حوله حتى يضمن تماسك الجبهة الاسلامية من الداخل ،وكان من ضمن هؤلاء الأمراء الأمير كرامة الذى سارع فى الدخول فى خدمة الدولة النورية مهملا الفرنج مما يدل على أن الأمير كرامة كان قبل ذلك محالفا للصليبيين داخلا فى طاعتهم .[3] لكن الأمير كرامة لم يطل به العمر،فلم يلبث أن توفى ،فخلفه فى الامارة أولاده الأربعة الذين لم يجدوا حرجا فى مهادنة الفرنج وبناء العلاقات الجيدة مع حكام بيروت الصليبيين .[4]

وفى أيام دولة المماليك ،وعندما كان الظاهر بيبرس يعمل على استعادة السواحل من الفرنج ازدادت شكوكه فى علاقة الأمراء التنوخيين

---

(١) نديم حمزة : التنوخيون أجداد الموحدين الدروز ص ٨٢ .
(٢) نفس المرجع السابق ص ٨٩ .
(٣) نفس المرجع السابق ص ٩١ .
(٤) نفس المرجع السابق ص ٩٤ .

الدروز بالصليبيين ،فعلم باتصال الدروز بوالى طرابلس الصليبى فتوجس منهم خيفة ،فأصدر أمرا بالقبض على هؤلاء الأمراء ليأمن غدرهم ووضعهم فى السجون ،وعندما توسط بعض الأمراء من المماليك لدى الظاهر بيبرس للافراج عنهم ،كان جواب السلطان : " هؤلاء لا افراج عنهم ولا آذيهم حتى أفتح طرابلس وبيروت وصيدا "(١) .

ومن الأدلة الأخرى التى تثبت عداء الدروز للمسلمين السنة وتحالفهم مع كل عدو لهم ،وتقديم العون له هو ماذكره شيخ الاسلام أحمد بن تيمية فى معرض جوابه على سؤال عن الدروز فقال : " ان هؤلاء لايجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ "(٢) . فهذا دليل على أن هؤلاء القوم دأبوا على الخيانة وتقديم المساعدة الى أعداء المسلمين فلايؤتمنوا على القيام بحراسة المسلمين ،أو يكونوا جندا فى صفوف جيش المسلمين حتى لايؤتى الصف من داخله .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١١٠ ،عبدالله الأمين : دراسات فى الفرق ص ١٦١ .

(٢) ابن تيمية : الفتاوى ١٦٢/٣٥ .

الخاتمة

الخـــاتمــــة

بعد توفيق الله سبحانه وتعالى وامتنانه على ،انتهيت من دراسة موضوع بحث الرسالة ،ومن خلال دراستى للموضوع توصلت الى كثير من النتائج المهمة ،سواء على صعيد دراسة عقائد وأفكار الحركات الباطنية أو مواقف وأعمال تلك الحركات .

فمن النتائج المهمة التى توصلت اليها أن الحركات الباطنية لعبت دورا خطيرا فى أحداث التاريخ الاسلامى ،روحيا وسياسيا ،فمن الناحية الروحية عملت هذه الحركات الباطنية على تبديل العقائد الاسلامية فحرفتها وزادت عليها وحذفت منها ،حتى أصبحت فى صورة ممسوخة أقرب ماتكون الى الخرافات ،وأخذ زعماء تلك الحركات يخترعون مايحلوا لهم من أفكار وعقائد تتفق مع أهوائهم ونزعاتهم الشخصية ،حتى أصبحت هذه الحركات أشد ماتكون خطرا على العقيدة الاسلامية الصحيحة والفكر الاسلامى المستقيم .

أما من الناحية السياسية فلقد أخذت الحركات الباطنية على عاتقها نشر الاضطرابات بين المسلمين واثارة الفتن بين أفراد المجتمع الاسلامى فأخذت تحيك المؤامرات وتبث دعاتها فى كل مكان ،واستغلت كل نقطة ضعف فى المجتمع الاسلامى وتسللت منها لتنفيذ مخططاتها ،فافتعلت المشاكل وحاولت السيطرة على أجزاء كبيرة من العالم الاسلامى ،ووجهت خناجرها الغادرة الى ظهور القادة المسلمين الذين ندبوا أنفسهم لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم للوقوف فى وجه الأعداء من صليبيين وغيرهم .

ان البلبلة التى أحدثتها الحركات الباطنية فى المجتمع الاسلامى

كان لها الأثر الكبير فى تثبيط الروح الجهادية ضد أعداء الأمة الاسلامية الذين آخذوا يتكالبون عليها من كل جانب طمعا فى خيراتها،وعملا على تقليص نفوذها،لقد كان من نتائج سياسة تلك الحركات المعادية للمسلمين من أهل السنة نجاح الصليبيين فى حملاتهم العدوانية على العالم الاسلامى فاستطاعوا بفضل مساعدة الحركات الباطنية لهم بطريق مباشر أو غير مباشر . تحقيق معظم أهدافهم التى جاءوا من آجلها،فتمكنوا من تأسيس امارات صليبية لهم فى بلاد الشام والجزيرة أصبحت كالخناجر فى قلب العالم الاسلامى ،وسيطروا على بيت المقدس اولى القبلتين وثالث الحرمين ودنسوه بخيولهم وسفكوا فيه الدماء،استطاع الصليبيون من خلال تلك الامارات شن الغارات على بلاد المسلمين المجاورة لهم ونهبها وسلب غلالها ونشر الرعب فيها .

ومن النتائج الهامة التى توصلت اليها الدراسة بيان مواقف الخلافة الفاطمية الشيعية فى مصر وعلى رأسها الوزير الأفضل بن بدر الجمالى ،فان هذه الدولة لم تدرك هدف الحركة الصليبية الأساسى فظنت أنها حملات تهدف الى تأسيس امارات صليبية فى شمال بلاد الشام مما دعى الوزير الأفضل الى الاتصال بالصليبيين فى محاولة لاقتسام بلاد الشام مع الصليبيين وتدمير قوة السلاجقة السنيين وازالتها من بلاد الشام ،فترادفت الرسل بينهم وتبودلت الهدايا،ولم تشعر الخلافة الفاطمية بخطر الصليبيين وحقيقة أهدافهم الا بعد فوات الأوان ،حيث سقطت المعاقل الاسلامية جميعها فى شمال بلاد الشام وواصل الصليبيون زحفهم جنوبا حتى بيت المقدس هدفهم الأساسى واستطاعوا الاستيلاء عليه عام ٤٩٢هـ،عندها أدرك الوزير الأفضل حقيقة نوايا الصليبيين فسارع الى ارسال الحملات العسكرية المتوالية لردع الصليبيين وتوقيف زحفهم صوب الجنوب

ولكن جميع هذه الحملات باءت بالفشل ولم تستطع أن تحقق الهدف من ارسالها ،وكانت مقاومة الفاطميين للصليبيين فيما بعد مقاومة باهتة لم تتناسب مع حجمهم كدولة كبرى وقوية لها مقدراتها وأهدافها وجيشها القوى ،مما ترتب على ذلك فقد الدولة الفاطمية لجميع معاقلها ومدنها وموانئها فى سواحل بلاد الشام لحساب الصليبيين •

وبينت الدراسة كذلك أن الخلاف المذهبى الذى كان قائما بين الفاطميين من جهة والعباسيين والسلاجقة من جهة أخرى حال دون قيام أى وحدة اسلامية أو تحالف اسلامى يتصدى للزحف الصليبى ،الا من بعض المحاولات العرجاء بين ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق والوزير الأفضل وهى محاولات لم يكن لها أى أثر فى سير الأحداث ،بل بالعكس ساعد ذلك كله الصليبيين على تحقيق أهدافهم والاستيلاء على مزيد من المعاقل والحصون •

وبرهنت الدراسة أيضا على أن نور الدين محمود أدرك بحسه العسكرى منذ البداية أهمية موقع مصر الاستراتيجى ،وأن القضاء على الخلافة الفاطمية الشيعية فيها واعادتها الى صف أهل السنة سوف يرجح الكفة العسكرية لصالح الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين ،وذلك بما تملكه مصر من قوة بشرية واقتصادية ،فبادر نور الدين محمود على الفور بارسال الحملات العسكرية المتكررة على مصر بقيادة قائده أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبى ،حيث تمكنا فى النهاية من الاستيلاء على مصر والقضاء على الدولة الفاطمية فيها عام ٥٦٧هـ وبعودة مصر الى صف أهل السنة وضع الصليبيون بين شقى الرحى حيث اتخذها صلاح الدين فيما بعد قاعدة له فى جهاده ضد الصليبيين •

وأوضحت الدراسة أن الحركة النزارية الباطنية كانت حجر عثرة

أمام حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين ،بما أقدمت عليه من قتل واغتيال القادة والزعماء المسلمين الذين أخذوا على عاتقهم توحيد الجبهة الاسلامية وبعث فكرة الجهاد الاسلامى وحمل راية لوائه ضد الصليبيين فلقد قامت هذه الحركة بالتعاون مع الصليبيين ومد يد العون لهم فى كل مايحتاجونه ،وساعدتهم فى تحقيق أهدافهم فخاضت معهم بعض المعارك جنبا الى جنب ضد المسلمين ،وعقدت معهم التحالفات ، اضافة الى ذلك أقدمت هذه الحركة على عمل خسيس خدم الصليبيين خدمة كبيرة فقامت باغتيال قادة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين وتصفيتهم ،فاغتالت جناح الدولة حسين صاحب حمص سنة ٤٩٥هـ وشرف الدولة مودود صاحب الموصل سنة ٥٠٧هـ وآقسنقر البرسقى صاحب الموصل سنة ٥٢٠هـ .

وأثبتت الدراسة كذلك أن ماقامت به الحركة النزارية داخل المجتمع الاسلامى من قتل ونهب ونشر للرعب والخوف بين أفراده ،كان له الأثر الكبير فى تثبيط الروح الجهادية وعرقلة الجهاد ضد الصليبيين حيث أصبح لاهم للناس الا البحث عن كيفية النجاة من بطش هؤلاء الباطنية .

ومن النتائج التى توصل اليها البحث أن النصيرية والدروز كانوا ومايزالوا أشد خطرا على الاسلام والمسلمين ،وبذلك أفتى علماء المسلمين أمثال شيخ الاسلام ابن تيمية ،فلقد دأب هؤلاء القوم على الخيانة وممالأة أعداء المسلمين ،فانخرطت النصيرية فى المجتمع الصليبى وتأثروا بهم فى كثير من أفكارهم وعباداتهم ،وقدموا للصليبيين كل مايحتاجونه فى حربهم للمسلمين . وكذلك الدروز كانت تصرفاتهم كلها نابعة من مصالحهم الشخصية ،فان كانت المصلحة فى التعامل مع الصليبيين ،أسرعوا اليها ،وان كان غير ذلك وقفوا على الحياد وكأن الأمر لايعنيهم لامن قريب ولامن بعيد .

وأخيرا برهنت الدراسة على أن الخلاف الذى كان يدب أحيانا بين القادة المسلمين ،مثل النزاع الذى حصل بين أبناء السلطان السلجوقى ملكشاه على السلطة كان سببا فى انتعاش الباطنية وظهورها بشكل واضح فى المجتمع الاسلامى حيث كانت تستغل ذلك النزاع لصالحها فى تثبيت أقدامها داخل المجتمع الاسلامى وزيادة رقعة مناطق نفوذها،وبينت الدراسة أن عدم تعامل القادة المسلمين مع الباطنية ومهادنتهم كان سببا فى انتصار المسلمين على الأعداء من صليبيين وغيرهم .

وبرهنت الدراسة أيضا على أن هؤلاء القوم من الباطنية كانوا العامل الأساسى فى مكوث الصليبيين هذه الفترة الطويلة فى بلاد المسلمين حيث ساهموا بشكل فعال فى افشال أى جهود تبذل من أجل الوحدة الاسلامية وعرقلة الجهاد ضد الصليبيين .

وفى النهاية أرجو من الله أن أكون قد وفقت فى عرضى لدور الحركات الباطنية فى عرقلة الجهاد ضد الصليبيين ،فان أصبت فمن الله وان أخطأت فمن نفسى والشيطان .. " ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا،ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين " .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

الملاحق

الملحق الأول : النصوص والوثائق الهامة المتعلقة بموضوع البحث

الملحق الثاني : تراجم بعض المشاهير من القادة المسلمين الذين واجهوا الباطنية .

الملحق الثالث : تراجم أشهر زعماء الباطنية في تلك الفترة

الملحق الرابع : جدول بأسماء القادة والعلماء الذين اغتيلوا بيد الباطنية

الملحق الأول

النصوص والوثائق الهامة المتعلقة بموضوع البحث

رسالة السلطان جلال الدين ملكشاه السلجوقي الى الحسن بن الصباح (١) في أوائل سنة ٤٨٣ هـ :

أنت ياحسن الصباح قد أظهرت دينا جديدا ،تخدع به الناس ،وتغريهم على الخروج على والى الزمان ،وجمعت نفرا من جهال الجبال تكلمهم على مقتضى طبعهم ،فيذهبون ويغتالون الأبرياء ،وتطعن فى الخلفاء العباسيين الذين هم خلفاء الاسلام ،وقوام الملك والملة ،وبهم يوثق نظام الدين والدولة ،فهلا خرجت عن هذه الضلالة وتركت هذه الغواية ،وانضويت تحت راية الاسلام ، ان جيوشى متوقفة على مجيئك ،أو مجئ جوابك ،وعليك أن ترحم نفسك ونفوس أتباعك ،ولاتلق نفسك ونفوسهم الى التهلكة ،ولايغرنك منعة قلاعك ،وعليك أن تعلم أنه لو كانت قلعتك (آلموت) برجا من بروج السماء لهدمنا أركانها بعون الله سبحانه وتعالى .

---

(١) مصطفى غالب : الثائر الحميرى (الحسن بن الصباح) ص ١٢١ .

رسالة من الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى الى سنان راشد الدين رئيس الحشيشية فى الشام (١) ٠

"من الملك الناصر أبى المظفر صلاح الدين ملك مصر الى سنان راشد الدين زعيم الاسماعيلية فى بلاد الشام :

اعلم ياسنان أنك وان كنت قد أغلقت أبواب قلاعك ،وأوصدت أبراج حصونك فى وجهى ،وأقمت الحراس ،وحشدت الفدائية بالنبال والأقواس فأنت لاتقدر أن تنجو من صلاح الدين ، الذى سيقطع رأسك ،ويخمد أنفاسك بالرغم من فدائيتك وحراسك ٠ أنا قادم اليك بجيوشى ورجالى،فاما أن تأتى الينا خاضعا تائبا،ولأوامرنا طائعا،أنت وجميع قوادك ورؤساء جنودك ،وتسلموا الينا مفاتيح القلاع والحصون ،لنرفع عليها الأعلام والبنود،واما نصبنا عليكم المنجنيقات فلاأبقينا منكم أحد على قيد الحياة ٠ وقد أعذر من أنذر والسلام ٠

صلاح الدين "

---

(١) مصطفى غالب : سنان راشد الدين ص ١٢٣،نقلا عن كتاب البستان مخطوط اسماعيلى ورقة ٣١٣ ــ ٣١٤ ٠

رسالة من سنان راشد الدين الى صلاح الدين ردا على رسالته (١) .

ياذا الذى بقراع السيف هددنا	لاقام مصرع جنبى حين تصرعه
قام الحمام الى البازى يهدده	واستيقظت لأسود البر أضبعه
أضحى يسد فم الأفعى باصبعه	يكفيه ماقد تلاقى منه اصبعه

وقفنا على تفاصيله وجمله،وعلمنا ماهددنا به من قوله وعمله فيالله العجب من ذبابة تطن فى أذن فيل ،وبعوضة تعد فى التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون،فدمرنا عليهم وماكان لهم من ناصرين أو للحق تدحضون،وللباطل تنصرون ؟ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون،وأما ماصدر من قولك فى قطع رأسى ،وقلعك لقلاعى من الجبال الرواسى ،فتلك أمانى كاذبة ،وخيالات غير صائبة ،فان الجواهر لاتزول بالأعراض ،كما أن الأرواح لاتضمحل بالأمراض ،كم بين قوى وضعيف ،ودنى وشريف ؟ وان عدنا الى الظواهر والمحسوسات ،وعدلنا عن البواطن والمعقولات ،قلنا أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : "ماأوذى نبى ماأوذيت " ولقد علمتم ماجرى على عترته ،وأهل بيته وشيعته ،والحال ماحال،والأمر مازال ،ولله الحمد فى الآخرة والأولى اذ نحن مظلومون لاظالمون،ومغصوبون لاغاصبون،واذا جاء الحق زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ،ولقد علمتم ظاهر حالنا ،وكيفية رجالنا ،ومايتمنونه

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٨٦/٥ - ١٨٧ .
هذه الرسالة أوردها القاضى الفاضل على هذه الصورة ،وقال بأن سنان راشد الدين أرسلها الى الملك العادل نور الدين محمود ردا على رسالته التى أرسلها اليه ،يتهدده ويتوعده فيها (يقول ابن خلكان) والصحيح أنه كتبها الى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ،والله أعلم .انظر : ابن خلكان ١٨٧/٥ .

من الفوت ،ويتقربون به الى حياض الموت ،"قل فتمنوا الموت ان كنتم صادقين،ولايتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم ،والله عليم بالظالمين"(١)

وفى أمثال العامة السائرة: أو للبط تهددون بالشط ؟ فهيئ للبلايا جلبابا،وتدرع للرزايا أثوابا،فلأظهرن عليك منك ،ولأفتننهم فيك عنك فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه ،والجادع مارن أنفه بكفه،وماذلك على الله بعزيز ..... فاذا وقفت على كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد ومن حالك على اقتصاد،وآقرأ أول النحل(٢) ،وآخر صاد(٣) .

---

(١) سورة الجمعة : ٦ - ٧

(٢) أول سورة النحل : " أتى أمر الله فلاتستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون" .

(٣) آخر سورة ص : " ولتعلمن نبأه بعد حين" .

رسالة من العاضد الخليفة الفاطمى الى نور الدين محمود مستنجدا ضد الصليبيين الذين هددوا القاهرة (١) .

" هذه شعور نسائى من قصرى يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج " .

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٣٨ .

رسالة شاور الى ملك القدس الصليبى مرى (آمالريك) يستنجده ضد آسد الدين شيركوه (١) ٠

استجاب نور الدين محمود لنداء العاضد وأرسل له جيشا بقيادة آسد الدين شيركوه، أبعد الخطر الصليبى عن مصر، وآراد شاور آن يتخلص من شيركوه، ولكن شيركوه رفض العودة بخفى حنين، فأرسل شاور الى ملك القدس يستنجده ضد شيركوه ويقول :

"ان شيركوه طلع معى نجدة على ضرغام، فلما حصلوا فى البلد طمعوا فيها، ومتى ملكوها مضافة الى بلاد الشام لم يكن لك معهم عيش ولاقرار" ٠

---

(١) آبو شامة : الروضتين فى آخبار الدولتين ١٦٧/١ ٠

رسالة شاور الى شيركوه أثناء حصاره له فى بلبيس[1] .

حاصر الفرنج وقوات شاور شيركوه فى بلبيس وطال عليهم الحصار وفى تلك الأثناء أثخن نور الدين فى بلاد الفرنج ، فقرر هؤلاء العودة الى بلادهم ، فاستمهلهم شاور أياما ، ثم بدأ يراسل شيركوه فى الصلح وأرسل اليه يقول :

" اعلم أننى أبقيت عليك ولم أمكن الفرنج منك لأنهم كانوا قادرين عليك ، وانما فعلت ذلك لأمرين : أولهما ، أنى ما أختار أن أكسر جاه المسلمين ، وأقوى الفرنج عليهم ، والثانى : أنى خفت أن الفرنج اذا فتحوا بلبيس طمعوا فيها وقالوا : هذه لنا لأنا فتحناها بسيوفنا ومامن يوم كان يمضى بمصر الاوأنا أنفذ الى كبار الفرنج الجملة من المال ، وأسألهم أن يكسروا همة الملك عن الزحف " .

---

(١) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ١٦٧/١ .

رسالة شيركوه الى شاور لما قدم مصر للمرة الثانية واجتمع شاور مع الصليبيين ضده (١) .

اجتمع شاور والصليبيون على حرب شيركوه ، ورأى شيركوه فى ذلك فرصة نادرة للقضاء عليهم اذا ما انضم شاور اليه فأرسل اليه يقول :

" أنا أحلف لك بالله الذى لا اله الا هو ، وبكل يمين يثق بها المسلم من أخيه ، أننى لا أقيم ببلاد مصر ولا أعاود اليها أبدا ، ولا أمكن أحدا من التعرض اليها ، ومن عارضك فيها كنت معك البا عليه ، وما أؤمل منك الانصر الاسلام فقط . وهو أن العدو قد حصل بهذه البلاد والنجدة عنه بعيدة وخلاصه عسير ، وأريد منك أن نجتمع أنا وأنت عليه ، وننتهز فيه الفرصة التى قد أمكنت ، والغنيمة التى قد كتبت فنستأصل شأفته ، ونخمد شائرته وما أظن أنه يعود فيتفق للاسلام مثل هذه الغنيمة أبدا " .

ولكن شاور رفض ذلك .

---

(١) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ١٦٨/١ .

رسالة شاور الى مرى ملك بيت المقدس الفرنجى (١) .

هاجم الفرنج مصر بعد رحيل شيركوه عنها،فأرسل شاور الى نورالدين يستنجده ضدهم ،ولجأ فى نفس الوقت الى المراوغة فأرسل الى مرى يقول :

"ان هذا بلد عظيم كبير وفيه خلق كثير،ولايمكن تسليمه ألبتة ولاأخذه الابعد أن يقتل من الفريقين عالم عظيم ،ولاتعلم أنت ولا أنا لمن الدائرة . والرأى أن تحقن دماء أصحابك ودماء أصحابى،وتحصل شيئا أدفعه لك فيحصل لك عفوا" .

واستقرت المصالحة على أربعمائة ألف دينار .

---

(١) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ١٧١/١ .

رسالة مرى ملك الفرنج الى شاور . (١)

كان بين شاور وملك الفرنج اتفاق يقدم له شاور بموجبه جزية سنوية فى حال مساعدته على صد أعدائه عنه . وقد أحس ملك الفرنج بضعف شاور ومصر بعد رحيل شيركوه عنها،فأراد اما احتلالها أو مضاعفة الجزية فزحف نحو مصر وأرسل الى شاور يقول :

" انى قد قصدت الخدمة على ماقررته لى من العطاء فى كل عام" .

جواب شاور الى الملك عن رسالته السابقة .

"ان الذى قررته انما جعلته لك متى احتجت الى نجدتك أو اذا قدم على عدو،فأما مع خلو بالى من الأعداء فلا حاجة لى اليك ولالك عندى مقرر" .

جواب الملك الى شاور عن الرسالة السابقة .

"لابد من حضورى وأخذ المقرر" .

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢٩٢/٣،أبو شامة : الروضتين ١٧٠/١ .

رسالة مرى ملك الفرنج الى شاور لما احتل بلبيس وقتل سكانها (١) .

احتل مرى بلبيس وسبى نساءها ، وأسر ولدين من أولاد شاور وأرسل اليه يقول :

"ان ابنك قال : أيحسب مرى أن بلبيس جبنة يأكلها ؟ نعم بلبيس جبنة والقاهرة زبدة" .

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢٩٣/٣ ، أبو شامة : الروضتين ١٧٠/١ .

رسالة من المستعلى خليفة مصر الى السيدة الملكة أروى بنت أحمد بن جعفر الصليحى حاكمة اليمن (١) .

لما توفى المستنصر بالله الفاطمى سنة ٤٨٧هـ وخلفه ابنه أبو القاسم أحمد الملقب بالمستعلى بالله ، أيدت السيدة الحرة الملكة أروى صاحبة اليمن خلافته ، فأرسل المستعلى الى السيدة الحرة رسالة مؤرخة فى ٨ صفر سنة ٤٨٩هـ تضمنت وصفا لثورة نزار وتغلب وزيره الأفضل بن بدر الجمالى عليها نهائيا . ومما ورد فى هذه الرسالة :

"من عبدالله ووليه أحمد أبى القاسم الامام المستعلى بالله أمير المؤمنين ابن الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين الى الحرة ، الملكة السيدة ، السديدة ، ولية أمير المؤمنين . قد علمت ماكان قد صدر اليك من حضرة أمير المؤمنين ، عندما أصاره الله تعالى اليه من ارث خلافته وذلك بالنص الذى كان من مولانا الامام المستنصر بالله ... وان البيعة انتظمت لأمير المؤمنين على أجمل القضايا والأسباب . ودخل الناس فيها من كل باب بحسن سياسة فتاه وخليله ، السيد ، الأجل ، الأفضل ، أمير الجيوش سيف الاسلام ، ناصر الامام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين وكان الأمراء اخوة أمير المؤمنين أول من دخل فى البيعة مسارعا ، وانقاد لأحكامها طائعا .. ومن جملتهم نزار وهو الأخ الأكبر سنا ... ثم ان الشيطان استزله واستغواه ، ففارق جناب أمير المؤمنين ... وسار منه متوغلا فى القفار ، راكبا الأخطار حتى وصل الى الاسكندرية ، وفيها أفتكين - أحد مماليك السيد الأجل ، أمير الجيوش .. فقابل هذا العبد العاق نعم مواليه بالكفر ، وأظهر ماكان كامنا فى نفسه من الخيانة والغدر

---

(١) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٩٣ - ٩٤ .

ووافق نزارا على ماسعى اليه من فساد .. فتقدم آمير المؤمنين الى فتاه الأمين .. بأن يكاتبهم معذرا وزاجرا وهم على غلوائهم متمادون ..الى أن حملهم العدوان على البروز عن الاسكندرية فيمن انضم اليهم من لفيف الأجناد وطوائف العربان المغاربة والسودان .. وأمير المؤمنين يمده بصائب الآراء .. فصدمهم صدمة تزعزع منها آركان الجبال،وأحل بجمعهم قوارع الشتات والنكال .. ولما يسر الله تعالى مفتتح هذا النصر أذن أمير المؤمنين لفتاه السيد الأجل باتباعهم .. فتوجه يقتص آثارهم وحمى بين الفريقين وطيس الهجاء .. وكان المخازيل فى هذه النوبة قد تجمعوا من كل فج وواد،فزادت عدتهم على ثلاثين آلف فارس وراجل فرمى الله جمعهم بالحتف العاجل .. وطار نزار وافتكين على رسمهما فى الفرار،وكان الفتح فى هذه الوقعة مثل ماتقدمه بحملات واصلها السيد الأجل بنفسه وغلمانه،فلم تزل السيوف تتحكم فيهم الى أن سترتهم الظلماء وقتل وأسر منهم آلوف كثيرة،وتوجه نحوهم،حتى نزل على البلدة،فحصرها برا وبحرا،وحضر شهر الصوم،فأخر مناجزتهم حفظا لحرمة الشهر الشريف فلما انقضى (هذا الشهر) ولم تنقض غوايتهم وبغيهم . رماهم بحجارة المنجنيقات،فلم تمض الا أيام قلائل حتى تداعى الحصن من سائر أركانه فتهاوت الرجال مستأمنين وبالعفو لائذين،فخرج (آفتكين) بغير عهد ولاعقد يتعلق به ،ووقف بين يدى مولاه ملحفا ثوب الذل والهوان،فأضرب عنه صفحا،وتوفر على المهم من الحوطة على نزار،وحفظ الثغر من عوادى النهب والأضرار" .

رسالة من والدة الخليفة المستعلى بالله الى السيدة الحرة الملكة أروى بنت أحمد الصليحية (١) .

حاولت والدة الخليفة المستعلى بالله صاحب مصر جذب الدعاة في اليمن اليه لتأييد امامته ،فبعثت الى السيدة الحرة أروى ملكة اليمن رسالة ،تحدثت فيها عن عهد الخليفة المستنصر لولدها أبى القاسم أحمد وثورة نزار وأفتكين بالاسكندرية على خلافته . ومما جاء في هذه الرسالة مايلى :

" من السيدة الملكة الكريمة ...والدة الامام المستعلى بالله أمير المؤمنين ابن الامام المستنصر بالله ،الى الملكة السيدة ،السديدة .. قد اشتهر بين كافة المؤمنين ،وأولياء الدين ،ورعايا الدولة أجمعين أن الامام المستنصر بالله كان يشير (بالامامة) الى ولده الامام المستعلى بالله ،ثم أفصح،وأنه تولى بنفسه الشريفة الكريمة توفيقه وتفهيمه ،واختصه دون الأولياء بمزية ألفه وأنسه ،ثم انتقل الى دار الكرامة ،ومحل الاقامة ،بعد أن أظهر النص عليه ،وأعلن بنقل الأمر اليه ،وجعل خليله ووزيره ،السيد الأفضل ،أمير الجيوش ،سيف الاسلام وليا أعلى الله همته في ارتياد الصلاح واغتنامه ،ومدبرا جرى به أمر المملكة على اطراده وانتظامه ،فقام لأمير المؤمنين بأمر البيعة أحسن قيام ،وكان أول داخل فيها الأمراء اخوة أمير المؤمنين تسليما لحقه واذعانا ،وعلما بأن الله تعالى يفيض شعار الامامة على من يرتضيه ومن جملتهم نزار أخوه الأكبر سنا فانه عرف الحق فعاهد وبايع

(١) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٩٥ .

ثم أدركه الحسد ... فانسل ذليلا تحت جنح الليل ... ومضى الى الاسكندرية وبها أفتكين،واجتمعا معا على الفتنة ... واستغويا طوائف من المنافقين ... وكان أمير المؤمنين بما آتاه الله تعالى من شرف العلم وحبب اليه من الفضل والحلم موعزا الى فتاه وخليله السيد الأجل الأفضل ،بمواصلتهم بالمكاتبات المشتملة على الانذار والاعذار .... وهم متمادون على غلوائهم فى البغى والعناد .... فعند ذلك آذن له مولانا فى لقائهم" .

ملخص نص فتوى شيخ الاسلام ابن تيمية فى النصيرية (١) .

أجاب شيخ الاسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية حين سئل عن النصيرية فقال :

"هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى ،بل وأكفر من كثير من المشركين ،وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل : كفار التتار والفرنج وغيرهم،فان هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت ،وهم فى الحقيقة لايؤمنون بالله ،ولابرسوله ،ولابكتابه ولابأمر ولانهى ،ولاثواب ولاعقاب ،ولاجنة ولانار،ولابأحد من المرسلين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ،ولابملة من الملل السالفة،بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها يدعون أنها علم الباطن. ولهم فى معاداة الاسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة ،فاذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين ،كما قتلوا مرة الحجاج والقوهم فى بئر زمزم ،وأخذوا مرة الحجر الأسود وبقى عندهم مدة ،وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم مالايحصى عدده الا الله تعالى .

ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية انما استولى عليها النصارى من جهتهم ،وهم دائما مع كل عدو للمسلمين ،فهم مع النصارى على المسلمين ،ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل ،وانقهار النصارى ،بل ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار ومن أعظم أعيادهم اذا استولى - والعياذ بالله تعالى - النصارى على ثغور المسلمين ،فان ثغور المسلمين مازالت بأيدى المسلمين ،حتى جزيرة

---

(١) تجد نص فتوى شيخ الاسلام فى النصيرية كاملا فى كتاب الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١٤٥/٣٥ - ١٦٠ .

قبرص يسر الله فتحها عن قريب .

فهؤلاء المحادون لله ورسوله كثروا حينئذ بالسواحل وغيرها فاستولى النصارى على الساحل ،ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره ،فان أحوالهم كانت من أعظم الأسباب فى ذلك ،ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين فى سبيل الله تعالى كنور الدين الشهيد وصلاح الدين ،وأتباعهما ،وفتحوا السواحل من النصارى ،وممن كان بها منهم ،وفتحوا أيضا أرض مصر ،فانهم كانوا مستولين عليها نحو مائتى سنة ،واتفقوا هم والنصارى ،فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد ،ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الاسلام بالديار المصرية والشامية .

ثم ان التتار مادخلوا بلاد الاسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين الابمعاونتهم ومؤازرتهم ،فان منجم هولاكو الذى كان وزيرهم وهو "النصير الطوسى" كان وزيرا لهم بالألموت ،وهو الذى أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء .

ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين ،تارة يسمون "الملاحدة" وتارة يسمون "القرامطة" وتارة يسمون "الباطنية" وتارة يسمون "الاسماعيلية" وتارة يسمون "النصيرية" وتارة يسمون "الخرمية" وتارة يسمون "المحمرة" وهذه الأسماء منها مايعمهم ،ومنها مايخص بعض أصنافهم ،كما أن الاسلام والايمان يعم المسلمين . ولبعضهم اسم يخصه : اما لنسب ،واما لمذهب واما لبلد،واما لغير ذلك . وشرح مقاصدهم يطول ،وهم كما قال العلماء فيهم : ظاهر مذهبهم الرفض ،وباطنه الكفر المحض . وحقيقة أمرهم أنهم لايؤمنون بنبى من الأنبياء والمرسلين،ولابشىء من كتب الله المنزلة .

وأما استخدام مثل هؤلاء فى ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فانه من الكبائر،وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعى الغنم،فانهم

من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم،وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة،وهم شر من المخامر الذى يكون فى العسكر،فان المخامر قد يكون له غرض : اما مع أمير العسكر،واما مع العدو . وهؤلاء مع الملة ونبيها،ودينها،وملوكها،وعلمائها،وعامتها،وخاصتها،وهم أحرص الناس على تسليم الحصون الى عدو المسلمين،وعلى افساد الجند على ولى الأمر واخراجهم عن طاعته .

والواجب على ولاة الأمور قطعهم من دواوين المقاتلة،فلايتركون فى ثغر،ولافى غير ثغر،فان ضررهم فى الثغر أشد،وأن يستخدم بدلهم من يحتاج الى استخدامه من الرجال المأمونين على دين الاسلام،وعلى النصح لله ولرسوله،ولأئمة المسلمين وعامتهم،بل اذا كان ولى الأمر لايستخدم من يغشه وان كان مسلما فكيف بمن يغش المسلمين كلهم ... ولايجوز له تأخير هذا الواجب مع القدرة عليه،بل فى أى وقت قدر على الاستبدال بهم وجب عليه ذلك .

ولاريب أن جهاد هؤلاء واقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات،وهو أفضل من جهاد من لايقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب،فان جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين،والصديق وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب . فان جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين . وأيضا فضرر هؤلاء على المسلمين أعظم من ضرر أولئك،بل ضرر هؤلاء من جنس ضرر من يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب،وضررهم فى الدين على كثير من الناس أشد من ضرر المحاربين من المشركين وأهل الكتاب .

ويجب على كل مسلم أن يقوم فى ذلك بحسب مايقدر عليه من الواجب فلا يحل لأحد أن يكتم مايعرفه من أخبارهم،بل يفشيها ويظهرها ليعرف

المسلمون حقيقة حالهم، ولايحل لأحد أن يعاونهم على بقائهم فى الجند والمستخدمين، ولايحل لأحد السكوت عن القيام عليهم بما أمر الله به ورسوله، ولايحل لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر الله به ورسوله، فان هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله تعالى، وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وهؤلاء لايخرجون عن الكفار والمنافقين .

والمعاون على كشف شرهم وهدايتهم بحسب الامكان، له من الأجر والثواب مالايعلمه الا الله تعالى، فان المقصود بالقصد الأول هو هدايتهم، كما قال الله تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس "، قال أبو هريرة : كنتم خير الناس للناس تأتون بهم فى القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الاسلام . فالمقصود بالجهاد، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر : هداية العباد لمصالح المعاش والمعاد بحسب الامكان، فمن هداه الله سعد فى الدنيا والآخرة، ومن لم يهتد كف الله ضرره عن غيره .

نص جواب شيخ الاسلام ابن تيمية حين سئل عن "الدرزية" و"النصيرية" ماحكمهم ؟ (١)

فأجاب : هؤلاء "الدرزية"و "النصيرية" كفار باتفاق المسلمين لايحل أكل ذبائحهم ،ولانكاح نسائهم ،بل ولايقرون بالجزية ،فانهم مرتدون عن دين الاسلام ،ليسوا مسلمين ،ولايهود ،ولانصارى ،لايقرون بوجوب الصلوات الخمس ،ولاوجوب صوم رمضان ،ولاوجوب الحج ،ولاتحريم ماحرم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرها . وان أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين .

فأما "النصيرية" فهم أتباع أبي شعيب محمد بن نصير ،وكان من الغلاة الذين يقولون : ان عليا اله ،وهم ينشدون :

أشهد أن لا اله الا	حيده الأنزع البطين
ولاحجاب عليه الا	محمد الصادق الأمين
ولاطريق اليه الا	سلمان ذو القوة المتين

وأما "الدرزية" فاتباع هشتكين الدرزي ،وكان من موالي الحاكم أرسله الى أهل وادي تيم الله بن ثعلبة ،فدعاهم الى الاهية الحاكم ويسمونه "الباري ، العلام" ويحلفون به ،وهم من الاسماعيلية القائلين بأن محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبدالله ،وهم أعظم كفرا من الغالية ،يقولون بقدم العالم ،وانكار المعاد ،وانكار واجبات الاسلام ومحرماته ،وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركي العرب ،وغايتهم أن يكونوا "فلاسفة" على مذهب أرسطو وأمثاله ،أو "مجوسا" . وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس ،ويظهرون التشيع نفاقا . والله أعلم .

---

(١) ابن تيمية : الفتاوى ١٦١/٣٥ - ١٦٢ .

نص رد شيخ الاسلام ابن تيمية لنبذ طوائف من "الدروز"(١) .

قال شيخ الاسلام رحمه الله ردا على نبذ لطوائف من "الدروز" : كفر هؤلاء مما لايختلف فيه المسلمون ،بل من شك فى كفرهم فهو كافر مثلهم لاهم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين ،بل هم الكفرة الضالون ،فلايباح أكل طعامهم ،وتسبى نساؤهم ،وتؤخذ أموالهم . فانهم زنادقة مرتدون لاتقبل توبتهم ،بل يقتلون أينما ثقفوا،ويلعنون كما وصفوا ،ولايجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ . ويجب قتل علمائهم وصلحائهم لئلا يضلوا غيرهم ،ويحرم النوم معهم فى بيوتهم،ورفقتهم ،والمشى معهم وتشييع جنائزهم اذا علم موتها،ويحرم على ولاة أمور المسلمين اضاعة ما أمر الله من اقامة الحدود عليهم بأى شئ يراه المقيم لا المقام عليه . والله المستعان وعليه التكلان .

---

(١) ابن تيمية : الفتاوى ١٦٢/٣٥ .

الملحق الثانى

تراجم بعض المشاهير من القادة المسلمين الذين واجهوا الباطنية

منذ اللحظة الأولى التى ظهرت فيها الباطنية ،وأصبح خطرها يهدد أركان المجتمع الاسلامى هب القادة والزعماء المسلمين لمواجهة هذا الخطر وازالته من المجتمع الاسلامى ،فقام بمواجهة الباطنية العديد من القادة المسلمين الذين اشتهروا بغيرتهم الدينية وحبهم للجهاد فى سبيل الله ضد أعداء الأمة الاسلامية من صليبيين وغيرهم ،وكان على رأس هؤلاء القادة الوزير السلجوقى نظام الملك ،وعماد الدين زنكى والملك العادل نور الدين محمود،والسلطان صلاح الدين الأيوبى ،والسلطان المملوكى الظاهر بيبرس ،والسلطان السلجوقى محمد بن ملكشاه ،والقائد أسد الدين شيركوه ،وغيرهم الكثير .

ومن الملاحظ أن شخصيات نظام الملك وعماد الدين زنكى ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبى والظاهر بيبرس حظيت بالعناية الفائقة من قبل الباحثين والمؤلفين ،فهناك العشرات من الكتب المتداولة التى بحثت الجوانب المختلفة فى شخصية كل قائد من هؤلاء القادة،ولاحظت من خلال مطالعاتى أن شخصية السلطان محمد السلجوقى ،وأسد الدين شيركوه لم تلق العناية الكافية من قبل الباحثين ،لذلك اقتصرت هنا فى هذا الملحق على الترجمة لهاتين الشخصيتين ،وأترك للقارىء اذا أراد الاستزادة عن الشخصيات السابقة الرجوع الى مصادرها ومراجعها المتوفرة والمتداولة بين الأيدى بسهولة ويسر .

(١) ترجمة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى .

هو السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب آرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق أبو شجاع غياث الدين السلجوقى . ولد سنة ٤٧٤هـ وتولى السلطنة فى الدولة السلجوقية سنة ٤٩٨هـ بعد وفاة أخيه السلطان بركيارق وخطب له ببغداد قبل ذلك أكثر من مرة كان أولها فى عام ٤٩٢هـ ،ولقى من المشاق والأخطار مالاحد له (١) .

وذكر العماد الأصفهانى طرفا من سيرته وماكان له مع الباطنية من وقائع فقال : " ظهرت له آثار حميدة وآراء سديدة ،وكانت علامته (الحمد لله على نعمه) . وكانت له فى الباطنية نكايات ،ورفعت له فى فتح قلعة شاهدرز (قلعة أصبهان) رايات . وكانت قلعة منيعة على جبل أصفهان تناصى السماك وتناظر الأفلاك ،وقد تحصن بها أحمد بن عبد الملك بن عطاش طاغية الباطنية فى طائفته ،وبليت أصفهان وضياعها ببليته ،فسما لها سعد الملك (وزير السلطان محمد) بالرأى الصائب ،والعزم الثاقب وتلطف فى افتتاحها،ودبر فى استنزال من فيها على ايثار الملة الاسلامية واقتراحها،فانزلوه من معقل الى عقال . وبدلوه آجالا من آمال ،وألصقوا خد تلك القلعة بالتراب " (٢) .

قال ابن الأثير عنه : " كان عادلا،حسن السيرة شجاعا،ومن عدله : أنه أطلق المكوس والضرائب فى جميع البلاد ،ولم يعرف منه فعل قبيح ،ومن محاسن أعماله مافعله مع الباطنية" (٣) .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٥٢٦،٥٢٥/١٠، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٧٢/٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢١٤/٥ .

(٢) العماد الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٨٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٥٢٧،٥٢٦/١٠ .

أما ابن خلكان فقال عنه : " كان السلطان محمد رجل الملوك السلجوقية وفحلهم ،وله الآثار الجميلة والسيرة الحسنة ،والمعدلة الشاملة ،والبر للفقراء والأيتام ،والحرب للطائفة الملحدة والنظر في أمور الرعية" (١) .

توفي السلطان محمد يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة احدى عشرة وخمسمائة بمدينة أصبهان ،وعمره سبع وثلاثون سنة وأربعة أشهر وستة أيام ،وهو مدفون بأصبهان في مدرسة عظيمة ،وهي موقوفة على الطائفة الحنفية (٢) .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٧٢/٥ .

(٢) نفس المصدر السابق ٧٣/٥ .

(٢) ترجمة أسد الدين شيركوه ·

أسد الدين شيركوه كان من أكبر قواد الملك العادل نور الدين محمود واسمه الكامل الملك المنصور أبو الحارث أسد الدين شيركوه بن شادى بن مروان وهم عم السلطان صلاح الدين الأيوبى ،وهو من بلد دوين (١) ، وأصله من الأكراد الروادية وهذا النسل هم أشرف الأكراد،وتولى أسد الدين شيركوه دمشق مدة ،وقام بحرب الفرنج وفتح حصونهم أكثر من مرة ، وكان شجاعا مقداما صارما مهيبا،وحج بالناس سنة ٥٥٥هـ ،ثم قصد ديار مصر ثلاث دفعات،خلفها فى الثالثة فكان مفتاحا للخير بها،ويسر الله دعوة الحق والقبول والسنة بها على يدى الملك الناصر صلاح الدين (٢) ·

كان شاور وزير مصر قد وصل الى الشام يستنجد بنور الدين محمود فى سنة ٥٥٩هـ ،فسير معه جماعة من عسكره ،وجعل مقدمهم أسد الدين شيركوه وقدموا مصر،وغدر بهم شاور ولم يف بما وعدهم به،فعادوا الى دمشق ثم انه عاد الى مصر ،وكان توجهه اليها فى سنة ٥٦٢هـ لأنه طمع فى ملكها فى الدفعة الأولى ،وسلك طريق وادى الغزلان ،وخرج عند اطفيح ،وكانت فى تلك الدفعة وقعة البابين عند الأشمونين ،وتوجه السلطان صلاح الدين الى الاسكندرية واحتمى بها،وحاصره شاور وعسكر مصر · ثم رجع أسد الدين من الصعيد الى بلبيس،وجرى الصلح بينه وبين المصريين ،وسيروا له صلاح الدين ،وعاد الى الشام ،ولما وصل الفرنج الى بلبيس وملكوها وقتلوا أهلها،سيروا الى أسد الدين وطلبوا ومنوه ودخلوا فى مرضاته

---

(١) دوين : بلد من نواحى أران فى آخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس منها ملوك الشام بنو أيوب · انظرياقوت : معجم البلدان ٤٩١/٢ ·

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٤١/١١،ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ٣٦٠/٦ ·

لأن ينجدهم ،فمضى اليهم وطرد الفرنج عنهم ،وعزم شاور على قتله وقتل الأمراء الكبار الذين معه ،فبادروا وقتلوه وكان ذلك فى عام ٥٦٤هـ [١] .

بعد مقتل شاور نصب الخليفة العاضد أسد الدين شيركوه فى الوزارة مكانه فتولاها يوم الأربعاء سابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٤هـ وأقام بها شهرين وخمسة أيام ،ومالبث أن توفى فجأة بالقاهرة يوم السبت الثانى والعشرين من نفس السنة ودفن بها،ثم نقل الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مدة بوصية منه [٢] .

قال عنه المؤرخ ابن تغرى بردى : " كان أسد الدين أميرا عاقلا شجاعامدبرا عارفا فطنا وقورا،كان هو وأخوه أيوب من أكابر أمراء نور الدين محمود الشهيد" [٣] .

قال ابن شداد فى "سيرة صلاح الدين" : " ان أسد الدين كان كثير الأكل ،شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة ،وتتواتر عليه التخم والخوانيق ،وينجو منها بعد معاناة شديدة عظيمة،فأخذه مرض شديد واعتراه خانوق عظيم فقتله فى تاريخ السنة المذكورة" [٤] .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٧٩/٢، ٤٨٠، ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ٣٦٠/٦ .

(٢) انظر نفس المصادر السابقة ،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٨٨/٥ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٨٩/٥ .

(٤) ابن شداد : سيرة السلطان صلاح الدين ص ٤٠ .

الملحق الثالث

تراجم أشهر زعماء الباطنية فى تلك الفترة

(١) ترجمة الحسن بن الصباح .

ولد الحسن بن على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميرى فى حدود عام ٤٣٠هـ فى الرى ،وكان والده الصباح فقيها متواضعا يعتنق مذهب الشيعة الاثنى عشرية قدم من اليمن الى الكوفة ومن الكوفة الى قم ومن قم الى الرى ،فاستوطنها وهناك ولد له ابنه الحسن ،نشأ الحسن (١) ابن الصباح فى الرى وأخذ فى تلقى العلوم كعادة أهل عصره ولما كبر بعث به والده الى نيسابور حيث التحق بجامعتها العظيمة التى ذاع صيتها وهناك تلقى علوم الفقه والحديث على يد أكبر علماء هذه الجامعة المحدث الشهير موفق الدين النيسابورى ،ونتيجة لذكائه برع أيضا فى عدة علوم منها العلوم الفلسفية والمنطق وعلم الكلام والرياضيات والنجوم والسحر ،وكان من زملائه فى الدراسة فى تلك الجامعة اثنان تألق نجمهما فيما بعد،وأصبحا من أعلام العصر،وهما الشاعر الشهير عمر الخيام ،والوزير الكبير نظام الملك (٢) .

كان الحسن بن الصباح كوالده على مذهب الشيعة الاثنى عشرية ،ولكنه لم يلبث أن تأثر بداعية فاطمى اسمه (أمير ضراب) فتلقى عليه مبادئ الاسماعيلية ولكنه لم يؤمن بها،ثم مرض مرضا شديدا،ولما شفى

---

(١) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ١٨٤،محمد عبدالله عنان : تراجم اسلامية شرقية وأندلسية ص ٣٩،عمر أبو النصر : قلعة آلموت ص ٨٩ ، دائرة المعارف الاسلامية ٣٩٦/٧ .

(٢) عمر أبو النصر : قلعة آلموت ص ٩٠، ٩١،ابن الأثير : الكامل ٣١٦/١٠ ، مصطفى غالب : الثائر الحميرى ص ٣٣ .

من مرضه اتصل بداعيين آخرين هما : الداعى (أبى النجم السراج) والداعى (المؤمن) الذى كان موكلا بالدعوة من قبل الداعى أحمد بن عبدالملك ابن عطاش كبير الدعاة وزعيم الاسماعيلية فى بلاد فارس ،فتلقى تعاليم الاسماعيلية عليهما ،وتمكن الداعى (المؤمن) من أخذ العهد والبيعة على الحسن بن الصباح للخليفة الفاطمى الامام المستنصر،ولما جاء ابن عطاش الى الرى عام ٤٦٤هـ التقى بالحسن بن الصباح هناك فأعجب به وبمقدرته الفائقة وتحمسه للمذهب ،فاختاره وكيلا له وكبيرا لدعاته فى تلك البلاد،وأمره بالسفر الى مصر لانهاء دراسته المذهبية فى دار الحكمة وليأخذ المعارف الالهية السرمدية عن داعى الدعاة هناك وليحضر مجالس الحكمة الباطنية السرية ،ويدرس أساليب الدعوة على أساتذة دار الحكمة المصرية التى غدت أعظم مركز علمى لتلقين الدعوات السرية ،فى تلك الأيام .(١)

ويحدثنا المؤرخ عطا ملك الجوينى فى كتابه جهنكشاى عن سيرة الحسن بن الصباح التى كتبها عن نفسه والتى عثر عليها فى كتاب "سركذشت سيدنا" أى (سيرة سيدنا) والذى وجده فى مكتبة قلعة آلموت عند استيلاء المغول عليها فقال : (كنت أتبع مذهب آبائى ،وهو مذهب الشيعة الاثنى عشرية ،وكان فى الرى رجل يسمى أميره ضراب على مذهب باطنية مصر،وكنا نتناظر معا بصفة دائمة،فيكسر مذهبنا،ولكننى لم أكن أسلم بينما استقرت آراؤه فى قلبى . وفى تلك الأثناء أصبت بمرض خطير شديد فقلت فى نفسى : أن ذلك المذهب هو الحق ولكننى لم أقبله من جراء تعصبى الشديد فلو وصل الأجل الموعود،والعياذ بالله،لهلكت دون أن أصل الى الحق

---

(١) عمر أبو النصر : قلعة آلموت ص ٥٤ ،مصطفى غالب : الثائر الحميرى ص ٤٥ ـ ٤٦،محمد عبدالله عنان : تراجم اسلامية شرقية وأندلسية ص ٤٠.

فشفيت مما ألم بى من مرض وكان هناك رجل آخر من جملة الباطنية يسمى أبو نجم سراج . فذهبت أتعرف عنده على هذا المذهب ،فشرحه لى وفصله حتى وقفت على غوامضه ،وكان هناك رجل آخر يسمى " مؤمن" منحه عبد الملك بن عطاش الاجازة بالقيام بأمر الدعوة ،فأردت أن آخذ على يديه عهد البيعة فقال : "ان مرتبتك أعلى من مرتبتى فأنت حسن ،أما أنا فمؤمن ،فكيف آخذ عليك عهدا ؟ يعنى كيف آخذ منك البيعة للامام ؟" الا أنه أخذ العهد منى بعد الحاح .

ولما وصل عبد الملك بن عطاش داعى العراق فى ذلك الوقت الى الرى سنة ٤٦٤هـ أعجب بى ،فأمر بأن أتولى نيابة الدعوة وأشار بوجوب توجهى الى خليفة مصر وكان فى ذلك الوقت هو المستنصر .

وفى سنة ٤٦٩هـ توجهت عازما على السفر الى مصر ،فوصلت اليها فى سنة ٤٧١هـ فأقمت بها مايقرب من سنة ونصف ولم أصل طوال مدة اقامتى الى المستنصر ،ولكن المستنصر كان واقفا على أمرى وامتدحنى غير مرة . وكان أمير الجيوش أمير جنده ،وهو المتسلط والحاكم المطلق ،وهو فى نفس الوقت صهر المستعلى الابن الأصغر الذى كان المستنصر قد نص نصا ثانيا بأن يكون وليا للعهد . وكنت أنا طبقا لقاعدة أصول مذهبى أقوم بالدعوة لنزار ،لهذا ساءت علاقة أمير الجيوش بى ،فعقد خاصره استعدادا للنيل منى ،وكانت نتيجة ذلك أنهم أجبرونى على التوجه الى المغرب فوق ظهر احدى السفن مع جماعة من الفرنج . وكان البحر هائجا فألقى بالسفينة الى الشام)(1) .

---

(1) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ١٨٥،١٨٦،١٨٧ .

نزل الحسن بن الصباح فى الشام ثم توجه الى حلب والتقى فيها ببعض الاسماعيليين وأقام بها حينا ثم رحل الى بغدا فخوزستان فأصفهان ثم الى يزد (١) وكرمان وهو يبث دعوته أينما حل ،ويلتقى بالاتباع ودعاة الاسماعيلية .

ظل الحسن بن الصباح يتنقل بين الأقاليم ويرسل الدعاة الى الأطراف وينشر دعوته ويبث تعاليمه وهو متخف ولايعرف بنفسه لأحد الا لبعض الأتباع الخاصين ،وفى نفس الوقت ركز جهوده للحصول على مكان استراتيجى يكون مأوى له ولأتباعه من الباطنية ولينطلق منه لتحقيق أهدافه ونشر تعاليمه ،فوقع نظره على قلعة آلموت الحصينة وكان أتباعه قد سبقوه اليها فمهدوا له الطريق واتصل الحسن بصاحب القلعة وكان علويا يدعى أبو مسلم ،وتوثقت بينهما أواصر الصداقة ولبث الحسن يتحين الفرص وفى ذات مساء وثب بصاحب القلعة فى جمع من أنصاره فأخرجه منها واستولى عليها وذلك فى عام ٤٨٣هـ (٢) .

كان صعود الحسن بن الصباح الى قلعة آلموت واستقراره فيها بداية مرحلة جديدة فى حياته وحياة طائفته ،فأخذ فى تنظيم دعوته تنظيما سريا دقيقا ،واهتم بشكل خاص فى اعداد فرقة الفداوية التى غدت الأداة الفعالة فى تنفيذ سياسة الحسن بن الصباح حيث اغتالت كل المناوئين له ،وأصبحت فيما بعد العمود الفقرى للدولة الاسماعيلية التى أقامها ابن صباح فى بلاد فارس والتى لبث أعواما طويلة يرعاها ويوطد

---

(١) يزد : مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز وأصبهان معدودة فى أعمال فارس . انظر ياقوت : معجم البلدان ٤٣٥/٥ .

(٢) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ١٨٩، ١٩٠، ابن الأثير : الكامل ٣١٧/١٠ ، عمر أبو النصر : قلعة آلموت ص ١٢٢ .

أركانها ويصيغ مبادئها المدهشة ،حتى صارت أشبه بجمعية سرية هائلة[(١)] .

كانت حياة الحسن بن الصباح فى قلعة آلموت حياة زهد وتقشف وعبادة يلبس الصوف ،ويعيش عيشة الفقراء المتعبدين الزاهدين فى الدنيا وكان رجاله مثله وعلى غراره ،وقد فرض عليهم نظاما صارما ،فلا يسمح لأحد منهم بأن يشرب الخمر،ومن فعل ذلك فجزاؤه الموت[(٢)] .

ومنذ ذلك اليوم الذى صعد فيه الحسن بن الصباح الى قلعة آلموت الى أن توفى بعد خمسة وثلاثين عاما ،لم ينزل من القلعة مرة واحدة ،ولم يخرج من القصر الذى كان يقيم فيه سوى مرتين وصعد الى سطح القصر مرتين ، اذ انه اعتكف باقى أوقاته داخل القصر،يطالع الكتب ،ويؤلف المؤلفات التى تخدم دعوته ،واشتغل بتدبير أمور مملكته ، الى أن آتاه الأجل حيث توفى ليلة الأربعاء السادس من ربيع الثانى سنة ٥١٨هـ[(٣)] .

كان الحسن بن الصباح مغامرا من أفذاذ الرجال ،يفيض ذكاء وجرأة واقداما وكان سياسيا من أعظم سياسى عصره ،وقد شق الى الرياسة والملك طريقا وعرا محفوفا بالمخاطر فذلل وعره وصعابه بدهاء وبعد نظر ثاقب ومعرفة بالناس والحوادث ،ويعتبره فون هامار من كبار العباقرة[(٤)] . أما ابن الأثير فقد قال عنه : " كان الحسن بن الصباح رجلا شهما ،كافيا ،عالما بالهندسة والحساب ،والنجوم ،والسحر ،وغير ذلك "[(٥)] .

---

(١) محمد عبدالله عنان : تراجم اسلامية شرقية واندلسية ص ٤٣ .
(٢) عمر أبو النصر :قلعة آلموت ص ١٢٧ .
(٣) الجوينى : تاريخ جهنكشاى ص ٢٠٦ .
(٤) عمر أبو النصر : قلعة آلموت ص ١٥٠ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ٣١٦/١٠ .

(٢) ترجمة سنان راشد الدين .

هو مقدم الاسماعيلية فى الشام ،وأصله من أهالى عقر السودان ،قرية قرب البصرة،واسمه الكامل أبو الحسن سنان بن سليمان بن محمد ولد بالقرب من البصرة فى سنة ٥٢٨هـ ،رحل الى آلموت فنشأ وتثقف فى مدارسها فأظهرنجابة ونبوغا عجيبا،ولما أكمل دراسته أرسله الامام الاسماعيلى فى آلموت سنة ٥٥٥هـ فاستقر بالبصرة حتى سنة ٥٥٨هـ حيث اختاره الامام الاسماعيلى فى آلموت (الحسن الثانى الألموتى) اماما لاسماعيلية الشام (النزارية) بعد أن رأى منه نجابة وشهامة وعقلا وتدبيرا .(١)

وصل سنان راشد الدين الى الشام فى أيام الملك العادل نور الدين محمود،وتولى زعامة الباطنية فى الشام بعد وفاة كبير دعاتهم هناك (أبو محمد المينقى) فنقل مقر قيادة الاسماعيلية من حصن الكهف الى مدينة مصياف حيث استقر فيها وبدأ فى تطبيق الأنظمة التى تعلمها فى آلموت فوجه جل اهتمامه لتربية جيل جديد من المحاربين المدربين على الأعمال الفدائية والأمور العسكرية ولايجاد المدارس التعليمية لتخريج الدعاة وعكف على بناء حياة الاسماعيلية على أسس منظمة من العمل المستمر فى جميع الميادين حتى ان الاسماعيلية الباطنية فى الشام بلغت فى عهده ذروة مجدها فى شتى المجالات .(٢)

وفى الوقت الذى ظهر فيه سنان راشد الدين وآخذ يهتم بشئون باطنيته كانت حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين فى أوجها بقيادة الملك العادل نور الدين محمود،فكان كل مايقوم به سنان راشد الدين

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١١٧/٦،دائرة المعارف الاسلامية ٤٦٩/٩،مصطفى غالب : أعلام الاسماعيلية ص ٢٩٥،٢٩٦ .

(٢) مصطفى غالب :سنان راشد الدين ص ١١٤،١١٥، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١١٧/٦ .

من أعمال حجر عثرة أمام جهود نور الدين محمود فى ذلك المجال،فعزم على محاربته والتخلص منه ومن جماعته فجرت بينهما عدة وقعات وحروب لم يتمكن نور الدين محمود من خلالها القضاء على سنان وجماعته قضاء نهائيا،فقرر قصده بنفسه ومحاربته لكن المنية عاجلته وتوفى (١) .

بعد وفاة نور الدين محمود أخذ القائد الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى على عاتقه توحيد الجبهة الاسلامية ومواصلة الجهاد ضد الصليبيين وأثناء قيامه بتلك المهمة اصطدم بسنان راشد الدين وجماعته الباطنية حيث قاموا بعدة محاولات لاغتياله وتعطيل جهوده لتوحيد الجبهة الاسلامية فعزم صلاح الدين على التخلص من خطر سنان راشد الدين وجماعته فشن عليهم صلاح الدين حرب شعواء كان آخرها محاصرته لعاصمتهم مصياف ودكها بالمنجنيقات وتكبيدها خسائر فادحة الى أن انتهى الأمر بدخول الباطنية فى الشام فى طاعة السلطان صلاح الدين الأيوبى بمقتضى شروط المعاهدة التى تمت بين صلاح الدين والقائد الصليبى ريتشارد قلب الأسد حيث اشترط صلاح الدين أن تكون مناطق نفوذ تلك الطائفة داخلة فى طاعته وفى مناطق نفوذه (٢) .

ظل سنان راشد الدين فى زعامة الباطنية النزارية فى بلاد الشام الى أن وافته المنية فى سنة ٥٨٨هـ ،حيث مكثت على زعامة الباطنية قرابة الثلاثين عاما صرفها لخدمة تلك الطائفة بكل ما أوتى من علم ومكر ودهاء (٣) .

قال عنه الرحالة المسلم ابن جبير الذى زار بلاد الشام واطلع على جانب من حياة تلك الطائفة الباطنية وحياة وتصرفات زعيمها راشد الدين

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١١٧/٦ . (٢) انظر ماسبق ص ٦٨،٦٩.

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١١٧/٦،مصطفى غالب : اعلام الاسماعيلية ص ٣٠٣ .

سنان فقال وهو يصف جبل لبنان : " وفى صفحته حصون للملاحدة الاسماعيلية فرقة مرقت من الاسلام وادعت الالهية فى أحد الأنام ، قيض لهم شيطان من الانس يعرف بسنان (١) خدعهم بأباطيل وخيالات موه عليهم باستعمالها ، وسحرهم بمحالها ، فاتخذوه الها يعبدونه ، ويبذلون الأنفس دونه ، وحصلوا من طاعته وامتثال أمره بحيث يأمر أحدهم بالتردى من شاهقة جبل فيتردى ويستعجل فى مرضاته الردى " (٢) .

وقال عنه اليافعى فى مرآة الجنان : " وفيها (أى سنة ٥٨٨هـ) توفى سنان بن سليمان أبو الحسن البصرى الاسماعيلى الباطنى صاحب الدعوة وصاحب حصون الاسماعيلية ، كان أديبا متفننا متكلما عالما عارفا بالفلسفة اخباريا شاعرا " (٣) .

---

(١) هو سنان راشد الدين صاحب الترجمة .
(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٢٢٩ .
(٣) اليافعى : مرآة الجنان ٤٣٨/٣ .

(*)

(٣) ترجمة أحمد بن عبد الملك بن عطاش .

أحمد بن عبد الملك بن عطاش ولد فى نيسابور حوالى عام ٤٣٧هـ ،وكان والده عبد الملك حكيما متعمقا فى علوم الفلسفة والفقه ،فنشأ ابنه مقتديا به ،فأصبح فى مدة وجيزة من الدعاة المشهورين . أوفده والده الى القاهرة سنة ٤٦٠هـ (١) لينهى دراسته المذهبية فى مقر الدعوة هناك ومن ثم عاد الى الرى سنة ٤٦٤هـ حيث أصبح داعى دعاة العراقين (العراق العربى والعجمى) .

بذل أحمد بن عبد الملك بن عطاش جهودا جبارة فى سبيل تأليف جيش اسماعيلى حيث تمكن بواسطته من الاستيلاء على عدد من الحصون المنيعة بالقرب من أصفهان كقلعة خالنجان وشيركوه وغيرهما من الحصون المنيعة التى أصبحت فيما بعد أكبر العون له فى تحقيق أمانيه .

بقى أحمد بن عبد الملك بن عطاش على زعامة الاسماعيلية الى سنة ٥٠٠هـ حيث قتل على يد أتباع السلطان السلجوقى محمد حين أسر بعد استيلائهم على قلعة أصبهان مقر اقامة أحمد بن عبد الملك بن عطاش ،حيث أن السلطان محمد لما شعر بخطر الباطنية وانتشار دعوتهم وأن خطرهم يهدد دولته ويحيط ببلاده من جميع الجهات أمر بتعبئة الجيوش لقتالهم وخرج بنفسه سنة ٤٩٤هـ فتمكن من اجتياح بعض معاقلهم وقتل منهم عددا كبيرا وعاد السلطان مرة ثانية لقتالهم فتمكنت جيوشه فى عام ٥٠٠هـ من ضرب الطوق

(*) الترجمة مأخوذة من كتاب أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب .

(١) كان المقصود من ارسال الدعاة الاسماعيلية الى مقر الدعوة فى القاهرة هو تلقى العلم وحضور المجالس التأويلية أولا،ولزيارة الامام المفروضة على كل من بلغ أعلى المراتب . وهذه الزيارة مفروضة كالحج لأن الاسماعيلية يعتبرون زيارة الامام الحج الباطن ،وزيارة بيت الله الحرام الحج الظاهر .
انظر مصطفى غالب : أعلام الاسماعيلية ص ١١٤ حاشية رقم (٢) .

وحصار قلعة أصبهان (شاه دز) مقر القيادة الاسماعيلية ومركز ابن عطاش الى أن انتهى الأمر بسقوط تلك القلعة وقتل أكثر الباطنية الذين بها، ووقوع ابن عطاش فى الأسر حيث أمر السلطان محمد بأن يشهر فى البلد ثم يسلخ جلده حيا حتى الموت، فسلخ جلده ثم مات (١) .

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى ابن الأثير : الكامل ١٠/٤٣٠ ـ ٤٣٤ .

الملحق الرابع

جدول بأسماء القادة والعلماء الذين اغتيلوا بيد الباطنية

	اسم المغتال	سنة الاغتيال	كيفية وقوع حادث الاغتيال
(١)	الخليفة المسترشد بالله العباسي	٥٢٩هـ	هجم عليه بضعة عشر من الباطنية وطعنوه بالخناجر ،ثم مثلوا به
(٢)	الخليفة الراشد العباسي	٥٣٢هـ	اغتيل غدرا فى أصبهان
(٣)	الوزير نظام الملك السلجوقى	٤٨٥هـ	تقدم اليه باطنى فى صورة مستغيث ولما اقترب منه طعنه بسكين وقتله
(٤)	الوزيرنظام الملك (أبو نصر)	٥٠٣هـ	وثب عليه جماعة من الباطنية وهو يؤدى الصلاة فى الجامع وجرحوه عدة جراحات .
(٥)	الوزير أبو المحاسن عبد الجليل الدهستانى	٤٩٥هـ	عدا عليه شاب باطنى وجرحه عدة جراحات مات بعدها .
(٦)	الوزير الكمال أبو طالب السميرمى	٥١٦هـ	وثب عليه الباطنية وهو سائر فى طريق ضيق وقتلوه .
(٧)	الوزير معين الملك (أبو نصر)	٥٢١هـ	وثب عليه باطنى وهو غافل مطمئن فقتله ،وكان هذا الباطنى يعمل سائس لخيل معين الملك ليصل الى هدفه .

	اسم المغتال	سنة الاغتيال	كيفية وقوع حادث الاغتيال
(٨)	الوزير عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء	٥٧٣هـ	تقدم اليه جماعة من الباطنية فى صورة فقراء ومعهم رقاع وهو فى طريقه الى الحج فتقدم اليه أحدهم وضربه بسكين وتبعه ثان وثالث حتى قتلوه .
(٩)	الوزير نظام الملك مسعود بن على	٥٩٦هـ	قتله الباطنية غدرا
(١٠)	الوزير فخر الملك أبو المظفر على بن نظام الملك	٥٠٠هـ	تقدم اليه شاب من الباطنية وهو يتظلم وفى يده رقعة ، وبينما كان يقرؤها الوزير وثب عليه ذلك الشاب بخنجر كان معه وقتله .
(١١)	الأمير بلكابك سرمز	٤٩٣هـ	طعنه الباطنية بسكاكينهم غدرا فقتلوه .
(١٢)	الأمير مودود	٥٠٧هـ	وثب عليه الباطنية بعد فراغه من أداء صلاة الجمعة فى جامع دمشق وقتلوه .
(١٣)	الأمير أحمديل بن ابراهيم الروادى	٥١٠هـ	تقدم اليه رجل من الباطنية وهو يتظلم ويبكى ومد اليه رقعة سأله أن يوصلها له الى السلطان ، فلما أخذها منه وثب عليه ذلك الرجل على الفور بسكينه وقتله .

اسم المغتال	سنة الاغتيال	كيفية وقوع حادث الاغتيال
(١٤) الأمير قسيم الدولة آقسنقر البرسقى	٥٢٠هـ	هجم عليه بضعة عشر نفر من الباطنية فى الجامع وهو يؤدى صلاة الجمعة فقتلوه .
(١٥) الأمير تاج الملوك بورى بن طغتكين	٥٢٥هـ	هجم عليه اثنان من الباطنية وحاولا قتله ،لكنه برأ من جراحه فيما بعد ولكنه توفى فى السنة التى بعدها متأثرا بأحد تلك الجراح .
(١٦) الأمير آقسنقرالأحمديلى	٥٢٧هـ	قتله الباطنية غدرا .
(١٧) الأمير آغلمش	٦١٤هـ	قتله الباطنية غدرا .
(١٨) الأمير شهاب الدين الغورى	٦٠٢هـ	قتله الباطنية غدرا وخوفا منه ومن بطشه .
(١٩) أمير من أمراءجلال الدين بن خوارزمشاه	٦٢٤هـ	قتله الباطنية غدرا.
(٢٠) الأمير جناح الدولة حسين	٤٩٥هـ	وثب عليه ثلاثة من الباطنية فى الجامع بعدفراغه من أداء صلاة الجمعة وقتلوه .
(٢١) الأمير خلف بن ملاعب	٤٩٩هـ	قتله الباطنية غدرا .
(٢٢) الأمير شمس الملوك اسماعيل بن بورى	٥٢٩هـ	قتله الباطنية غدرا .

اسم المغتال	سنة الاغتيال	كيفية وقوع حادث الاغتيال
(٢٣) الأمير برسق الكبير	٤٩٠هـ	قتله الباطنية غدرا .
(٢٤) الأمير سيف الدين آخو علاء الدين الغورى	٥٤٧هـ	قتله الباطنية غدرا .
(٢٥) السلطان داود بن السلطان محمود	٥٣٨هـ	قتله الباطنية غدرا .
(٢٦) السلطان بكتمر	٥٨٩هـ	تقدم اليه أربعة من الباطنية فى زى الصوفية ،وقدم اليه أحدهم قصة فأخذها ،وضربه بسكين على الفور وقتله .
(٢٧) السلطان صلاح الدين الأيوبى	٥٧٠هـ	حاولوا قتله داخل معسكر جيشه لكنهم فشلوا .
(٢٨) السلطان صلاح الدين الأيوبى	٥٧١هـ	حاولوا قتله وهو محاصر لحلب لكنهم فشلوا .
(٢٩) النائب نصر خان بن أرسلان خان محمد	٥٢٤هـ	قتله الباطنية غدرا .
(٣٠) المقرب جوهر	٥٤٧هـ	تعرض اليه جماعة من الباطنية فى زى نساء واستغثن به ،فوقف يسمع كلامهم ،فوثبوا عليه وقتلوه .
(٣١) أبو صالح بن العجمى	٥٧٣هـ	وثب عليه جماعة من الباطنية فى الجامع وقتلوه .

اسم المغتال	سنة الاغتيال	كيفية وقوع حادث الاغتيال
(٣٢) أخو الأمير قتادة أمير مكة	٦٠٨هـ	وثبوا عليه بمنى أيام الحج وقتلوه
(٣٣) أبو القاسم ابن امام الحرمين	٤٩٢هـ	قتله الباطنية غدرا .
(٣٤) الفقيه أحمد بن الحسين البلخى	٤٩٤هـ	قتله الباطنية غدرا .
(٣٥) الفقيه عبد اللطيف ابن الخجندى	٥٢٣هـ	قتله الباطنية غدرا .
(٣٦) الفقيه أبو المحاسن الرويانى	٥٠٢هـ	قتله الباطنية غدرا .
(٣٧) القاضى أبو العلاء صاعد النيسابورى	٤٩٩هـ	قتله الباطنية بجامع أصبهان .
(٣٨) القاضى عبيد الله بن على الخطيبى	٥٠٢هـ	قتله الباطنية بالجامع وهو يؤدى صلاة الجمعة .
(٣٩) القاضى صاعد بن عبد الرحمن أبو العلاء	٥٠٢هـ	قتله الباطنية يوم عيد الفطر بنيسابور .
(٤٠) القاضى أبو سعد محمد بن نصر الهروى	٥١٨هـ	هجم عليه قوم من الباطنية فى جامع همذان وقتلوه .
(٤١) الواعظ أبو جعفر ابن المشاط	٤٩٨هـ	كان يدرس للناس فى الجامع ولما نزل من على كرسيه وثب عليه باطنى وقتله .

اسم المغتال	سنة الاغتيال	كيفية وقوع حادث الاغتيال
(٤٢) الواعظ آبو المظفر الخجندى	٤٩٦هـ	كان يدرس للناس فى الجامع ولما نزل من على كرسيه وثب عليه باطنى وقتله .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر .

* ابن الأثير (عز الدين على بن أبى الكرم محمد بن محمد الشيباني ت ٦٣٠هـ)

(١) الكامل فى التاريخ

ط دار صادر ،بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٢) التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية

تحقيق عبدالقادر احمد طليمات ـ دار الكتب الحديثة ،القاهرة ١٩٦٣م .

* ابن اياس (محمد بن أحمد بن اياس الحنفى ت ٩٣٠هـ)

بدائع الزهور فى وقائع الدهور

تحقيق محمد مصطفى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة

ط الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* البخارى (أبى عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى ت ٢٥٦هـ)

صحيح البخارى بحاشية السندى

٤ أجزاء ـ دار المعرفة ـ بيروت .

* ابن بطوطة (محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى ت ٧٧٩هـ)

مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

جزآن . تهذيب وضبط أحمد العوامرى بك ،ومحمد أحمد جادالمولى بك

القاهرة ط ١٩٣٤م .

* البغدادى (عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادى الاسفرائينى التميمى ت ٤٢٩هـ)
الفرق بين الفرق
تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ،نشر دار المعرفة - بيروت .
* البغدادى (عبدالمؤمن بن عبدالحق صفى الدين ت ٧٣٩هـ)
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع وهو مختصر معجم البلدان لياقوت ،٣ أجزاء
تحقيق وتعليق على محمد البجاوى ،دار احياء الكتب العربية ط الأولى ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .
* البندارى (الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى - توفى فى النصف الأول من القرن ٧ هـ)
تاريخ دولة آل سلجوق
وهو مختصر لتاريخ السلاجقة الذى آلفه عماد الدين الأصفهانى بعنوان "نصرة الفترة وعصرة الفطرة"
دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط الثانية ١٩٧٨م .
* ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الاتابكى ت ٨٧٤هـ)
النجوم الزاهرة فى أخبار ملوك مصر والقاهرة
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب - نشر وزارة الثقافة والارشاد القومى .
* ابن تيمية (تقى الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية النميرى الحرانى الدمشقى ت ٧٢٨هـ)
مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ج ٣٥ ،٣٦
طبعة الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين بالسعودية .

* ابن جبير (أبى الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنانـــــــــى الأندلسى ت ٦١٤هـ)

رحلة ابن جبير

دار صادر - بيروت ط ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

* ابن الجوزى (أبو الفرج عبدالرحمن بن على بن محمد الجـــــــوزى القرشى البغدادى ت ٥٩٧هـ)

(١) تلبيس ابليس

دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم الأجزاء ٨ ، ٩

حيدر اباد الدكن - الهند - ط الأولى ١٣٥٩هـ .

* الجوينى (علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمـــــــد الجوينى ت ٦٨١هـ)

تاريخ جهانكشاى

ترجمة محمد السعيد جمال الدين - موسسة سجل العرب - القاهـــــــرة ط ١٩٧٥م .

(طبع مع بحث فى تطور الدعوة الاسماعيلية الى قيام الدولـــــــــة تأليف محمد السعيد جمال الدين) .

* ابن حجر (أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ت ٨٥٢هـ)

لسان الميزان ٧ أجزاء

موسسة الأعلمى للمطبوعات ،ط الثانية ١٣٩٠هـ/١٩٧١م .

* ابن أبى الحديد (أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن أبى الحديد المدائنى ت ٦٥٦هـ)

شرح نهج البلاغة ٢٠ جزء

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار احياء الكتب العربية القاهرة - ط الاولى ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .

* ابن حزم (أبى محمد على بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهرى ت ٤٥٦هـ)

الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٥ أجزاء

تحقيق محمد ابراهيم نصر وعبدالرحمن عميرة - دار عكاظ السعودية ط الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* الحميرى (محمد بن عبدالمنعم الحميرى ت ٧٢٧هـ)

الروض المعطار فى خبر الأقطار

تحقيق احسان عباس - بيروت ط ١٩٧٥م .

* ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ)

العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) ٨ أجزاء

ضبط خليل شحادة - مراجعة سهيل زكار - دار الفكر بيروت - ط الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان ت ٦٨١هـ)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

تحقيق احسان عباس . دار صادر، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

* ابن دقماق (ابراهيم بن محمد بن آيدمر العلائى المعروف بابن دقماق ت ٨٠٩هـ)

الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين

تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور - طبع مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

* ابن أبى الدم الحموى (أبو اسحاق ابراهيم بن عبدالله ت ٦٤٢هـ)

التاريخ المظفرى

مخطوط بمكتبة خدابخش بالهند تحت رقم ٣٨٦٩ ،ويوجد منه صورة على ميكروفلم فى مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى تحت رقم ١١٣١ ٠

* الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن قيماز ت ٧٤٨هـ)

(١) دول الاسلام جزآن

تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م ٠

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥ جزء

تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ابراهيم الزيبق - مؤسسة الرسالة ،بيروت ط الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ٠

(٣) العبر فى خبر من غبر ٤ أجزاء

تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ٠

* سبط بن الجوزى (أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى ت ٦٥٤هـ)

مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان

الجزء الثانى والثالث مخطوط بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة تحت رقم $\frac{٤٦٩}{٦٧٦٥}$ / $\frac{٤٦٩}{٦٧٦٥}$ ويوجد منه صورة على ميكروفلم فى مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى تحت رقم ٤٤١ - ٤٦٥ ٠

الجزء الثالث عشر والرابع عشر ،مخطوط بمكتبة أحمد الثالث بتركيا تحت رقم ٢٩٠٧/١٣ ويوجد منه صورة على ميكروفلم فى مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى تحت رقم ٤٥٢ - ١٩٩٥ ٠

* السبكى (تاج الدين أبى نصر عبدالوهاب بن على بن عبدالكافى ت ٧٧١هـ)
طبقات الشافعية الكبرى ٩ أجزاء
تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحى ـ طبع عيسى البابى الحلبى ـ القاهرة ـ ط الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ٠

* السخاوى (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى ت ٩٠٣هـ)
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع
منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت ٠

* السمعانى (عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى ت ٥٦٢هـ)
الأنساب ٩ أجزاء
تحقيق محمد عوامه ـ نشر محمد أمين دمج ـ بيروت ـ ط الأولى ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ٠

* السموقى (حمزة بن على بن أحمد اسماعيل بن محمد التميمى بهاء الدين على بن أحمد)
رسائل الحكمة
ط سنة ١٤٠٠هـ ٠

* السيوطى (جلال الدين عبدالرحمن السيوطى ت ٩١١هـ)
حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار احياء الكتب العربية ـ طالأولى ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م ٠

* ابن شاكر (محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن بن شاكر الكتبى ت ٧٦٤هـ)

فوات الوفيات والذيل عليه

تحقيق احسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ط ١٩٧٣م .

* أبو شامة (شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسى الشافعى ت ٦٥٥هـ)

الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية

دار الجيل ـ بيروت .

* ابن شداد (بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد ت ٦٣٢هـ)

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ـ أو ـ سيرة السلطان صلاح الدين

تحقيق جمال الدين الشيال ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ـ ط الأولى ١٩٦٤م .

* الشهرستانى (محمد بن عبدالكريم بن أحمد أبو الفتح الشافعى ت ٥٤٨هـ)

الملل والنحل

تقديم واعداد عبداللطيف محمد العبد ـ الناشر مكتبة الانجلو المصرية ـ ط الأولى ١٩٧٧م .

* الشوكانى (محمد بن على الشوكانى ت ١٢٥٠هـ)

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع

مطبعة السعادة، القاهرة ـ ط الأولى ١٣٤٨هـ .

* ابن ظافر (جمال الدين على بن ظافر الأزدى ت ٦١٣هـ)
أخبار الدول المنقطعة - القسم الخاص بالفاطميين
نشر المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة - ط ١٩٧٢م .

* ابن طباطبا (محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا ت ٧٠٩هـ)
الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية
دار صادر - بيروت - ط ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

* ابن العبرى (غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الملطى ت ٦٨٥هـ)
تاريخ مختصر الدول
المطبعة الكاثوليكية - بيروت - ط الثانية ١٩٥٨م .

* ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله ت ٦٦٠هـ)
بغية الطلب فى تاريخ حلب
جزء التراجم الخاصة بتاريخ السلاجقة - نشر وتعليق على سويم
مطبعة الجمعية التاريخية التركية - أنقرة ط ١٩٧٦م .

* ابن عساكر (أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى ت ٥٧١هـ)
تهذيب تاريخ دمشق
تهذيب وترتيب الشيخ عبدالقادر بدران - دار المسيرة - بيروت ط الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* ابن على (يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ت ١١٠٠هـ)
غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى جزآن
تحقيق وتقديم سعيد عبدالفتاح عاشور - دار الكتاب العربى بالقاهرة - ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

* ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد المعروف بابن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨ أجزاء

المكتب التجاري - بيروت .

* عمارة اليمني (نجم الدين عمارة بن علي اليمني الشاعر المشهور ت ٥٦٩هـ)

تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها

تحقيق محمد بن علي الاكوع الحوالي - ط الثانية ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م - القاهرة .

* الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد المشهور بأبي حامد الغزالي ت ٥٠٥هـ)

فضائح الباطنية

تحقيق وتقديم عبدالرحمن بدوي - مؤسسة دار الكتب الثقافية/الكويت .

* الفارقي (أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي ت ٥٧٢هـ)
تاريخ الفارقي (أو الدولة المروانية)
تحقيق بدوي عبداللطيف عوض - دار الكتاب اللبناني - بيروت ط الثانية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

* أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل أبي الفدا ت ٧٣٢هـ)

المختصر في أخبار البشر

دار المعرفة - بيروت - بدون تاريخ .

* الفيروزآبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى ت ٨١٧هـ)
القاموس المحيط ٥ أجزاء
المطبعة المصرية ـ ط الثالثة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م .

* القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ)
آثار البلاد وأخبار العباد
دار صادر ،بيروت ،ط ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

* ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمى ت ٥٥٥هـ)
ذيل تاريخ دمشق
تحقيق سهيل زكار ،نشر دار حسان ،دمشق ط الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ)
صبح الأعشى فى صناعة الانشا ١٤ جزء
نشر وزارة الثقافة والارشاد القومى ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

* ابن كثير (عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى ت ٧٧٤هـ)
البداية والنهاية
نشر دار الفكر العربى .

* ماركو بولو
رحلات ماركوبولو المسماة بالينابيع
ترجمها الى الانجليزية ونشرها وليم مارسدن وترجمها الى العربية عبدالعزيز توفيق جاويد ـ الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م .

* مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى ت ٢٦١هـ)
صحيح مسلم بشرح النووى ١٨ جزء
دار احياء التراث العربى ـ بيروت ـ ط الثانية ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

* المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزى ت ٨٤٥هـ)

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ٣ أجزاء
تحقيق محمد حلمى أحمد - مطابع الأهرام التجارية - القاهرة ط ١٣٩٠هـ/١٩٧١م .

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك
تحقيق محمد مصطفى زيادة - ط الثانية ١٩٥٦م - القاهرة .

(٣) المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار (خطط المقريزى)
اصدار دار التحرير عن طبعة بولاق - سنة ١٢٧٠هـ .

* ابن منقذ (أبو المظفر أسامة بن مرشد بن على بن مقلد الكنانى الشيزرى ت ٥٨٤هـ)
كتاب الاعتبار
تحقيق فيليب حتى - نشر جامعة برنستون - الولايات المتحدة الأمريكية ط ١٩٣٠م .

* النوبختى (أبى محمد الحسن بن موسى النوبختى ت ٢١٠هـ)
فرق الشيعة
تعليق السيد محمد صادق بحر العلوم - المطبعة الحيدرية بالنجف العراق - ط الرابعة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .

* النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى ت ٧٣٣هـ)
نهاية الارب فى فنون الأدب
ج ٢٦ تحقيق محمد فوزى العنتيل .
ج ٢٧ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ)

(١) التاريخ الصالحى

مخطوط بمكتبة فاتح بتركيا تحت رقم ٤٢٢٤،ويوجد منه صورة على ميكروفلم فى مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى تحت رقم ١٠٦١ .

(٢) مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ج ١

تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال – طبع جامعة فؤاد الأول بالقاهرة ١٩٥٣م – الجزء الثانى ،طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٧م .

* الهمدانى (لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى ت ٣٣٤هـ)

صفة جزيرة العرب

تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالى – نشر دار اليمامة بالرياض ط ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

* الهيثمي (نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى ت ٨٠٧هـ)

كشف الاستار عن زوائد البزار على الكتب الستة

تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى ٤ أجزاء

مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* اليافعى (أبو محمد عبدالله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى ت ٧٦٨هـ)

مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ٤ أجزاء

منشورات مؤسسة الأعلمى – بيروت – ط الثانية ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

* ياقوت الحموى (شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى ت ٦٢٦هـ)

(١) المشترك وضعا والمفترق صقعا

نشر مكتبة المثنى ببغداد ١٨٤٦م ٠

(٢) معجم البلدان ٥ أجزاء

ط دار صادر،بيروت ط ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ٠

* اليمانى (محمد بن مالك بن أبى الفضل الحمادى اليمانى)

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة

تقديم وتعليق محمد زاهد بن الحسن الكوثرى ـ نشر عزت العطار مطبعة الأنوار ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م ٠

* اليونينى (موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين اليونينى البعلبكى الحنبلى ت ٧٢٦هـ)

ذيل مرآة الزمان ٤ أجزاء

حيدر اباد الدكن ـ الهند ـ ط الأولى ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م ٠

ثانيا : المراجع ٠

* أحمد : أحمد رمضان

شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى

مطابع شركة الاعلانات الشرقية _ ط ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ٠

* الأمين : عبد الله

دراسات فى الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة

دار الحقيقة _ بيروت _ ط الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ٠

* الباشا : حسن

الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية

دار النهضة العربية _ القاهرة _ ط ١٩٦٦م ٠

* بدوى : أحمد أحمد

الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام

دار نهضة مصر _ ط ١٩٧٢م ٠

* بدوى : عبد الرحمن

مذاهب الاسلاميين ج ٢

دار العلم للملايين _ بيروت _ ط الأولى ١٩٧٣م ٠

* برجاوى : سعيد أحمد

الحروب الصليبية فى المشرق

منشورات دار الآفاق الجديدة _ بيروت _ ط الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ٠

* جلى : أحمد محمد أحمد

دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة"

نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية بالرياض _ ط الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ٠

* جمال الدين : محمد السعيد
دولة الاسماعيلية فى ايران
(بحث فى تطور الدعوة الاسماعيلية الى قيام الدولة – مع ترجمة النص الفارسى الذى ورد عنها فى كتاب "تاريخ جهانكشاى " لعطا ملك الجوينى) – مطابع سجل العرب بالقاهرة – ١٩٧٥م .

* حبشى : حسن
(١) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس (مؤلف مجهول)
ترجمة حسن حبشى – دار الفكر العربى – القاهرة ط ١٩٥٨م .
(٢) الحرب الصليبية الأولى
دار الفكر العربى – القاهرة – ط الثانية ١٩٥٨م .

* حتى : فيليب
(١) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين الجزء الثانى
ترجمة كمال اليازجى – دار الثقافة بيروت – ط الثانية ١٩٧٢م .
(٢) تاريخ العرب المطول
دار الكشاف للنشر – بيروت – ط الثالثة ١٩٦١م .

* حسن : حسن ابراهيم
(١) تاريخ الاسلام السياسى ٤ أجزاء
مكتبة النهضة المصرية – ط الأولى ١٩٦٧م .
(٢) الدولة الفاطمية
مكتبة النهضة المصرية – ط الثانية ١٩٥٨م .

* حسنين : عبدالنعيم محمد
(١) سلاجقة ايران والعراق
مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – ط الثانية ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

(٢) قاموس الفارسية (فارسى ـ عربى)
دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت ـ ط الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* حسين : محمد كامل

(١) طائفة الاسماعيلية ـ تاريخها ،نظمها،عقائدها
نشر مكتبة النهضة المصرية ـ ط الأولى ١٩٥٩م .

(٢) طائفة الدروز ـ تاريخها وعقائدها
دار المعارف بمصر ـ ط الثانية .

* الحلبى : سليمان

طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها
الدار السلفية ـ الكويت ـ ط الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* حلمى : أحمد كمال الدين

السلاجقة فى التاريخ والحضارة
دار البحوث العلمية ـ الكويت ـ ط الأولى ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

* حمزة : نديم نايف

التنوخيون ،أجداد الموحدين (الدروز) ودورهم فى جبل لبنان
دار النهار للنشر ـ ط الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* الخطيب : محمد أحمد

(١) الحركات الباطنية فى العالم الاسلامى ـ عقائدها وحكم الاسلام فيها
نشر مكتبة الأقصى ـ عمان ـ ط الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٢) عقيدة الدروز ـ عرض ونقد
نشر مكتبة الأقصى ـ عمان ـ ط الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* دائرة المعارف الاسلامية
ترجمة أحمد الشنتاوى (ومجموعة من الأساتذة) ١٥ جزء ٠
* أبو راشد : حنا
جبل الدروز
وهو الحلقة الأولى من الرحلة الشرقية العامة ،ومعه كتاب حوران الدامية،وهو الحلقة الثانية من الرحلة ٠
نشر مكتبة زيدان بمصر ـ ط الأولى ١٩٢٥م ٠
* رنيسمان : ستيفن
تاريخ الحروب الصليبية
ترجمة السيد الباز العرينى ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ط الأولى ١٩٦٧م ٠
* أبو زهرة : محمد
تاريخ المذاهب الاسلامية
الجزء الأول فى السياسة والعقائد
دار الفكر العربى ـ القاهرة ٠
* سالم : السيد عبدالعزيز
التاريخ والمؤرخون العرب
مؤسسة شباب الجامعة ـ ط ١٩٨١م ٠
* سرور : محمد جمال الدين
(١) سياسة الفاطميين الخارجية
دار الفكر العربى ـ ط الرابعة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ٠
(٢) دولة الظاهر بيبرس فى مصر
دار الفكر العربى ـ ط ١٩٦٠م ٠

(٣) الدولة الفاطمية فى مصر : سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة فى عهدها

دار الفكر العربى بالقاهرة ط ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* شرف الدين : أحمد حسين

اليمن عبر التاريخ

مطابع البادية بالرياض ـ ط الثالثة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* الشكعة : مصطفى

اسلام بلا مذاهب

دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ط الرابعة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

* الطويل : محمد أمين غالب

تاريخ العلويين

دار الأندلس ـ بيروت ـ ط الثانية ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

* ظهير : احسان الهى

الاسماعيلية : تاريخ وعقائد

ادارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ باكستان ـ ط الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

* عاشور : سعيد عبد الفتاح

(١) بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى

بيروت ـ ١٩٧٧م .

(٢) الحركة الصليبية جزآن

الناشر مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٨٢م .

* عاشور : فايد حماد

جهاد المسلمين فى الحروب الصليبية

مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* عبدالله : الحسيني

الجذور التاريخية للنصيرية العلوية

دار الاعتصام ـ القاهرة ـ ط الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* عبدالكريم : أحمد عزت (ونخبة من الأساتذة)

أبو العباس القلقشندى وكتابه صبح الأعشى

الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ط ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

* العرينى : السيد الباز

مؤرخو الحروب الصليبية

دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ط ١٩٦٢م .

* على : محمد كرد

خطط الشام ٣ أجزاء

دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط الثانية ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

* عنان : محمد عبدالله

(١) تراجم اسلامية ـ شرقية وأندلسية

مكتبة الخانجى بالقاهرة ـ ط الثانية ١٣٩٠هـ .

(٢) مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ المصرى

القاهرة ـ ط الأولى ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م .

(٣) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية

نشر مؤسسة الخانجي ـ القاهرة ـ ط الثانية ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م .

* غالب : مصطفى

(١) أعلام الاسماعيلية

نشر دار اليقظة العربية ـ بيروت ـ ط ١٩٦٤م .

(٢) الثائر الحميرى "الحسن بن الصباح"

دار الأندلس- بيروت - ط ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

(٣) سنان راشد الدين "شيخ الجبل الثالث "

دار اليقظة العربية - بيروت - ط الأولى ١٩٦٧م .

* غوانمه : يوسف حسن درويش

دراسات فى تاريخ الأردن وفلسطين فى العصر الاسلامى

دار الفكر - عمان - ط ١٩٨٣م .

* الفوزان : أحمد

أضواء على العقيدة الدرزية

ط الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* كحالة : عمر رضا

التاريخ والجغرافية فى العصور الاسلامية

المطبعة التعاونية بدمشق - ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

* الكنانى : مصطفى حسن محمد

(١) العلاقات بين جنوة والفاطميين فى الشرق الأدنى

الهيئة المصرية العامة للكتاب - فرع الاسكندرية ط ١٩٨١م .

(٢) العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى

الهيئة المصرية العامة للكتاب - فرع الاسكندرية ط ١٩٨١م .

* لسترنج : كى

بلدان الخلافة الشرقية

ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد - مؤسسة الرسالة - ط الثانيـــــة

١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* لويس : برنارند
الدعوة الاسماعيلية الجديدة "الحشيشية"
نقله الى العربية د. سهيل زكار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط الأولى ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

* مصطفى : شاكر
التاريخ العربى والمؤرخون ـ دراسة فى تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله فى الاسلام ـ جزآن
دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط الأولى ١٩٧٩م .

* المعاضيدى : خاشع
الحياة السياسية فى بلاد الشام خلال العصر الفاطمى
دار الحرية ـ بغداد ـ ط الأولى ١٩٧٥م/١٩٧٦م .

* مكارم : سامى نسيب
أضواء على مسلك التوحيد "الدرزية"
دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٦م .

* المناوى : محمد حمدى
الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى
نشر دار المعارف بمصر .

* أبو النصر : عمر
قلعة آلموت (الحسن بن الصباح)
اصدار مكتب عمر أبو النصر للتأليف ـ بيروت ـ ط الثانية ١٩٧٠م .

* النقاش : زكى
العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية
منشورات دار الكتاب اللبنانى ـ ط ١٩٥٨م .

* نورى : دريد عبدالقادر
سياسة صلاح الدين الأيوبى فى بلاد مصر والشام والجزيرة
مطبعة الارشاد - بغداد - ١٩٧٦م .
* وجدى : محمد فريد
دائرة معارف القرن العشرين ١٠ أجزاء
دار المعرفة - بيروت - ط الثالثة ١٩٧١م .
* ياسين : أنور - ومجموعة من المؤلفين
بين العقل والنبى
ط باريس ١٩٨١م .
* اليمانى : عبدالواسع بن يحيى الواسعى
تاريخ اليمن - المسمى فرحة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن
الدار اليمنية للنشر - ط الثالثة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

ثالثا : المجلات والدوريات ٠

(١) المجلة التاريخية المصرية

مجلة تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

المجلد (٨) لسنة ١٩٥٩م ٠

المجلد (١٦) لسنة ١٩٦٩م ٠

(٢) مجلة الدارة

مجلة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز بالرياض

العدد الثانى ـ السنة الثانية عشرة ـ محرم ١٤٠٧هـ / سبتمبر ١٩٨٦م ٠